القائد الرمز صلاح خلف "أبوإياد"

"وإعادة السيف الى غمده
وحوار وتضال وفرح"

منشورات
أكاديمية فتح الفكرية
أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية

2022 م

الشهيد القائد الرمز صلاح خلف
وإعادة السيف الى غمده
وحوار ونضال وفرح.

أكاديمية فتح الفكرية
أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية
في
حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح

فلسطين
الطبعة الأولى عام 2022م

تصميم الغلاف: س. ر

القائد الرمز صلاح خلف (ابوإياد)

وإعادة السيف الى غمده، وحوار ونضال وفرح.

المحتويات

- مقدمة
- نبذة عن الشهيد صلاح خلف (أبوإياد) 1933-1991م
- حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس مبدأ الدولتين، رؤية الشهيد صلاح خلف " أبو إياد " –تقديم د.عبدالرحيم جاموس
- حوار أبوإياد مع صحيفة القبس الكويتية-محمد جاسم الصقر
- مناضلٌ ثوريٌ شُجاع، وصانعُ هُوِيَّة- الدكتور عبد الرحمن بسيسو
- قراءة متأنية في فكر القائد الفلسطيني «صلاح خلف»-يوسف عبدالرحمن
- نقد الثورة في فكر القائد الرمز الشهيد صلاح خلف أبو أياد-خالد غنام
- مع صلاح خلف طرتُ فرحًا-بكر أبوبكر

مقدمة:

تتشرف أكاديمية فتح الفكرية أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية بإصدار هذا الكتاب في ذكرى استشهاد القائد صلاح خلف (أبوإياد) إبان حرب الخليج الثانية، وهي إذ تضع بين أيديكم مجموعة من الوثائق حول الرجل الأشم فإنها تضع سطورًا في سِفر الثورة الفلسطينية الذي ضم بين جنباته مئات القادة وآلاف الشهداء والجرحى والأسرى حتى لتكاد فلسطين في هذا العصر تمثل الموئل الأول لهؤلاء الذين كتبوا بدمائهم الزكية معاني البطولة والكفاح والمقاومة.

كان صلاح خلف (أبوإياد) طوال حياته أحد أبرز وجوه الثورة الفلسطينية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح، ولم تكن الثورة لتسير بكل زخمها وقوتها واندفاعها لتكرس الهوية الوطنية العربية والاستقلالية والفكر التحرري والنضالية لولا أمثال هؤلاء القادة المبادرين الأفذاذ الذين جعلوا من العمل مقدمًا على التنظيرات أو المماحكات فكانوا بعملهم وصناعة الحدث خير ممثل لفلسطين القضية التي حملوها في قلوبهم وعلى اكتافهم حتى احتضنتهم في باطنها.

في هذا الكتاب الذي قامت مفوضية الاعلام والثقافة والتعبئة الفكرية بالحركة والأكاديمية بإعداده، تقدم لكم نبذة عنه ثم رؤيته لحل الدولتين الذي نشرته حينه دورية السياسة الخارجية الأمريكية، ومقابلتين معه واحدة في الدورية وثانية مع محمد جاسم الصقر في صحيفة القبس الكويتية، ونظرات للقائد أبوإياد من ثلاثة أجيال ممثلة بثلاثة أخوة مختلفي التجارب هم عبدالرحمن بسيسو وخالد غنام وبكر ابوبكر وتقديم للدكتور عبدالرحيم جاموس، ومقالة هامة على جزئين عنه من الأستاذ يوسف عبدالرحمن أحد أصدقائه الوطنيين الكويتيين المناضلين، لعلنا بذلك نكون قد قدمنا إضاءة على شخصية جاذبة ومؤثرة (كاريزمية) ستظل الى جانب الخالد فينا ياسر عرفات وأبوجهاد وخالد الحسن....من منارات فلسطين والقضية على مر الأجيال حتى النصر باذن الله.

أكاديمية فتح الفكرية

أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية

2022م

نبذة عن الشهيد صلاح خلف (أبوإياد) 1933-1991م

مقدمة

كأنهم لم يقطعوا حبل سرّته على الساحل اليافوي الفلسطيني للمتوسط، فظل صلاح مصباح خلف (أبو إياد) مشدودا إلى مسقط رأسه (يافا)، حتى فاضت روحه في (قرطاج) على الساحل التونسي للمتوسط، حين قضى برصاص الغدر والخيانة مثل الكثيرين من رفاقه في اللجنة المركزية لحركة فتح.

وبين الولادة في اليوم الأخير من شهر آب عام 1933، والشهادة في الدقائق الخمس الأخيرة، قبل انتصاف شهر كانون الثاني عام 1991، ثمانية وخمسون عاما من التاريخ الفلسطيني المتفجر باللوعة.. وبالانتصار، فابوإياد كان، في حياته يحمل

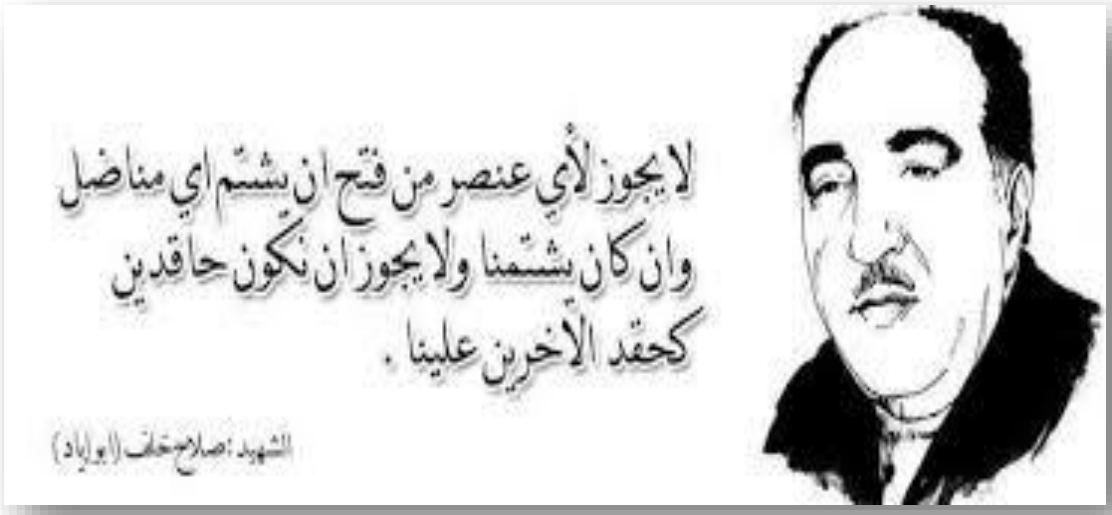

فلسطين كاملة، ويحلم بفلسطين كاملة. وعندما اخترق الرصاص جسده أصاب فلسطين كلها. لكن (الوطن) الذي ناضل أبوإياد لاستعادته وقضى من أجله يمدّ شهداءه بالحياة الجديدة مستلهما من تاريخهم ومن وصاياهم عزيمة البقاء ووسيلة الديمومة.

سيكون لنا، ذات يوم، وطن.. قالها إبواياد ومضى، بعد قرابة ثلاثة عقود من النضال في قواعد المقاومة وفي قلب قيادتها... وها هو الوطن يتشكل الآن حجرا حجرا، وشجرة شجرة، ومدينة مدينة، محتفظا برائحة الشهداء وعبق تاريخهم.

لم يكن صلاح خلف الشهيد الفلسطيني الأول، ولن يكون الأخير، لكنه واحد من الرموز النضالية المهمة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، وهو، بلا شك، واحد من أهم رموز الثورة الفلسطينية وقادتها البارزين. وفي سيرته من الولادة إلى الشهادة تلخيص للعذاب الفلسطيني وللإنجاز الفلسطيني أيضا [1].

نبذة سريعة

صلاح خلف (أبو إياد) (1933-1991) الرجل الثاني في حركة فتح، قيادي بارع، وسياسي عربي فلسطيني بارز، من مؤسسي حركة التحرير فلسطين (فتح)، وهو الى ذلك متحدث (خطيب) مفوّه، وشخصية وحدوية شاملة، وعقلية ثورية، مثل أحد رموز المعارضة الرصينة، استلم مسؤولية أمن الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية المسمى (الأمن الموحد) حتى استشهاده.

مولده ونشأته وثوريته

ولد صلاح مصباح خلف (أبو إياد) في "حي الحمام المحروق" بمدينة يافا من فلسطين يوم 1933/8/31م في أسرة متوسطة الحال أصلها من غزة ومتمسكة بالقيم والأخلاق الحميدة ذلك أن جدّه لوالده كان عالما أزهريا.

كان منذ صغره عطوفا حنونا، صادقا في مواجهة الباطل، جادّا في معاملة أقرانه، يقدّس الكرامة وعزة النفس، يُحسن الصمت، والاستماع الجيد إلى رفاقه كما كان محل تقدير واحترام معلميه.

التحق الطفل (آنذاك) بإحدى المدارس الابتدائية لتلقي التعليم الذي كان والده حريصًا على توفيره لأبنائه مثل سائر الآباء الفلسطينيين.

وفي تلك الفترة تعرّف التلميذ صلاح خلف على طبيعة الصراع بين العرب واليهود من خلال احتكاكه بأبناء (المعسكر الآخر). والتحق بأشبال النجادة[1] وهو فتى يانع، وكانت منظمة النجادة في ذلك الوقت تنظيما يسعى لمقاومة تهويد فلسطين، ويدرب أعضاءه باستخدام البنادق الخشبية نظرا لندرة السلاح.

وفي تشرين الأول عام 1945، جرب الفتى صلاح خلف الاعتقال لأول مرة، عندما داهمت شرطة الانتداب الانجليزي منزل أسرته وأصرت على اعتقاله بتهمة الاعتداء على تلميذ يهودي.

لكن يوم الثالث عشر من عام 1948، هو اليوم الأكبر تأثيرا في ذاكرة (أبو اياد)، ففي هذا اليوم هاجرت عائلته من يافا الى غزة هربا من القوات الصهيونية، وقد ركب صلاح خلف مع والديه واشقائه وشقيقاته ورهط من المهاجرين في مركب غادر ساحل يافا متجها إلى غزة تحت وابل من نيران القصف الصهيوني.

نشاطه السياسي والعمل الوطني

---

[1] تأسست منظمة النجادة -حسب الموسوعة الفلسطينية- في مدينة يافا في أواخر عام 1945م، من أجل تحقيق هدف سام، كان الشباب يتطلعون اليه وهو التدريب العسكري. وكان لوقع اسمها "النجادة" وقع محبب في النفوس، وقد اختير على غرار النجادة اللبنانية. انتخب المحامي محمد نمر الهراوي قائداً عاماً لها. وقد أعلن منذ البداية ولاء النجادة للمفتي الحاج محمد أمين الحسيني* واعتباره "رئيساً لها"، وولاء النجادة للعروبة "شعاراً رئيسياً لها". وقد اتخذ النجادة نشيدا لهم كان مطلعه: نجاد يا وجه العلا.....وخفقة العلم

كن للبلاد الأملا.....والسيف والقلم.

في غزة أكمل دراسته الثانوية وذهب إلى مصر عام 1951ليكمل دراسته العليا في دار المعلمين هناك، حيث حصل على ليسانس تربية وعلم نفس من جامعة القاهرة.

انضم صلاح خلف أثناء دراسته الثانوية في غزة إلى العمل الوطني، والتحق بخلية الطلاب بالاخوان المسلمين الفلسطينيين، وهي الخلية[2] التي تركت الاخوان بكل أعضائها لوطنيتها وثوريتها، عندما انكمش دور"الاخوان" بعيدا عن العمل الثوري.

أثناء دراسته الجامعية في مصر، نشط مع القيادي الطلابي البارز حينها ياسر عرفات الذي كان يترأس رابطة الطلبة الفلسطينيين[3] بالقاهرة، وشغل أبوإياد منصب نائب رئيس الرابطة التي ضمت عددا من القيادات الوطنية اللاحقة أمثال سليم الزعنون (أبوالأديب) وعبدالفتاح حمود وزهير العلمي، وحسني زعرب.

عاد إلى غزة مدرسا للفلسفة حيث واصل نشاطه السياسي والتنظيمي، وبدأ ينحو به منحى عسكريا، ثم انتقل أبو إياد إلى الكويت عام 1959 للعمل مدرساً، وذلك بعد أن كانت الخلية الاولى لفتح قد عقدت اجتماعها الأول عام 1957 والتي تكونت من الاخوة ياسر عرفات وعادل عبدالكريم وخليل الوزير وآخرين اثنين لم يكملا الدرب.

عند وصوله الكويت استقبله عادل عبدالكريم وكانت له فرصة، هو ورفاقه وخصوصاً ياسر عرفات وخليل الوزير وعادل عبدالكريم وخالد الحسن وأبويوسف النجار، وأبوالأديب وممدوح صيدم وغيرهم لترتيب وتنمية البناء التنظيمي لحركة فتح.

البناء التنظيمي

قام البناء التنظيمي لحركة فتح بالترابط بين الأنوية التي فكرت بذات المنحى: نواة غزة ونواة مصر ونواة الكويت، ومع الأنوية المتشابهة المتناثرة عبر العالم وكان منها نواة السعودية ونواة قطر بزعامة أبومازن وكمال عدوان، ونواة ألمانيا المكونة من أبوالهول وهاني الحسن وحيدرابراهيم وعدنان سمارة وغيرهم، ونواة الأردن بزعامة أبوماهر غنيم والشيخ عبدالمنعم أبوسردانة، وتم توحيد الجهود لكل الأنوية المتوزعة لتطوير بناء حركة "فتح" تمهيدا للانطلاقة.

كانت مجلة "فلسطيننا" برئاسة اللبناني الثائر توفيق حوري (بالحاء) الصوت المعبر عن الثورة الوليدة.

---

[2] كان من ضمنها خليل الوزير وغيرهما الكثير، ولولا جهود الشيخ هاشم الخازندار لتم تشويه الحركة الوليدة.

[3] كان فتحي البلعاوي الملقب "أبو الوطنية: من أبرز قادة ونشطاء الحركة الطلابية في تلك الفترة.

قادر على المواجهة والحسم

يعتبر أبو اياد واحدا من أبرز اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح ، وأكثرهم قدرة على خوض الصراع والمواجهة الداخلية والخارجية المتسمة بالصلابة والجرأة والحسم، ومن أبرز مبادراته التي اتخذها باسم اللجنة المركزية لحركة فتح قرار تسمية ياسر عرفات ناطقا رسميا باسم حركة فتح لقطع الطريق أمام طامعين في قيادة الحركة مع غياب أبو عمار.

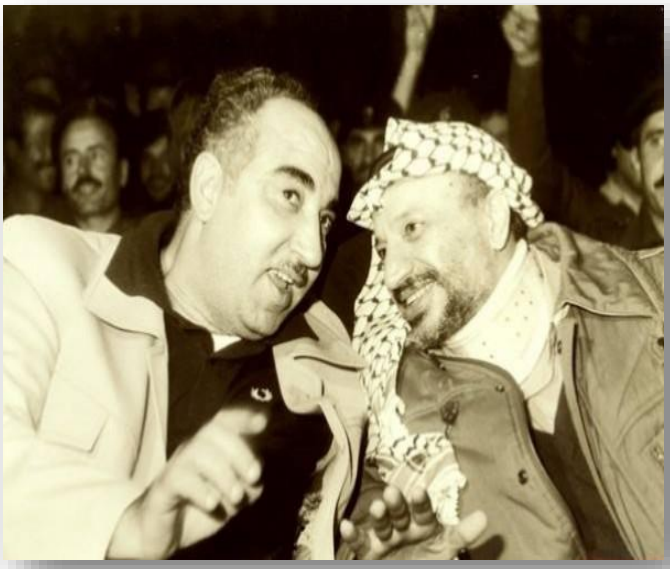

في العام 1969 بعد دخول حركة فتح في منظمة التحرير الفلسطينية، وترؤس الشهيد الخالد فينا ياسر عرفات للجنتها التنفيذية بدأ اسم أبو إياد يبرز كعضو متميز في اللجنة المركزية لفتح، ثم كمفوض لجهاز الأمن في فتح "جهاز الرصد الثوري"، ثم تولى قيادة الجهاز التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية المسمى "جهاز الامن الموحد." وكان من أبرز مساعديه عاطف بسيسو وأمين الهندي وتوفيق الطيراوي.

أبوإياد و"أيلول الأسود"

منذ عام 1970 تعرض أبو إياد لأكثر من عملية اغتيال صهيونية استهدفت حياته، وصدر كتابه الشهير (فلسطيني بلا هوية) عام 1978 كنتيجة لسلسلة من اللقاءات أجراها معه الصحفي الفرنسي الشهير"إريك رولو"، وفي الكتاب نفى أبوإياد أي علاقة مباشرة له أو لحركة فتح بمنظمة أيلول الأسود التي أرعبت العالم حينها، مارست العمليات الخارجية بعنف أوصل القضية الفلسطينية لكافة أنحاء العالم، رغم أنه دافع عن نوايا وأهداف العمليات.

أبوإياد المنظّر

يعتبر أبو اياد واحدا من أهم منظري الفكر الثوري لحركة فتح، الى جانب خالد الحسن وماجد أبوشرار، ولاحقا صخر حبش وهاني الحسن وعثمان أبوغربية.

اتسم رحمه الله بصفات عدة من أهمها سعة الافق ونفاذ البصيرة، وكان من أوائل من طرح فكرة الدولة الديمقراطية في فلسطين، التي يتعايش فيها أصحاب الأديان الثلاثة (المسلمون والمسيحيون واليهود) متساوين في الحقوق والواجبات والمواطنة. [2]

رجل أمن، ومحاور صلب

أبرز مؤسسي "جهاز الرصد الثوري" (1967-1969)، ثم جهاز "الامن الموحد" للمنظمة، حيث وصل بالجهاز الأمني إلى أرقى المستويات سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي، باعتراف خبراء الامن في العالم.

وصل بالعمل الخارجي مرتبة نافس فيها الموساد الإسرائيلي، و"السي آي ايه" الأمريكية و"الكي جي بي" السوفياتية بالرغم من الإمكانيات المتواضعة للثورة الفلسطينية.

الى ذلك كان يعتبر من أبرز المحاورين على المستويات الفلسطينية والعربية والعالمية، وكان يسمى على النطاقات النخبوية في حركة فتح ب"جارنج فلسطين" نسبة للدبلوماسي السويدي المشهور "جارنج" وذلك لقدرته الفائقة على صياغة التوجهات والاستراتيجيات وبناء التحالفات وإدارة التفاوض بشكل فائق الحكمة.

مسيرة نضال

تفرغ أبو اياد للعمل النضالي من خلال حركة فتح وتسلم مواقع عدة، وأنجز مهمات صعبة في كل مواقع تواجد الثورة في القاهرة ودمشق وعمان وبغداد وبيروت ثم تونس. فشارك في معركة الكرامة عام 1968، كما شارك في قيادة العمليات طيلة سنوات الحرب اللبنانية، وبقي في بيروت أثناء الحصار وغادرها مع المقاتلين عام 1982.

كان صلاح خلف إلى يسار الأخ القائد الرمز ياسر عرفات رفيق دربه ومساعده الأمين، وأول من كان يقوّم أخطاءه ويرفض أو يصارع لتثبيت مفاهيم وآراء المعارضين داخل الحركة في حركية إحداثه للتوازن المطلوب في جسد الحركة، فكان أول المؤيدين لمطالب الإصلاح ، وأول الرافضين للانشقاق على الحركة ما حصل عام 1983.

اغتياله

اغتاله الموساد الإسرائيلي على يد أحد العملاء[3] بتخطيط وتوجيه من صبري البنا زعيم منظمة أبونضال في 14 يناير1991 بمدينة تونس في عملية طالت أيضا القيادي في حركة فتح هايل عبد الحميد الملقب بأبي الهول والقيادي أبو محمد العمري.

كتبوا عنه

صلاح خلف القائد كان كتلة من الإيمان الصادق، والمشاعر الصادقة، والعقل الصادق، كان يتحرك بفعل هذا الصدق الظاهر في حركاته وسكناته وانقباضه وانبساطه، في عيونه وفي حركات يديه وفي تقطيب جبينه وفي طريقة إمساكه بالسيجارة. وفي رنّة صوته وفي طبقات صوته وفي طريقة خطابه عامة، في تعامله مع مرؤوسيه كوادره، كوادر التنظيم والجماهير.

كانت الآلاف والملايين تشتاق لسماع صوته وللقائه، والانصات لما يقول وكأنه يغني ويطرب أويرتل فيشجي، لأنها وضعت فيه ثقة غير محدودة نبعت من اعتقادها بصدقه، وشعورها بصدقه الذي عبّر عنه بكافة الأشكال معاملة ومحادثة، نفسيا وجسديا، فكرا وإيمانا... أعطى الناس صدقا فأعطوه ثقة، وأعطاهم فكر وأملا ومستقبلا فرسّموه قائدا وزعيما.

كان صوت صلاح خلف الجهوري الصاخب ذو البحّة المميزة جوهرة، وميزة هامة من ميزات شخصيته كما كان لحُبه اللغة العربية وإتقانها تأثيرا فيه أصيل، وكان لتطويره موهبته هذه أن أصبحت من سمات شخصيته بالإضافة لكل ما ذكرناه من سمات جسدية ونفسية وروحية.

كان صوت صلاح يعلن الحقيقة، ويتحرك في ملعب الجماهير ويسجّل أهدافا لم يبلغها أحد من رجالات الثورة الفلسطينية. وكان (أبو إياد) مع قدرته الجماهيرية الجاذبة، مهاب الجانب يتحرك في ركابه فريق عمل احترمه فحفظ له هذا الفريق الودّ، وحفظ له الوفاء وسار على دربه في مجالات عمل مختلفة وإن كان أبرزها في التنظيم وفي الأمن.

صلاح خلف بطل شعبي هو، وأيقونة ساحرة، وشذى يعطر أجواء الاختناق، وأسطورة بابلية ، وليث فلسطيني كنعاني أصيل، وشعر معتق وقلب دام بحب فلسطين ، هكذا كان صلاح خلف، ذاك العملاق الذي ودع الطفولة مبكراً على وقع أقدام المحتلين الصهاينة وخاض فيهم حربا عسكرية وسياسية وأمنية وجماهيرية حتى لقي ربه وفي جدول أعماله ودفاتر أيامه سعى محموم وعمل كثير وقلم لم يجف بعد.

لم يؤثر عليه أن كان مسؤولا للأمن الموحد في منظمة التحرير الفلسطينية ، فلم يفقد شعبية طاغية أحاطت به ، فحيث فرّق بين هذه المهمة وبين السياسي

المحنك والخطيب البارع والجماهيري المندمج مع الناس، وجعل لكل مجال عدته، أحبته الجماهير وأخلص له أصدقاؤه ومؤيدوه من حركة فتح وخارجها.[4]

هل كان شيخا صوفياً وهو الملتزم دينيا ، أم كان حكيماً أعرابيا لم يخرج عن حسان بن ثابت وامرؤ القيس والطّرمّاح ، ودِعبِل الخزاعي والمتنبي وأكثم بن صيفي ..... أم كان شابا فتيا كالبكر بنزق وصدامية طرفة ابن العبد ، وفدائية وجرأة عبد الرحمن الداخل ومحمد الفاتح وخالد بن الوليد وعزالدين القسام، أم كان بحماسة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز للحق، وجماهيرية جمال عبد الناصر وغاندي وياسر عرفات ؟!

لقد كان صلاح خلف من كل هؤلاء العظماء وأكثر ، وأصبحنا نحن هو، وأولئك وصحبهم، وشيء منا، و أكثر، فما يدخل في مجرى الدم أو الأنفاس يشكّل الخلايا فيصنع الإنسان الذي أصبح نحن.[4]

ومما كتب عنه عاطف أبوبكر شعرا في قصيدة طويلة مهداة لصلاح خلف إثر استشهاده تحت عنوان: يا راحلا للقدس، نقتتطف هذه الأبيات.

يا أيها المغدور مثلك لن أرى/ رجلاً إذا قطَعَ الوعودَ وَفاها

رجلاً إذا لمحَ الخطوبَ بدرْبهِ/ ركَلَ الخطوب برجْلهِ ومشاها

رجلاً إذا امْتُحِنَ الرجال رأيتهُ/ قحْمَ المنايا والصعاب خَطاها

رجلاً إذا ظنّوا الصعاب تُعيقهُ/ناخ المحال ظُهورهُ فرَقاها

رجلاً إذا سألوا المعالي أَيُّهَا/مِنْ بيننا تلك الصروح بناها

شارتْ إليهِ وباعتزازٍ ردّدَتْ/ذاك المسربلُ بالفخار بداها. [5]

---

[4] حول فن الحديث في سيرة قادة الثورة الفلسطينية يتعرض الكاتب بكر أبوبكر في كتابه المعنون: فن الحديث في الخطاب المؤثر والاسلوب الجذاب الصادر عام 2020 عن دار الامين في فلسطين، لكل من نماذج الحديث والخطاب لدى كل من الاخوة: ياسر عرفات ومحمود عباس وصلاح خلف وخالد الحسن وسليم الزعنون وهاني الحسن وعباس زكي، وآخرين.

[5] تصفه القيادية في حركة فتح، المقدسية نجوى عودة: أنه الأعظم في تاريخ فتح وسيبقى.

الحواشي:

[1] الرجوع لمقرر الثقافة الوطنية الصادر عن حركة فتح-التعبئة والتنظيم-فلسطين عام 2007. ولكتاب "فلسطيني بلا هوية:سيكون لنا ذات يوم وطن" ل"أريك رولو"، ومقال من الولادة الى الشهادة للكاتب فؤاد أبوحجلة في الكتاب ص259

[2] كان أول من أعلن هدف الثورة ممثلا بقيام دولة ديمقراطية لاطائفية أي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود كمواطنين متساوين في فلسطين هو أبواللطف فاروق القدومي وبدعم أخوته في القيادة وكان أبرزهم محمد راتب غنيم، ثم تلاه الطرح من قبل أبوإياد وغيرهم لاحقا. ورغم أن "أريك رولو" في كتابه سماها دولة "علمانية" فهذا كان فهمه هو، إلا أن المعنى والمبنى لدى الحركة كان واضحا أي دولة مدنية ديمقراطية للجميع دون الدخول في مهاترات فكرانية (أيديولوجية).

[3] القاتل حمزة أبو زيد تم تجنيده من قبل الموساد أثناء وجوده في أوروبا الشرقية، وخلال وجوده في الفلبين تلقى تدريبا مكثفا من قبل جهاز الموساد وتم تكليفه بالانتماء إلى تنظيم أبو نضال، حيث عرض على مسؤوليه المباشرين فكرة اغتيال أبو إياد بحجة الانتقام من عملياته التي وجهها ضد التنظيم في تلك الفترة- للرجوع لكتاب اللواء أبوالطيب حركة فتح من الانطلاقة الى الاغتيالات.

[4] من مقال عام 2012 تحت عنوان صلاح خلف حين نتنفسه. ومقال آخر صلاح خلف وصوت القائد الصادق. (اعداد لجنة التعبئة الفكرية في حركة فتح عام 2019).

- أصدر مركز صخر حبش للتوثيق والدراسات كتابا هاما عن خطابات الراحل الشهيد صلاح خلف.
- تصدر أكاديمية فتح الفكرية كتابًا/ملفًا عن شهداء اللجنة المركزية للعام 2022م.

حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس مبدأ الدولتين-رؤية الشهيد صلاح خلف " أبو إياد " [6]

ورفاقه الشهداء القائد الرمز هايل عبد الحميد "أبو الهول" والقائد أبو محمد العمري

تقديم / د. عبد الرحيم محمود جاموس، عضو المجلس الوطني الفلسطيني
مدير عام مكاتب اللجنة الشعبية لمساعدة الشعب الفلسطيني بالسعودية

الشهيد القائد صلاح خلف " أبو إياد " عضو اللجنة المركزية لحركة " فتح " والذي استشهد في تونس في 14 يناير 1991م، والذي يعتبر من أهم وأبرز القادة التاريخيين المؤسسين لحركة " فتح " إلى جانب الشهيدين ياسر عرفات وخليل الوزير وغيرهما من القادة التاريخيين، وكان يتمتع بكاريزما قيادية خاصة ميزته بين رفاقه وبين القيادات الوطنية الفلسطينية المختلفة، كان ثورياً واقعياً وصاحب رؤية ثاقبة وجريئة، لعب دوراً محورياً في تطوير الفكر السياسي الثوري الواقعي في الساحة الوطنية الفلسطينية على مدى ثلاثة عقود، استطاع أن يكون خلالها احدى اهم ضمانات الأمن والأمان لتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية وعمل على حماية منظمة التحرير الفلسطينية كإطار جبهوي جامع لكل القوى الفلسطينية، كان مؤثراً وفاعلاً في تطوير فكرها السياسي وبرامجها النضالية، فكان ركناً أساسياً في إتخاذ القرار على مستوى الكفاح المسلح وكذلك على مستوى قرار السلام، كان ذا شخصية قيادية جذابة صلبة ومحاوره ومحيره، حمل همّ شعبه الوطني مبكراً منذ وقعت النكبة الكبرى سنة 1948م.
سجل الشهيد صلاح خلف " أبو إياد " رؤيته لمستقبل القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي في مقالة هامة له بعنوان ((عودة السيف إلى غمده)) وفيها إجابته على عدد من الأسئلة المحورية والجوهرية الملحقة بها والمتعلقة برؤيته وفهمه للسلام ورؤية منظمة التحرير الفلسطينية، وقد نشرت هذه المقالة في مجلة السياسة الخارجية الأمريكية في عددها رقم (78) في ربيع 1990م أي قبل استشهاده بنحو تسعة أشهر وقبل انطلاق مؤتمر مدريد للسلام بعام ونصف

---

[6] نقوم في أكاديمية فتح الفكرية بإعداة نشر رؤية الشهيد القائد صلاح خلف أبو إياد لحل الدولتين وذلك لإطلاع الكوادر الوطنية وخصوصاً منها كادر الشباب، شاكرين الدكتور عبدالرحيم جاموس الذي زودنا بالنص، ومقدمته حين نشرت لأول مرة عام 2019 من قبله. 2022/01/14

تقريباً، ونظراً لما تتوفر عليه هذه المقالة وملحقها من الأسـئلة والأجوبة من أهمية بالغة لفهم الرؤية الفلسـطينية للسـلام مع إسرائيل ولما فيها من جرأة وبعد نظر ووضـوح في رؤيته الخاصـة للسـلام الفلسـطيني الإسرائيلي من مختلف جوانبه المرحلية والمستقبلية سياسياً وأمنياً واقتصادياً وديمغرافياً وعسكرياً ...الخ، فقد إرتأينا إعادة نشرـها كي يطلع عليها القادة والكوادر والعناصر التي لم يسـبق لهم الاطلاع عليها والذين يتحملون اليوم مسـؤولية الهم الوطني والمشرـوع الوطني وأخص بالذكر الأخوة في فرق المفاوضات المختلفة ليسترشدوا بها وبالرؤية الثاقبة والصائبة للشهيد القائد الخالد صلاح خلف حيث تجيب رؤيته على أكثر الأسئلة إلحاحاً وخطورة ودقة وتحدد الموقف الفلسـطيني من الثوابت الفلسـطينية بشفافية ووضوح وكذلك مما بات يعرف اليوم بقضايا الوضع النهائي، بل يضيف إليها رؤيته المستقبلية للوضع الفلسطيني الإسرائيلي ولمصير الحل القائم على مبدأ الدولتين وإمكانية تطويره بالإرادة الحرة والمشـتركة للطرفين والتي سـتكون على أسـاس المصـالح المتبادلة للطرفين والمتولدة عن إحلال السـلام محل العنف والصرـاع لتطوير العملية السـلمية من حل الدولتين كحل مرحلي إلى حل الدولة الواحدة أو الثنائية القومية كحل استراتيجي نهائي وفق ما ستمليه مصالح الطرفين مستقبلاً بما يضمن ويكفل لهما العيش المشترك والدائم بأمن وسلام بعيداً عن كل أشكال العنف التي ستبقى متواصلة وتلف الطرفين طالما بقي السلام بعيداً وطالما اسـتمرت القيادة الإسرائيلية في إنكار الحقائق الموضـوعية للحقوق الوطنية الفلسطينية الثابتة وغير القابلة للتصرف.

في ختام هذا التقديم المتواضع لا يسعنا إلا أن ندعو الله عز وجل أن يتغمد شهيدنا القائد (أبو إياد) وجميع شـهداء شـعبنا ممن سـبقوه أو لحقو به في مسـيرة كفاحنا الوطني وعلى رأسـهم الشـهيد الخالد الرمز ياسر عرفات وأمير الشـهداء أبو جهاد برحمته الواسـعة وأن يسـكنهم جناته وأن يجزيهم عما قدموه لشـعبهم وأمتهم وقضيتهم خير الجزاء إنه سميع مجيب.

د. عبد الرحيم محمود جاموس
الرياض : 2019/01/14م

وفي ما يلي نص المقالة :

• إعادة السيف إلى غمده[7]

بقلم : صلاح خلف (أبو إياد)
(عضـــو اللجنة المركزية لحركة فتح ومســـؤول شـــئون الأمن القومي لمنظمة التحرير الفلسطينية).

شـهد العام المنصرم تغييرات عاصـفة وغير متوقعة في النظام العالمي السـائد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ونشهد الآن قيام توازن عالمي جديد لم تتضح معالمه بعد وسيتأثر العالم كله بما في ذلك الشرق الأوسط بالنظام الجديد.
ورغم هذه الفترة المضـــطربة فإن الشـــعب الفلســـطيني وممثله منظمة التحرير الفلسطينية يرون وجود فرص جديدة للسلام في الشرق الأوسط. ومع نجاح حركة التغيير في الإتحاد السـوفياتي وأوروبا الشرقية وجنوب أفريقيا وغيرها في إزالة النظم العفنة والمعتقدات المتحجرة، فإن شعب فلسطين جزء من هذه العملية التاريخية بالرغم من خصوصية الظروف والتحديات التي يواجهها.
ولقد طرحت عملية التغيير قضـــايا كبيرة مثل حق تقرير المصـــير والحرية وحقوق الإنسان، ولا يمكن للنضال الفلسطيني أن يظل معزولاً وسط بيئة عالمية تقر بتلك الحقوق لكافة الشعوب.
وضـمن هذا الإطار فإن م.ت.ف تعتبر برنامجها السـياسي الراهن القائم على القبول بدولتين فوق أرض فلسـطين المتنازع عليها منذ قرن كامل، مضـافاً إليه الانتفاضـة غير العسـكرية لشـعبها في الأراضي المحتلة، أمرا متماشـيا مع روح العصر، وينطلق قرار م.ت.ف بالاعتراف بإسرائيل والدعوة إلى إقامة دولة فلســطينية مســتقلة على جزء فقط من أرض آبائنا وأجدادنا القدماء من اعتبارات براغماتية بحتة تتمثل في الانفتاح والاســـتعداد بالتخلي نهائيا عن الخلافات والتوجهات والافتراضـــات القديمة.
وتؤمن م.ت.ف بأن مبادرتها الســـلمية قد اخترقت " حائط برلين " الذي كان يقف عقبة كبيرة في وجه تسوية النزاع، وأضحت الآن مهمة كل الذين يسعون حقا للسلام توســعة ذلك الاختراق لإزالة الحواجز المتبقية في وجه حياة حرة ومســالمة للعرب واليهود في الأراضي المقدسة.
ولم تمر القضية الفلسطينية في تاريخها بظروف دولية ومحلية أكثر ملاءمة للتسوية في الظروف الراهنة، فقد خفت حدة التنافس الكوني بين القوى العظمى إلى درجة كبيرة، كما تم تخفيض سباق التسلح وأخطار الدمار النووي إلى حدها الأدنى وتظهر

---

[7] نشرت هذه المقالة في مجلة السياسة الخارجية الأمريكية في عددها رقم (78) في ربيع 1990م

القوتان العظيمتان استعدادا للتعاون لتسوية النزاعات الإقليمية كما حصل في أفغانستان وانجولا وكمبوديا وغيرها، ويرى الغرب أن " التهديد السوفياتي " يكاد يزول تماما نتيجة التغييرات الداخلية العميقة التي يمر بها الإتحاد السوفياتي، ونتيجة لقيام السوفيات بإعادة تقييم لالتزاماتهم في العالم الثالث، كما أن الشيوعية كعقيدة تعيش في حالة احتضار في الوقت الذي يتم فيه إعادة التأكيد على القيم الإنسانية الأساسية.

ويرى البعض بأن حقبة الوفاق الدولي الجديدة والتغييرات المصاحبة لها ستؤدي إلى تخفيف الضغوط على إسرائيل للتوصل إلى تسوية، ولكن م.ت.ف ترى الأمور بشكل مختلف فرغم أن احتمالات وقوع حرب عالمية بسبب أزمة الشرق الأوسط قد تضاءلت، فإن استمرار النزاع سيولد بالضرورة أخطارا محلية على إسرائيل وعلى المصالح الحيوية للعالم الغربي في المنطقة.

ومن بين هذه الأخطاء العودة إلى التطرف القومي (الواضح فعلا في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي)، وتصاعد الأصولية الإسلامية حتى في أوساط الفلسطينيين، وتزايد خطر الحرب النووية والكيماوية او البيولوجية (خصوصا على ضوء جهود إسرائيل الهائلة في هذه المجالات)، وأخيراً زيادة عدم الاستقرار الداخلي في دول الشرق الأوسط المقربة من الغرب.

وقد لا يكون حل القضية الفلسطينية بمفردة كافيا لإزالة كل تلك المخاطر ولكنه بالتأكيد سيسهم إلى حد كبير في نزع فتيل التفجير منها، والأمر المؤكد هو أن غياب حل منصف للقضية سيضاعف من التوترات القائمة والمحتملة إلى درجة قد تصبح معها السياسات البراغماتية والعلنية المماثلة لسياسة م.ت.ف الحالية غير ممكنة وغير ذات معنى.

ويلقي هذا الوضع عبئا فريدا على الإسرائيليين الذين ما زالوا يعارضون التسوية، ويظهر الضرورة القصوى لاستمرارية مشاركة الولايات المتحدة في لعب دور بناء في عملية السلام، وتشكل سياسات الحكومة الإسرائيلية الحالية انتكاسة من حيث عودتها للنظام الفكري والسياسي القديم متحدية بذلك كافة التغييرات الايجابية التي تجري على نطاق عالمي، ولم تعد الفكرة القائلة بامكانية استمرار حكم كولونيالي إلى أجل غير مسمى لشعب مصمم على نيل حريته وتقرير مصيره بنفسه فكرة مقبولة أو قابلة للحياة مع إشراف القرن العشرين على نهايته، ولكن هذا بالضبط ما تقدمه خطة شامير، نسبة إلى رئيس وزراء إسرائيل اسحق شامير، للفلسطينيين في مقابل استعدادهم للتفاوض وإنهاء النزاع على أساس الاعتراف المتبادل.

التردد الأمريكي

ان الحقيقة المذهلة والمؤلمة في آن واحد لا تتمثل في موقف شامير وأمثاله من الاسرائيليين وإنما تتجلى في موقف الولايات المتحدة، وبينما بذلت م.ت.ف كل جهد ممكن من جانبها لإظهار حسن النية والمرونة تجاه الولايات المتحدة، نجد

الأخيرة غير راغبة أو غير قادرة على الابتعاد عن المواقف والسياسات الإسرائيلية الرسمية الأكثر تطرفاً، وبدلاً من أن تصغي الإدارة الأمريكية للأصوات الإسرائيلية العاقلة من أمثال أبا إيبان وعيزرا وايزمن ويهشوفاط مركابي وغيرهم قامت بتبني خطة شامير بكاملها، والواقع أن الولايات المتحدة لم تظهر حتى الآن أي قدر من الحياد أو الإنصاف في تعاملها مع القضية الفلسطينية.

فقد وعد الرئيس ريجان علنا بحوار " بناء وشامل " مع منظمة التحرير عند اتخاذه لقرار إجراء محادثات أمريكية – فلسطينية في ديسمبر / كانون أول 1988م، ولكن في الحقيقة لم يتم بحث أي مواضيع جادة حتى الآن، كما ترفض الولايات المتحدة الإجابة عن الأسئلة الجوهرية في المحادثات في الوقت الذي قامت به إدارة بوش من جانب واحد بتخفيض مستوى الحوار الأمريكي – الفلسطيني.

ونتيجة لذلك فإن منظمة التحرير الفلسطينية ليس لديها أي تصور واضح أو عميق لسبب امتناع الولات المتحدة عن تأييد الحل القائم على دولتين في فلسطين، أو للأسباب الكامنة وراء اعتراض الولايات المتحدة على ذلك الحل، وهذه المسألة جوهرية بالنسبة لمنظمة التحرير، وبالتالي فإنها حريصة على توضيح أبعادها.

تشعر م.ت.ف بانها قد نجحت في إثبات نواياها الحسنة، وإن بإمكان الولايات المتحدة عمل المزيد لإثبات أنها غير مقيدة تماما بفعل علاقتها الخاصة بإسرائيل، ويأتي إحياء وتقوية الحوار في تونس ضمن السياق المطلوب، ولكن الأهم والأكثر واقعية ضرورة قيام الولات المتحدة بالتأكيد على موقفها الرافض لسياسة إسرائيل الاستيطانية في الأراضي المحتلة، واتخاذها لإجراءات تضمن وضع حد لكافة السياسات الاستيطانية في تلك المناطق تماشيا مع ما أعلنه جيمس بيكر وزير خارجية أمريكا في مايو / أيار 1989م.

ومن المسائل الهامة الأخرى في هذا الصدد مسألة الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي، ومن المعروف أن القضية المركزية في مجال حقوق الإنسان بالنسبة لأمريكا ولسنوات طويلة كانت ضمان حرية الهجرة للهيود السوفيات، ولكن في نفس اللحظة التي رفع فيها الاتحاد السوفياتي الحظر المفروض على هجرة اليهود السوفيات قامت الولايات المتحدة من خلال التنسيق مع إسرائيل بإغلاق أبوابها في وجه أولئك المهاجرين متجاوزة بذلك " حقوق الإنسان " والرغبات أو التفضيلات الخاصة للمهاجرين، ولقد اغتنم شامير فرصة وفود آلاف المهاجرين في تبرير تمسكه بسياسة " إسرائيل الكبرى " مستخدما إياها في الوقت نفسه كرد حاسم على المشاغل الديمغرافية " السكانية " التي تقوم عليها سياسة حزب العمل الأرض مقابل السلام ولا يمكن للفلسطينيين أن يصدقوا الولايات المتحدة بأراضيها الواسعة ومواردها الهائلة أنها تعجز عن امتصاص عشرات الالآف من المهاجرين سنوياً.

ولا يمكنهم أن يصـــدقوا كذلك أنه لا تترتب أية أخطار على توريد تلك الأعداد إلى إسرائيل، آخذين بالاعتبار ميل القيادة الإسرائيلية الحالية إلى توسيع نطاق تواجدها الاستيطاني " الكولونيالي " في المناطق المحتلة.
وكذلك لا يمكن للفلســطينيين أن يســتوعبوا تأييد الولايات المتحدة لحق اليهود الســوفيات في الذهاب إلى إسرائيل ومعارضــتها لحق الفلســطينيين في العودة إلى أرضـهم، وبالتالي فإن م.ت.ف تدعو الولايات المتحدة إلى مراجعة قرارها بالحد من الهجرة اليهودية إليها نظراً لتأثير تلك الهجرة الخطيرة في حال اســتمرارها على النزاع وعلى آفاق السلام.
وان بادرة كهذه كفيلة بإظهار صــدق النوايا الأمريكية تجاه الفلســطينيين بدون أن تؤدي إلى توتير العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية، كما إن بادرة كهذه ســتكون مؤشراً على تصــميم الولايات المتحدة علىالابتعاد ولو بمقدار بســيط عن الســياســة الإسرائيلية المتطرفة والمعرقلة للسلام.
ورغم أن هذا الأمر قد يبدو غريبا لأول وهلة، فإن لإسرائيل والشــعب الفلســطيني أهدافا متشــابهة يمكن التوفيق بينها، فإسرائيل تريد ان تكون ســيدة مصــيرها أي دولة مســتقلة وآمنة تعيش بســلام مع جيرانها، ونحن لا نطالب لأنفســنا بأكثر من تلك الحقوق.
ان حكومة إسرائيل تؤمن بأن أهداف كل من الدولتين المقترحتين متعارضــة وتنفي إحداهما الأخرى، فهي ترى بأن اســتقلال وأمن وســلام إسرائيل مســألة ممكنة التحقيق فقط في حال حرمان الفلســطينيين من تلك الحقوق أو في حال تقييد حق الفلســطينيين في تلك الأمور تقييدا شــديدا ولكن الفلســطينيين يؤمنون الآن بأن مصـير مسـاعي الشـعبين للاسـتقلال والأمن والسـلام متشـابك أو متداخل فإما أن ينجحا معا أو يفشلا معاً.
وان خطة الســلام الفلســطينية مبنية على ذلك الاعتقاد وعلى تلك القناعة، وتم تقـديم تلـك الخطـة إلى إسرائيـل في نوفمبر / تشريـن الثـاني 1988م بعـد أن تبنى المجلس الوطني الفلسطيني وهو أعلى سلطة سياسية للشعب الفلسطيني، قرارات تدعو إلى حل يستند إلى قيام دولتين في فلسطين والى تقسيم أرضها بين الشعبين.
والخطة الفلسـطينية بسـيطة، ان إسرائيل سـتعيش بسـلام مع الدولة الفلسـطينية التي ستقوم في الضفة الغربية وقطاع غزة وعاصمتها القدس الشرقية، ان هذا الحل النهائي ســيكون جزءا من اتفاق عربي – إسرائيلي شــامل يحقق الســلام بين الدولة الإسرائيلية والدول العربية، وبالتالي تزول هواجس إسرائيل الأمنية من ناحية ويتفرغ العرب لاستثمار مواردهم وطاقاتهم في بناء مستقبل مزدهر وآمن لأولادهم، وضمن إطار ذلك السـلام الشـامل سـيكون الفلسـطينيون مسـتعدين لتقبل أي ضـمانات وترتيبات أمنية محلية أو إقليمية أو دولية لا تمس ســيادة أي دولة من الدول المعنية.

وكانت منظمة التحرير الفلسطينية تدرك أثناء تقديمها لخطة السلام الخاصة بها مدى الصعوبات التي ستواجهها والتي يأتي في مقدمتها ضرورة إزالة العوائق النفسية الموجودة لدى الإسرائيليين والفلسطينيين قبل بدء أي مفاوضات جادة، ويدرك الفلسطينيون أن ما يزيد على نصف قرن من الكره والخوف وسفك الدماء مسألة لا يمكن تجاوزها بوثيقة واحدة أقرها مجلسهم الوطني، ولقد عبر العديدون في إسرائيل وفي الغرب عن شكوكهم تجاه نوايانا الحقيقية، ولا بد من التغلب على هذه الشكوك، سواء كانت مبررة أو غير مبررة، اذا أريد لحلقة الموت والدمار أن تتوقف، وكان ذلك هدف م.ت.ف الرئيس طوال العام الماضي.

ولقد عملنا خلال الفترة المذكورة بدون أية مساعدة، لا بل أحيانا في مواجهة معارضة نشطة، من قبل الأطراف الأخرى المعنية بالنزاع في محاولة إعطاء إجابات على الأسئلة الحائرة لشعبنا ولإسرائيل وليهود العالم وللرأي العام العالمي، وبينما لا يزال بعض الفلسطينيين يتشككون في مدى صدق نوايا إسرائيل حول رغبتها في السلام، فإن العديد من الإسرائيليين لا يزالون مقتنعين بأن منظمة التحرير منخرطة في خطة شيطانية هدفها النهائي تدمير إسرائيل وهذه القناعة وللأسف الشديد تجد من يتبناها في الغرب.

وفي التحليل النهائي، لن يطمئن الفلسطينيون إلى نوايا إسرائيل الحقيقية إذا لم تقر لهم بحق تقرير المصير، ولن يقتنع الإسرائيليون بأن م.ت.ف تسعى للعيش معهم بسلام إلا عبر الممارسة الفعلية للحياة السلمية بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ولكن إلى أن يتحقق ذلك الأمر للطرفين ستظل عملية السلام معرضة للإجهاض من قبل المتشائمين والرافضين في الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني قبل أن تستكمل عملية توليد الثقة اللازمة للحؤول دون الانزلاق مرة أخرى إلى دائرة العنف، ولا بد من الرد على كافة الظنون والشكوك.

لقد تنازلت منظمة التحرير عن حلمها في إقامة دولة ديمقراطية عربية – يهودية في فلسطين ما قبل 1948م، ولقد فعلنا ذلك بعد إدراكنا أن ذلك الحلم ممكن التحقيق فقط في حال وجود إجماع عربي – يهودي عليه، ولا يمكن بناء دولة موحدة ثنائية القومية بدون موافقة القوميتين، ولن تكون الدولة الموحدة ثنائية القومية قادرة على الحياة إذا فرض أحد طرفيها قيامها بالقوة على الطرف الآخر.

وقد يأتي اليوم الذي يقرر فيه يهود إسرائيل وعرب فلسطين، نتيجة للثقة المتبادلة التي تولدها فترة من التعايش السلمي والتعاون، إقامة شكل من أشكال الاتحاد فيما بينهم لأنه يخدم مصالحهم، ولكن إلى ان يحين ذلك اليوم يظل أفضل سبيل لحفظ مصالح كل من الشعبين بقاؤهما منفصلين كل في حاله.

ولم تتنازل منظمة التحرير الفلسطينية عن الحقوق الأساسية لشعب فلسطين، وليس في نيتها ان تتنازل عن تلك الحقوق، ولقد أصدرنا اشارات كثيرة عديدة لإثبات جدية مبادرتنا السلمية، فقد احتفظنا بحقنا في مقاومة الاحتلال بكافة السبل ولكن انتفاضتنا اعتمدت أشكال النضال غير العسكري رغم أن البنادق

الإسرائيلية مستمرة في قتل الفلسطينيين، ولقد اعترفنا بقراري الأمم المتحدة 242 و 338 وقمنا بإدانة الإرهاب بكافة أشكاله، وقبلنا حق إسرائيل في الأمن والسلام رغم استمرارها في إنكار ذلك الحق لشعبنا، كما أعلنا عن استعدادنا للجلوس مع أي مسؤول إسرائيلي لبحث خلافاتنا بالرغم من أن القانون الإسرائيلي يحرم على المواطنين الإسرائيليين أي شكل من أشكال الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية.
ولكن يجب الا يساء فهم المرونة التي أظهرناها حتى الآن على أنها تشكل استعدادا للتنازل عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره في أرضه في القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة، فهذا تنازل لن نقدمه أبداً من جانب واحد أو بأي شكل آخر، وكلما أدرك الجميع ذلك مبكراً كلما اقترب إحلال السلام في الشرق الأوسط.
إن منظمة التحرير الفلسطينية ليست على استعداد لعقد اتفاق منفصل مع إسرائيل على حساب الدول العربية الأخرى.
وتسعى منظمة التحرير إلى حل فلسطيني – إسرائيلي كجزء لا يتجزأ من تسوية عربية إسرائيلية يتم التفاوض حولها في مؤتمر دولي للسلام وذلك لضمان تسوية دائمة وثابتة لكل الأطراف المعنية.

إجابات ل"إسرائيل"

لابد لمنظمة التحرير الفلسطينية من تقديم اجابات علىالأسئلة الرئيسية التي يطرحها الإسرائيليون ويهود الشتات وأنصارهم في أوروبا والولايات المتحدة :
ان اقتراح مشروع حل يقوم على إنشاء دولتين في فلسطين ليس مرحلة أولى في خطة لتصفية الدولة اليهودية، فإن خطة كهذه لا بد وأن تقوم على ثلاث افتراضات وهي: (1) ان الشعب الفلسطيني المحكوم حاليا بيد حديدية سيقرر ذات يوم اخضاع شعب آخر يوازيه أو يفوقه عدداً (2) ان الدولة الفلسطينية الصغيرة التي ستنشأ في الضفة الغربية وقطاع غزة ستحظى مستقبلا بقوة عسكرية قادرة على هزيمة أقوى دولة في الشرق الوسط (3) ان المجتمع الدولي سيقف متفرجا وهو يشاهد تصفية الدولة اليهودية، ان هذه الافتراضات تصور الفلسطينيين على أنهم اساطين في الخداع والمكيدة وصانعي معجزات وتصف العالم ككل بالافلاس الأخلاقي التام، وبالتالي لا تشكل تلك الافتراضات الثلاث أي أساس لرفض عرض سيؤدي قبوله إلى إحلال السلام والازدهار في الشرق الأوسط، ان الحل القائم على دولتين في فلسطين والذي تبناه المجلس الوطني الفلسطيني يبز (يتفوق على) هدف الدولة الواحدة المنصوص عليه في الميثاق الوطني الفلسطيني، كما أن قبول إسرائيل بمقترح الدولتين يبز (يتفوق على) التزامها بإقامة " إسرائيل الكبرى ".
.. لن تكون الدولة الفلسطينية قاعدة لأي عمليات إرهابية فلسطينية أو غير فلسطينية ضد إسرائيل، وبما أن منظمة التحرير تتوقع عدم ثقة إسرائيل بكلامها حول هذه النقطة، فإن المنظمة ترى ضرورة النص على ترتيبات أمنية وتوقيع إتفاقات أمنية حول التعامل مع أي حالات اعتداء إرهابي على إسرائيل.

.. من الصحيح إن الموافقة على مبادرة م.ت.ف للسلام أو على سياستها لم تصدر عن جميع الفلسطينيين ولا عن كافة المنظمات الفلسطينية.
فبعض الفلسطينيين داخل وخارج الأراضي الفلسطينية المحتلة أصدروا تصريحات معارضة لسياسة م.ت.ف وقاموا بأفعال تتعارض مع موقفها، وان م.ت.ف ترفض تلك التصريحات وتتبرأ من تلك الأفعال، ولكن وجود أقلية رافضة أمر متوقع ولا يجب أن يؤخذ كدليل على عجز منظمة التحرير عن الوفاء بالتزاماتها، فمنظمة التحرير المدعومة بالغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة وفي الشتات لديها السلطة للتوصل إلى السلام ولديها القوة لتثبيت ذلك السلام، ولا يأتي التحدي الحقيقي لقدرة م.ت.ف على تحقيق السلام في الواقع من المنظمات الفلسطينية الرافضة وإنما يأتي من الإسرائيليين أو من غيرهم نتيجة لإحباطهم لآمال الشعب الفلسطيني، وإذا نجحوا في قتل أو سحق آمال الفلسطينيين في السلام فلا يمكن لأي قوة منع إغراق الشرق الأوسط مرة أخرى في مستنقع العنف.
.. الأردن ليس فلسطين، ولا يمكن للفلسطينيين أو للأردنيين أن يقبلوا بالضفة الشرقية بديلا عن وطن فلسطيني، وإن قادة إسرائيل الذين اعتادوا على المناداة بذلك، بمن فيهم شامير يهدفون عن سابق وعي وتصميم إلى زعزعة استقرار المنطقة، وهكذا يتضح ان التهديد الحقيقي لاستقرار الأردن لا يأتي من الفلسطينيين بل من إسرائيل بالرغم من حجج الذين يجادلون بعكس ذلك، ولا تقل فكرة فرض اتحاد كونفدرالي أردني – فلسطيني بالقوة خطورة عن القول بأن الأردن بديل لفلسطين فالاتحاد الكونفدرالي يفترض وجود دولتين أو أكثر تتفق فيما بينها على إقامته، وأي اتحاد يقوم بين دولة ولا دولة إنما هو نوع من الاغتصاب أكثر منه كونفدرالية وبالتالي سيظل مزعزعاً، ولذا لا بد للاتحاد الكونفدرالي الأردني – الفلسطيني أن ينتظر قيام دولة فلسطينية قادرة على أن تقرر بمحض إرادتها إقامة اتحاد كونفدرالي مع الأردن بافتراض توصل الشعب الأردني إلى نفس القناعة، وبعد هذا التوضيح يمكننا القول أن م.ت.ف ترحب بقيام إتحاد كونفدرالي أردني – فلسطيني بموافقة الناخبين في كلا الدولتين، وقد تبنى المجلس الوطني الفلسطيني مرارا قرارات بهذا المعنى.
قد لا تكون دولة فلسطينية في القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة كافية بذاتها لحل مشكلة ملايين اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في ظل أوضاع لا انسانية في مخيمات متفرقة في العالم العربي، وبالتالي ستظل القضية الفلسطينية تهدد السلام في الشرق الأوسط إلى أن يتم حل مشكلة فلسطيني الشتات، ولذا فإننا نصر على إدراج " حق العودة " على جدول المفاوضات الخاصة بتسوية النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي.
وإذا خلصت النوايا لدى أطراف النزاع يمكن حل تلك المشكلة بالشكل الذي يخدم المصالح الحيوية لإسرائيل وفلسطين والمنطقة.

وأخيرا في معرض الاجابة على الذين يتساءلون عما إذا كان هناك بديل عن الانتفاضة نقول نعم يوجد، فالانتفاضة ثورة فلسطينية غير مسلحة قامت في وجه فقدان الفلسطينيين لحقوقهم ولأراضيهم وهي ستتوقف في اللحظة التي يتم فيها تقديم وعد أو التزام أكيد للفلسطينيين حول حقوقهم السياسية بما فيها حقهم في تقرير المصير في القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة، ولن تتوقف الانتفاضة بناء على أي وعد مبهم ببدء مفاوضات تستبعد حق تقرير المصير، وللأسف نجد ان وعوداً مهمة كهذه تشكل جوهر مقترح السلام الإسرائيلي.

ومن أبرز مكونات المقترح الإسرائيلي للسلام القول " ان إسرائيل تعارض إنشاء دولة فلسطينية في قطاع غزة وفي المنطقة الواقعة بين إسرائيل والأردن " والخطة الإسرائيلية كلها موجهة نحو انكار الحقوق السياسية للفلسطينيين.

وهكذا فإن إسرائيل ترفض التعامل مع منظمة التحرير كما أكد شامير مرارا أن المنظمة تريد دولة فلسطينية كما ترفض إسرائيل التحدث إلى أي شخص تختاره منظمة التحرير للسبب نفسه.

وعلاوة على ذلك تقترح إسرائيل إجراء انتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة لاختيار فلسطينيين يتولون إدارة شؤون " الحياة اليومية " في المناطق المحتلة، باستثناء الشؤون الأمنية والخارجية وكل ما يتعلق بالمواطنين الإسرائيليين، وبكلام آخر فإن إسرائيل تريد من فلسطينيين منتخبين " إدارة " الأراضي الفلسطينية في ظل الاحتلال العسكري وعلى أساس أن نصف مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة التي تمت مصادرتها ستبقى في أيدي المستوطنين الإسرائيليين الذين يشكلون الآن 4% فقط من سكان المناطق المحتلة، والذين لن يكونوا خاضعين للسلطة الفلسطينية كما تطالب إسرائيل بإبقاء الضفة الغربية وقطاع غزة مفتوحين أمام المزيد من الاستيطان الإسرائيلي.

وتشترط إسرائيل إنهاء الانتفاضة للسماح بإجراء الانتخابات وتقول إسرائيل إنه لا بد من إنهاء الانتفاضة على الرغم من أن الوضع النهائي للأراضي المحتلة كما تراه لن يتضمن حق تقرير المصير، علاوة على أن إسرائيل لن تبحث ذلك الوضع النهائي - ما دون حق تقرير المصير - قبل مضي ثلاث سنوات على إنهاء الانتفاضة وإجراء الانتخابات، وهكذا ينص مقترح السلام الإسرائيلي على أن الهدف النهائي للمحادثات حول حل دائم للقضية الفلسطينية هو تحقيق السلام مع الأردن وليس مع الفلسطينيين.

وما تزال إسرائيل ترفض أن تبحث مع أي فلسطيني سواء رشحته منظمة التحرير أو لم ترشحه، أي أمر سوى شكليات ومتطلبات إجراء الانتخابات، وبكلام آخر فإن إسرائيل ترفض أي محاولة فلسطينية لاستكشاف الأهداف النهائية للانتخابات كما ترفض أي حوار عقلاني معها هدفه إقناعها بتعديل أفكارها غير المقبولة من الفلسطينيين.

وتسـمي إسرائيل كل هذا مبادرة سـلام، وبوجود هكذا مبادرة سـلمية فمن يحتاج لإعلان الحرب ؟ ان منظمة التحرير الفلسـطينية تحث الحكومة الإسرائيلية في مراجعة موقفها.
ان لإسرائيل الحق في الاسـتقلال والأمن والسـلام، لكنها تقلل من ذلك كله بإنكارها الحق نفسـه على الفلسـطينيين، إن الفلسـطينيين يمدون يدهم، ونحن نأمل بأن يتقدم أصحاب الرؤية السليمة والشجعان على الجانب الإسرائيلي بيد ممدودة لنا في المقابل وقبل أن يفوت الأوان.

—

ملحق المقال :

- أسئلة وأجوبة أبو إياد

س: ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين أوضاع منظمة التحرير والفلسطينيين اليوم مقارنة بأوضاع اليهود في فلسطين قبل عام 1948م ؟
ج: يمكننا أن نرى مجموعة من الاختلافات والأمور المتشـابهة بذلك، في عام 1948م توصل اليهود إلى الاستنتاج أن الوقت كان مناسبا لإقامة دولتهم المستقلة في فلسـطين واعتمدوا في اسـتنتاجهم هذا على ما رأوه من قدرة الشـعب اليهودي سـواء في فلسـطين أو في الخارج لدعم ومؤازرة تلك الدولة، وكذلك على اسـتعداد الدول الكبرى للاعتراف بشرعيتها، إن القاعدة الحسابية البسيطة وراء ذلك القرار هو ان " البيشوف " – ستتمكن بواسطة الدعم الدولي من الاستمرار في مساعيها للتغلب على المقاومة الفلسـطينية – العربية بالقوة إذا كان ذلك ضروريا والآن بعد 40 عاما نشـعر بأننا نعيش في موقف مشـابه إلى حد ما، وبالرغم من أننا لا نملك القدرة العسـكرية على الأرض والتي كانت قد مكنت القيادة اليهودية من فرض دولتهم الجديدة بقوة السلاح، لكننا نشعر أن الانتفاضة من جانب والتأييد الدولي المتزايد من جانب آخر، قد خلقت الظروف المناسـبة والملائمة لتحقيق هدفنا، وبنفس الوقت نختلف بشـكل كبير عن القيادة اليهودية في أننا قمنا بتحديد هدفنا بوضوح في تأسيس دولة على جزء من وطننا التاريخي والتي سوف تعيش بسلام مع جارتها اليهودية ضـمن إطار حل شـامل للنزاع، وبالمقارنة لم تقم القيادة اليهودية عام 1948م بتحديد أهدافها النهائية بالنسبة للأرض ولم تقم أية حكومة إسرائيلية لاحقة بتحديد ذلك حتى اليوم، وما تزال الحكومة الإسرائيلية اليوم ترفض فكرة الحل الذي يرتكز على إنشاء دولتين والذي نعتقده انه الأساس نحو تحقيق سلام دائم وعادل في المنطقة.
س: غالبا ما يقال في إسرائيل وبلدان اخرى " منظمة التحرير في الخارج وخصوصا أغلبية قياداتها ينتمون إلى مناطق تقع الآن داخل إسرائيل ولذلك لا يمكن الاطمئنان إلى أنهم سيكونون مقتنعين بدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة، في هذا السـياق، يعتبر الإصرار على جميع " قرارات الأمم المتحدة " وعلى " حق العودة "

لجميع الفلسطينيين تعبيرات مخففة لرغبات وطموحات الفلسطينيين في أرضهم جميعها ومطالبتهم المستمرة بأجزاء إسرائيل، فما هي وجهة نظر م.ت.ف الحقيقية والدقيقة حول الطريقة المناسبة للتعامل مع مسألة حق العودة ؟

ج: إن مسألة " حق العودة " مسألة حرجة لكنها ليست عقبة لا يمكن تجاوزها في سبيل تحقيق حل كما تحاول إسرائيل تصويرها، إن موقفنا هنا أن " الحق في العودة أو التعويض " (وغالباً ما يتم تجاهل القسم الثاني من العرض) قد أصبح شرعيا بقرارات متلاحقة من الأمم المتحدة بدأت بقرار الجمعية العامة رقم 194 عام 1948م ، ويرتكز القرار على الظلم الكبير الذي وقع على الفلسطينيين عام 47-1948م كنتيجة لإقامة وترحيل مليون فلسطيني من وطنهم، وبالرغم من ذلك فإننا لا نتصرف بغير واقعية حينما تثار مسألة تطبيق مثل هذا الحق، فمن ناحية، نقبل حقيقة أن العودة الكاملة غير ممكنة، على الأقل لأن إسرائيل أزالت حوالي 400 قرية وبلدة فلسطينية في الفترة 1947م – 1949م وذلك لجعل مثل هذه العودة أمراً مستحيل التحقيق، وبالاضافة إلى ذلك، فإنه ليس مؤكداً إطلاقاً وجود أعداد كبيرة من الفلسطينيين ترضى بالعودة للعيش تحت الحكم الإسرائيلي، خصوصاً في حال وجود دولة فلسطينية كخيار بديل وبنفس القدر فإننا ندرك ان إسرائيل لن تقبل أعداداً كبيرة من الفلسطينيين العائدين وذلك حتى لا يختل التوازن الديمغرافي في غير صالح اليهود.

وعلى الرغم من ذلك فإننا نعتقد أنه من الضروري أن تقبل إسرائيل بمبدأ حق العودة أو التعويض مع تفصيلات مثل هذا الأمر مفتوحة للتفاوض.

وهذا الأمر سوف يضمن أن يكون للفلسطينيين في الشتات والمخيمات مصلحة مباشرة في حل يرتكز على إنشاء دولة في الضفة الغربية وغزة فقط.

وإذا أهملت شكاوى هذا الجزء الحيوي من الشعب الفلسطيني ولم يتم تعويضه عن الأذى المعنوي الذي لحق به، فإن أي تسوية تتم ستكون مهددة وغير مستقرة، ولذا ومن أجل تقليل التذمر وعدم الرضى لدى الفلسطينيين فإننا نعتقد أن إسرائيل يجب أن تكون على استعداد لمناقشة حق العودة، بينما سنكون نحن من جانبنا مرنين بشأن تطبيقه ونتوقع أيضا أن يلعب المجتمع الدولي دوره الكامل فيما يتعلق بمسألة التعويض ولا نتوقع أن يتحمل طرف واحد هذه المسؤولية لوحده.

س: لقد قامت منظمة التحرير بشجب الارهاب بالرغم من تشديدها على حق الفلسطينيين المشروع في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ويتم التعبير عن هذه المقاومة تقريبا يوميا من خلال الانتفاضة التي يقوم بها الفلسطينيون في الضفة الغربية وغزة والذين يواجهون جهودا إسرائيلية تهدف إلى معاقبتهم وافهامهم أنه لا يمكن الضغط على إسرائيل لاجبارها على تقديم تنازلات سياسية . إلى أين ستقود هذه الدائرة ؟ وهل هناك من بديل ؟

ج: إننا نعتقد أنه من حقنا – مثلنا مثل الشعوب الأخرى – أن نقاوم الاحتلال بما نراه من طرق وأدوات مناسبة . ولقد قامت الانتفاضة بتطوير أساليب خاصة بها في

مقاومة الاحتلال . ولقد كنا وما نزال واضحين بشأن الحاجة للالتزام بسياسة عدم استخدام السلاح من خلال الانتفاضة، ففي الوقت الذي نتوقع فيه أن تتصاعد الإجراءات الإسرائيلية التعسفية فإننا نعتقد ان الحركة الشعبية في الأراضي المحتلة لا يمكن سحقها سواء بالأسلوب العسكري او الأساليب الأخرى، إن شعبنا مصمم على الاستمرار في كفاحه حتى يتحقق له حق تقرير المصير ويصبح الحل في قيام الدولتين حقيقة واقعة.

ومن هذا المنطلق فإننا نرى أن الانتفاضة لا يمكن القضاء عليها وأنه لا يمكن العودة إلى الأوضاع التي كانت سائدة قبل ديسمبر كانون أول عام 1987م، فعلى مدى العشرين سنة الماضية كان أي عمل من أعمال المقاومة يصنف على أنه عمل " ارهابي " وكان يقال لنا أن الاحتلال الإسرائيلي كان " كريماً وحميداً " وأن مستوى المعيشة في الضفة الغربية وقطاع غزة يجعل الفلسطينيين راضين بالأوضاع التي كانت سائدة، ولقد تم الآن إثبات أن هذا الأمر ليس صحيحاً بالمرة وأن البديل لدورة العنف هو الدخول في مفاوضات توصل إلى حل يضمن الانسحاب الإسرائيلي ويحقق تسوية سلمية للنزاع.

س: لقد بدأت الانتفاضة كحملة احتجاج محلية من قبل الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ولن تبدأ بتحريض من منظمة التحرير في الخارج، فهل يسيطر أي طرف اليوم على الانتفاضة ؟ وإذا كانت تتحكم بها منظمة التحرير، فهل هذا هو الأسلوب الأمثل لتحقيق الأهداف الفلسطينية ؟ وإذا لم تكن منظمة التحرير مسيطرة على الانتفاضة فكيف تكون الممثل الشرعي الوحيد ؟

ج: إن الافتراض أننا لم نقم بإشعال الانتفاضة أمر غير صحيح، فقد يكون صحيحاً أنه لم يقم أي أحد أو طرف بتحديد موعد أو بالتخطيط للشرارة التي أشعلت الانتفاضة في ديسمبر / كانون أول 1987م ، إلا أن منظمة التحرير كانت قد قامت بتحضير الأرضية المناسبة لمثل هذه اللحظة على مدى سنوات عديدة من خلال بناء الهيكل التنظيمي وخلق الإطار المناسب للانتفاضة في الأرض المحتلة، إن كوادرنا قادت – وما زالت تقود - الحركة في مختلف أوجهها : كالمظاهرات والإضرابات واللجان الشعبية ولجان الدعم الشعبي وغيرها، وبالرغم من أن آلافا من رجالنا ونسائنا قد قتلوا أو جرحوا أو سجنوا، إلا أن الانتفاضة ما زالت مستمرة وإن قاعدتها الأساسية ما زالت لم تصب بأي أذى وتعمل قيادة منظمة التحرير في الخارج بتعاون كامل مع القيادات والكوادر في الداخل ويتم إتخاذ القرارات بالتعاون وبالاتفاق ولهذا فإن مسألة " من يسيطر أو يتحكم " مسألة لا تبدو ملائمة في هذا السياق لأنه لا يوجد اختلاف حقيقي بين قيادة منظمة التحرير في الخارج وامتداداتها داخل الاراضي المحتلة، ويتم تأكيد هذه الحقيقة بالولاء الذي لا يدخله الشك الذي يوليه الشعب الفلسطيني لمنظمة التحرير وإصراره على عدم تقسيمها ووحدتها، ولهذا فإن منظمة التحرير لا تقوم بمجرد " الإدعاء " بأنها الممثل الشرعي الوحيد، ولكن في حقيقة الأمر تنظر إليها الغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني

في كل مكان على أنها ممثلهم الشرعي الوحيد، وبالنسبة لنا فإنه لا يوجد هناك شك بأن الانتفاضة هي أسلوب مشروع لتحقيق الطموحات والآمال الفلسطينية ويتفق مع هذا الرأي جميع الفلسطينيين.

س: إذا كانت منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وإذا كانت الأغلبية العظمى من الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة تقر ذلك، فما الذي تكسبه منظمة التحرير في عدم إعطاء " الضوء الأخضر " للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة للتعامل مع الإسرائيليين على أساس مبادرة 14 مايو أيار لإجراء الانتخابات ؟ وإذا كانت منظمة التحرير حقا الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين، هل من الممكن لإسرائيل أن تقسم الفلسطينيين – حتى وإن رفضت التعامل مباشرة مع منظمة التحرير ؟

ج: لا توجد لدينا أية مشكلة بالنسبة لفكرة الانتخابات وأننا مستعدون لتقبل أي اقتراح جدي في هذا الشأن طالما أن هذه الانتخابات ستكون حرة وديمقراطية، وأننا على يقين تام بأن أية انتخابات سوف تؤكد من جديد ولاء الشعب الفلسطيني بكافة قطاعاته لمنظمة التحرير الفلسطينية داخل وخارج الأراضي المحتلة، ولكن لا يوجد هناك دليل على أن الحكومة الإسرائيلية سوف تتقبل مثل هذه النتيجة ونعتقد أنها تعمل بإصرار على عرقلة أي خطوة بهذا الاتجاه وذلك بإصرارها على شروط مسبقة وضعت إما لتمنع حدوث انتخابات حرة او لتجريدها من أي معنى حقيقي إذا ما حدثت.

والمشكلة أن مطالبة الحكومة الإسرائيلية إبعاد منظمة التحرير كشرط مسبق لأي انتخابات أو لأية خطوات مستقلة نحو تحقيق السلام تعني أن الحكومة الاسرائيلية تطالبنا بإلغاء دورنا بالكامل، وبنفس الوقت فإن إسرائيل تقدم الآن مطالب غير واقعية وغير منطقية بأن يكون لها الحق بتعيين أعضاء الوفد الذي سيفاوضها، وهذا الأمر لم يحدث مطلقاً في تاريخ الدبلوماسية ولا يمكن أن يكون مقبولاً لأي شخص يفكر بعقلانية، وإننا على استعداد بالتفاوض على جميع المسائل بما فيها موضوع الانتخابات مع الحكومة الإسرائيلية ولكننا لن نقدم لها استسلاماً غير مشروط.

س: تقول منظمة التحرير الآن أنها تقبل بالحل الذي يقوم على دولتين ولكن الكثير من الإسرائيليين يعتقدون ان هذا مجرد خدعة إعلامية وأن منظمة التحرير لم تتخل ولا يمكنها أن تتخلى عن سياساتها الداعية إلى تحقيق شعارها "كل فلسطين" على مراحل وبالنظر لاختلاف الآراء داخل منظمة التحرير، لماذا يجب على الإسرائيليين أن يؤمنوا بأن منظمة التحرير قد قبلت فعلاً بالمصالحة التاريخية على أساس الدولتين ؟

ج: لم تحلم منظمة التحرير بحل الدولتين خلال ليلة وضحاها، إن اعترافنا بهذا الأمر على أنه الأساس لأي حل نهائي قد جاء بعد عملية مستمرة وصعبة من الحوارات الداخلية والنقاشات امتدت على مدى خمسة عشر عاماً، إن أي شخص

يكترث أن يتابع بجدية تطور الفكر الفلسطيني خلال السنوات الماضية سوف يتوصل بالتأكيد إلى الاستنتاج بأننا مخلصون في مقترحاتنا التي توجت بالقرارات التاريخية التي اتخذتها الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني في نوفمبر / تشرين الثاني 1988م، والتي تمت الموافقة عليها من قبل المنظمات الرئيسية داخل منظمة التحرير، فما هو البديل إذن ؟ لقد قمنا بطرح أفكارنا حول إنشاء دولة ثنائية القومية قبل سنوات عديدة، ولكن الجانب الآخر رفض الفكرة بشكل قطعي، ولذلك فالخيارات الأخرى المتبقية هي التقسيم أو الحرب بلا نهاية، ونحن نعتقد أن الوقت قد حان الآن لإيجاد حل نهائي لهذا النزاع ولتحرير شعبنا من الاحتلال والاضطهاد الذي عانى منه أكثر من عشرين سنة وكذلك لتحقيق السلام والأمن للجميع.

وفي هذا التحليل النهائي لهذا الموضوع، فإنه لا يوجد طريق آخر للحكم على إخلاصنا إلا بوضعنا تحت الاختبار، ونحن ندعو الشعب الإسرائيلي وحكومته للدخول معنا في مفاوضات من أجل هذه الغاية وإننا مستعدون لمناقشة أي عدد من الترتيبات والضمانات الأمنية لتأكيد إخلاصنا وصدقنا ويجب على أي حال تذكر أن النزاع لم تكن من طرف واحد لقد كنا الطرف الذي عانى من السياسات الصهيونية والإسرائيلية وقوتهم العسكرية على مدى ما يقرب من قرن من الزمن وأدى ذلك إلى تدمير مجتمعنا وسلب حقوقه بالاضافة إلى تشتيته ونفيه، ويمكننا أن نكون شكاكين بنفس القدر بالنوايا الإسرائيلية حول رغبتهم في العيش بسلام، ومع ذلك فإننا ما زلنا نرغب في إجراء المحادثات، ويتوجب علينا ان نجد حلاً لهذا النزاع من اجل شعبنا ومن اجل أطفالنا العرب واليهود ومن اجل تحقيق الاستقرار والأمن في المنطقة بأكملها وأن البديل لهذا سيكون فقط توقع الأسوأ للجميع.

س: تصر منظمة التحرير منذ مدة طويلة على الحاجة لعقد مؤتمر دولي، أليس واضحاً لمنظمة التحرير أن إسرائيل سوف ترفض حضور مثل هذا المؤتمر إذا لم يتم تحديد دوره بدقة ؟

ج: تعتمد دعوتنا لعقد مؤتمر دولي على عدد من الاعتبارات، أولاً إننا ندرك ان ميزان القوى بيننا نحن (الفلسطينيون) وإسرائيل ليس متوازنا إلى حد أن أي حل ثنائي سيكون مساويا لفرض أمر واقع من إسرائيل، ثانياً، إننا ندرك أيضا الحاجة إلى حل شامل تشترك فيه كل من الأردن وسوريا التي لها أرض محتلة – أو على الأصح مضمومة لإسرائيل - وبدون هذا الإطار الشامل للحل فإننا نعتقد أنه لن يكون هناك حل مستقر ونهائي في منطقة الشرق الأوسط، ثالثاً – أننا نعتبر المشاركة الدولية في الحل جزءا أساسيا لإشتراك القوى الدولية الرئيسية التي لها مصلحة في ضمان ودعم المحصلة النهائية، ويجب أن يعمل هذا لخدمة مصالح إسرائيل مثلما يخدم مصالحنا أيضاً، إن هيكل وسلطة مثل هذا المؤتمر تبقى خاضعة للنقاش ولقد قمنا باعلان استعدادنا للدخول في مفاوضات مع إسرائيل لبحث هذه المسألة، وللأسف لم ترد إسرائيل على هذا الاقتراح.

س: إذا كان واضـــحا أن إسرائيل لن تحضر مؤتمراً دولياً وأن منظمة التحرير تدرك ذلك، هل يمكن اعتبار منظمة التحرير جادة وعملية في اســـتمرارها لعقد مثل هذا المؤتمر ؟

ج: أننا نأمل أن تســـتمر العملية الدبلوماســـية بطريقة تؤدي في النهاية إلى جعل إسرائيل تعيد النظر في موقفها تجاه المؤتمر الدولي، إننا نعتقد أيضاً ان على إسرائيل أن تقدم افتراضـا بديلا جادا وعمليا خاصـة في ضـوء اصرارها على الحاجة لتحقيق الحل الشـــامل والذي دعت إليه حتى خطة شـــامير ولكن يبدو أن الإسرائيليين يريدونها من الناحيتين اتفاق منفصـل مع الفلســطينيين يبحث بشــكل محدد عن الضـفة الغربية وقطاع غزة ويســتبعد منظمة التحرير والفلســطينيين في الشــتات وبنفس الوقت تحصـل على اتفاق يحوز على دعم شـامل عربي دولي، إن هذا الأمر غير منطقي بالمرة.

س: على افتراض أنه تم إقرار الحل على أســـاس وجود دولتين، كيف ترى منظمة التحرير العلاقـات بين فلســـطين وإسرائيـل ؟ كيف ســـتكون طبيعـة العلاقـات السـياسـية والاقتصـادية ؟ كيف سـيتم التعامل مع المسـائل الأمنية ذات الاهتمام المشترك ؟

ج: اننا نطمح إلى وضــع يتكون من دولتنين تعيشــان جنبا إلى جنب بينهما علاقات سـياسـية وبلوماسـية كاملة وبتعاون مشـترك في مجال واسـع من الأمور السـياسـية والأمنية، من المحتمل أن يتطلب مثل هذا الأمر بعضـا من الوقت لينضـج بسـبب الجراح العميقة التي خلفتها عقود من الحرب والدمار، وبســبب القرب بيننا ورغبتنا للمشـاركة في اسـتغلال المصـادر الطبيعية والعوامل الاقتصـادية الأخرى التي تؤثر على كلينا، لا نســتطيع أن نتصــور كيف ســيكون ممكناً أن نعيش مع وجود حاجز حديدي يفصلنا خاصة وإن مثل هذه الحواجز قد تحطمت في معظم انحاء العالم، إن الحصـافة والمصـلحة تقتضي ان نتعاون في المسـائل التي تتعلق بالماء، حركة العمال والبضـائع ورأس المال وكذلك الإشراف على التنقل بين الضـفة الغربية وغزة وغيرها.

بالاضـــافة إلى ذلك إننا ندرك أنه يمكننا أن نكون حلقة وصـــل بين إسرائيل والعالم العربي وأنه يجب الاتفاق مع الأردن لينضـــموا إلى إطار جماعي من التعاون، إننا نعتقـد انـه يجـب أن يكون هنـاك انتقـال حر متبـادل بين الطرفين لزيـارة الأمـاكن المقدســـة على جانبي الحدود وأن حق الســـكن لمواطني أي من الدولتين يجب أن يكون متوفرا اعتمادا على أســـس متفق عليها، واعتماداً على هذا فإنه من الممكن للمواطن اليهودي الإسرائيلي ان يعيش ويعمل في فلســـطين تماما مثلما يســـمح للمواطنين الفلســـطينيين العيش والعمل، وفي مجال الأمن فإنه يتوجب علينا أن نقيم إطـارا متفقـاً عليـه من الطرفين لمنع الحوادث عبر الحـدود ولمنع العنـاصر الســـاخطه من الطرفين والتي قد تحاول الاخلال بالحل ، وبالنســـبة لمثل هذه

المسائل كما هو الحال كذلك بالنسبة لكل عنصر من عناصر عملية السلام إننا على استعداد للجلوس والتفاوض بشأنها.
س: بعض المنظمات الفلسطينية المهمة لم تقبل النهج السياسي الجديد لمنظمة التحرير، إذا لم تستطع قيادة المنظمة السيطرة وضبط هذه المنظمات ألا يثير هذا مخاوف مشروعة أن منظمة التحرير لن تستطيع التحكم بالدولة الفلسطينية المستقلة ومنع أعمال هدامة للسلام ؟
ج: إن الجماعات التي لم تقبل سياستنا الجديدة هي جماعات هامشية وتمثل آراء أقلية صغيرة بالاضافة إلى ذلك، يجب أن نتذكر أن كل هذه الجماعات يتم تمويلها ودعمها من بعض الدول العربية التي تستخدمها لتحقيق غاياتها السياسية، إن مسألة فيما إذا كان بإمكاننا " ضبط " هذه الجماعات، لا تبدو مسألة مشروعة حيث أنه لا يمكن اعتبار أية دولة أو حركة سياسية مسؤولة عن أعمال جميع مواطنيها أو أعضائها، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان أن الجماعات المعينة تعمل خارج إطار سلطتنا وتحت رعاية أجنبية وعلى أرض لا نسيطر عليها وبالرغم من أن الحكومة الإسرائيلية تواجه مشكلة في السيطرة على جميع قواتها في الضفة الغربية وغزة، إلا أنه يبدو أنه يوجد شخص في الغرب مستعد أن يستخدم هذه الحجة لرفع الشرعية عن الدولة الإسرائيلية أو أن يشكك في صدق التزام إسرائيل بالسلام، عندما نملك دولتنا المستقلة فإننا سنجد الأساليب المناسبة لمنع " الأعمال الهدامة للسلام ".
س: استمرت بعض المنظمات الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية في القيام بهجمات ضد إسرائيل عبر الحدود من لبنان بالرغم من نبذ عرفات للإرهاب في ديسمبر / كانون أول 1988م فهل حاولت م.ت.ف وقف تلك الهجمات ؟ أم لديها النية للاستمرار فيها ؟
ج: بالنسبة للعمل العسكري من جانبنا، لا بد وان يكون واضحا أننا لم نتنازل عن حقنا في اللجوء إلى السلاح، وأننا نعتبر ذلك واحدا من أساليب عديدة يمكننا بواسطتها مواجهة إسرائيل.
وإسرائيل لم تتخلّ عن استعدادها لاستخدام القوة العسكرية ضدنا داخل الأرض المحتلة وخارجها (وغالبا ضد مدنيين عزل من السلاح)، وبالتالي لا نفهم معنى مطالبتنا بنزع السلاح من جانب واحد فقط.
وعلاوة على ذلك، فإن إسرائيل لم تظهر أي اهتمام في التفاوض من أجل التوصل إلى وقف إطلاق النار أو في تقبل أي اقتراح أو ترتيب من شأنه ضبط وتخفيض مستوى المواجهة المسلحة، ويمكنني القول أن م.ت.ف تمارس ضبط النفس كما أكد وزير الدفاع الإسرائيلي اسحق رابين بنفسه منذ بضعة شهور، كما أن م.ت.ف ملتزمة بتعهدها بوقف كافةالعمليات العسكرية " الخارجية " بالرغم من عدم تقديم إسرائيل لتعهد مماثل، وكما يثبت اغتيال (أبو جهاد) في تونس في الربيع الماضي، وبالاضافة، فقد تبنينا سياسة في غاية الحذر والانتقائية في اختيارنا

لأهداف عملياتنا المسلحة وسنبذل كل ما في وسعنا للتأكد من أن عملياتنا مشروعة وذات طابع عسـكري، وهذا أيضـا تصرـف لا يوجد ما يقابله في الجانب الإسرائيلي الذي يسـتمر في قصـف مخيمات المدنيين الفلسـطينيين في لبنان بدون أي قدر من ضبط النفس.

ولسوء الحظ، أنا أعتقد أن النضال العسكري سيستمر طالما لم يتم التوصل إلى إلى تسـوية سـلمية للنزاع، وسـنحاول ممارسـة ضـبط النفس في هذا المجال، ولكننا لن نخصي أنفسـنا أمام الآلة العسـكرية الإسرائيلية، ونحن نتطلع إلى وضـع يتحقق فيه السلام لشعبنا وبالتالي تدفن أسلحة الموت والدمار إلى الأبد.

س: ماذا كانت تأمل م.ت.ف في تحقيقه من حوارها مع الولايات المتحدة، وكيف تقيم نتائج الحوار للآن ؟

ج: لا يمكننا إخفاء خيبة أملنا إزاء بطء الحوار وضـــيق أفقه، ونحن نشـــعر أن الولايات المتحدة تنظر إلينا نظرة عدائية وأنها غير راغبة في بذل جهد حقيقي لتفهم مخاوفنا وهمومنا، وفي المقابل، لدينا انطباع بأن الولايات المتحدة تتبنى بشـــكل أعمى الخط أو الموقف الإسرائيلي، ولا تقوم بأي محاولة لإتخاذ موقف محايد وعادل بين الطرفين، وهناك خلل بنيوي في الموقف الأمريكي لصالح إسرائيل نبدو عاجزين عن التغلب عليه، ونحن ندرك في الوقت نفســـه أن أمامنا الكثير لنتعلمه حول عملية إتخاذ القرار السياسي في الولايات المتحدة، ونأمل بأن يوفر لنا التحسن التدريجي في العلاقات الأمريكية – الفلسطينية الفرصة لذلك، ومن جانبنا فإننا سنقوم بكل جهد لحماية ذلك الحوار نظراً للدور الحيوي الذي تلعبه الولايات المتحدة في عملية السـلام في الشرـق الأوسـط بحكم علاقتها الخاصـة بإسرائيل، ونحن نأمل من خلال عملية الحوار والتفاعل أن تصـبح الولايات المتحدة أكثر تجاوباً مع مطالبنا السـياسـية، وأن تقر بأن تطلعاتنا الوطنية عادلة وضرورية لتحقيق التسـوية، ويعتبر الاعتراف بحقنا في تقرير المصـير خطوة لا غنى عنها نحو السلام، ونحن غير مقتنعين بأن استمرار معارضة الولايات المتحدة لذلك الحق له ما يبرره خصـوصـاً وان الولايات المتحدة هي القوة العالمية الرئيسـية الوحيدة (بالإضـافة لإسرائيل) المسـتمرة في معارضـتها لمفهوم أو لفكرة الاسـتقلال الفلسطيني والدولة.

س: يقال أن م.ت.ف مسـتعدة للحوار مع إسرائيل ولكن إسرائيل ترفض التعامل معها، فهل م.ت.ف جادة في القول بأنها مستعدة لمحادثات مع إسرائيل ؟ وإذا كان كذلك فما هي الخطوات العملية التي تتخذها م.ت.ف لإقناع إسرائيل بجديتها ؟

ج: إن جديتنا ليسـت موضـع شـك أو سـؤال، فقد قمنا بعدد من الخطوات والمبادرات للتدليل على اسـتعدادنا للتحدث إلى الإسرائيليين، بدءا من قرارات المجلس الوطني الفلسـطيني، مرورا بنداء الرئيس عرفات ومروراً بالنداء الذي وجهته شخصياً إلى الشعب الإسرائيلي في فبراير / شباط 1989م، وانتهاء بعشرات الاجتماعات بين ممثلينا والإسرائيليين وممثلي اليهودية العالمية، (وبالمناسـبة فإن

إسرائيل هي التي أصدرت قانونا يجعل الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية جريمة)، ولم نر من الجانب الآخر سوى " لا لمنظمة التحرير الفلسطينية " " ولا للدولة الفلسطينية " ، وفوق هذا كله نطالب بتنازلات لا نهاية لها ونطالب بالمزيد من المبادرات والمزيد من الجهود لإثبات إخلاصنا وصدقنا، وبدون أي دليل ملموس على أن ذلك كله سيقابل بالمثل، وبالرغم من ذلك فإننا عازمون على الاستمرار في محاولاتنا إقناع الجمهور الإسرائيلي بأننا نعني ما نقول حول التوصل إلى تسوية نهائية، ونحن ندرك أننا لم ننجح حتى الآن في اختراق الحاجز النفسي ـ القائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين ونحن نشعر في نفس الوقت أنه لا يمكن لهذه العملية النجاح إذا استمرت من طرف واحد وأن الذين يطالبوننا بالمزيد من التنازلات لا يطالبون الطرف الآخر بتنازلات مشابهة أو مماثلة، وعلى الطرفين الاقتراب أكثر من بعضهما لجعل السلام ممكناً، ونحن نشعر بأنه على الذين يؤيدون فكرة الحل القائم على دولتين سواء داخل إسرائيل أو خارجها أن يتحملوا مسؤولية أكبر في العمل على تغيير تصورات وقناعات الجمهور الإسرائيلي وعلى تغيير السياسات الحكومية الإسرائيلية، ولا يمكن لهذا الأمر أن يكون مهمتنا وحدنا.

—

- **مجلة السياسة الخارجية الأمريكية العدد (78) ربيع 1990م.**

اعادة طباعة ونشر من قبل لجنة التعبئة الفكرية في حركة فتح، واكاديممية فتح الفكرية عام 2022

حوار أبوإياد مع صحيفة القبس الكويتية[8]

أبو إياد: إصدار جواز سفر تعترف به الدول العربية.. بعد تعنت بعضها في تجديد وثائق الفلسطينيين

حوارات محمد الصقر(رئيس تحرير القبس) -تم الحوار عام 1985م في الكويت ونشر وقتها، وتعيد القبس الكويتية نشره في ٢٨ أغسطس ٢٠٢١
نشرت القبس، في عدد 31 ديسمبر 1985، لقاء رئيس التحرير محمد جاسم الصقر مع الزعيم الفلسطيني صلاح خلف (أبو إياد) حول قصة الأزمة في العلاقات السوفيتية - الفلسطينية التي بدأت خلال الغزو الصهيوني للبنان عام 1982، ومعالجة الخلافات بين سوريا ومنظمة التحرير، معلنا أن المنظمة تؤيد سوريا في حربها ضد السياستين الأميركية والصهيونية، وأن الاتصالات مستمرة مع الأشقاء في دمشق... مرحبا بالاتفاق اللبناني الأخير الذي تم في دمشق. كما تناول الحوار تعنت بعض الدول العربية في تجديد الوثائق، خاصة في لبنان، وإمكانية إصدار وثيقة سفر أو جواز سفر يكون معترفاً به من قبل الدول العربية.

وفيما يلي نص الحوار:
كتب محمد جاسم الصقر: كشف السيد صلاح خلف (أبو إياد) عن قصة الأزمة في العلاقات السوفيتية - الفلسطينية التي بدأت خلال الغزو الصهيوني للبنان عام 1982 وبعدها مباشرة وأثناء لقاء بين أبو عمار ويوري أندروبوف، وقال: «إن الأزمة تحلحلت الآن وبدأت تسويتها ونحن في مرحلة تطبيع العلاقات وتسويتها.«

وأشار أبو إياد في حديثه إلى أن هواجس ساورت موسكو بعد أن قدم ريغن مشروعه للمنطقة، حيث كان «الرفاق السوفيت» يريدون منا موقفاً حاداً وواضحاً من المشاريع الأميركية التي تُطرح. وكشف أبو إياد النقاب عن أن موسكو لن تكن راضية أبداً عن انتقال أبو عمار إلى طرابلس، وخلال مرحلة «معالجة الانشقاق» في منظمة فتح، ومعالجة الخلافات بين سوريا ومنظمة التحرير، وكذلك أكد أبو إياد أن الرفاق السوفيت كانوا يعارضون انعقاد المجلس الوطني السابع عشر في عمان «وطلبوا منا التمهل في عقده»، وانعقد المجلس الذي ترفض موسكو الاعتراف بنتائجه، ما ساعد على تطور الأزمة معهم.

[8] حوارات محمد الصقر(رئيس تحرير القبس) -تم الحوار عام 1985م في الكويت ونشر وقتها، وتعيد القبس الكويتية نشره في ٢٨ أغسطس ٢٠٢١

وقال أبو إياد: «إننا الآن على طريق حلحلة الأزمة، خصوصاً أن لقاءاتي المتكررة مع المسؤولين السوفيت ساهمت في توضيح الكثير من الأمور وتوضيح موقفنا وتطلعات شعبنا الفلسطيني.«

وأكد أبو إياد على أن هناك إجماعاً فلسطينياً على رفض الحكومة الفلسطينية المؤقتة، وقال: «إن اتفاق عمان انتهى، وإن الحكومة الأردنية تبحث عن بديل للعلاقات مع المنظمة»، وأشار الزعيم الفلسطيني إلى أن المنظمة تؤيد سوريا في حربها ضد السياستين الأميركية والصهيونية، وقال: إن الاتصالات مستمرة مع الأشقاء في دمشق... وأبدى أبو إياد ترحيبه بالاتفاق اللبناني الأخير الذي تم في دمشق، وقال: نرجو ألا يكون على حساب المخيمات، وعندها سيكون لنا موقف آخر.

* * * * * *

نص الحديث

* * * * * *

أبو إياد لرئيس تحرير القبس: بدأت مع حرب 1982 ولقاء أبو عمار مع أندروبوف

قصة الأزمة في العلاقات السوفيتية - الفلسطينية

**موسكو طالبتنا بموقف حاد وواضح من المشاريع الأميركية

ورفضت الاعتراف بانعقاد ومقررات المجلس الوطني السابع عشر

**نحن على أبواب حل الأزمة

وسائرون في تطبيع علاقاتنا وتسويتها

**إجماع على رفض إعلان الحكومة المؤقتة

واتفاق عمان انتهى.. والأردن يبحث عن بديل

**نؤيد سوريا ضد السياستين الأميركية والصهيونية

واتصالاتنا مستمرة مع الأشقاء في دمشق

**ترحيبنا بالاتفاق اللبناني الأخير مشروط بعدم التعرض للمخيمات

كتب **محمد جاسم الصقر**:

أعلن السيد صلاح خلف (إبو إياد) أن الاتفاق الأردني - الفلسطيني قد انتهى وأن الأردن يفكر في كيفية إنشاء علاقة بديلة أو اتفاق جديد.

وأضاف أبو إياد، في حديث خص به القبس، أن الأزمة السوفيتية - الفلسطينية قد انتهت، وأن وفداً برئاسة أبو اللطف سيزور موسكو يوم الثلاثاء المقبل لاستكمال المحادثات.

وكشف أبو إياد النقاب عن بداية الأزمة ومقاطعة السوفيت لأبو عمار ورفضهم لانعقاد وقرارات المجلس الوطني الأخير الذي عُقد في عمان، وكذلك رفضهم للوفد المشترك، وللاتفاق الأردني - الفلسطيني، ومعارك طرابلس، وزيارتَي أبو عمار الأولى والثانية للقاهرة، والتكتيك السياسي الفلسطيني.

ورحبّ أبو إياد بالاتفاق اللبناني، لكنه قال في الوقت ذاته «إننا نرفض إذا كان على حساب المخيمات الفلسطينية في لبنان.«

وأضاف: «إننا قلقون من لقاء الأسد - الحسين لأن معلومات تؤكد وجود شروط سورية لعودة العلاقات ستكون على حساب المنظمة.«

وأكد في الوقت نفسه أن هناك اتصالات سورية - فلسطينية، وأن الحملة الإعلامية قد توقفت من جانبنا، وأننا وضعنا خططاً لوحدة الفصائل تتركز على اتفاق عدن والجزائر، ويكون الخيار العسكري هو النضال الحقيقي لنا، وأكد عدم وجود تسوية، بل إنهاء للقضية الفلسطينية.

بدأ أبو إياد حديثه بالقول: لم يكن هناك أزمة بيننا وبين السوفيت وصلت درجة نَصِفها بأنها مستعصية، إنما كان هناك خلافات حادة في بعض الأحيان واتفاق في بعض المواقف، مثلما بدأنا قبل حرب 82 كان اتصالنا بالرفاق السوفيت اتصالاً قوياً ومبنياً على أسس واضحة، وعندما أبلغناهم بمعلوماتنا عن الحرب كان جوابهم أنهم يستطيعون تقديم أي مساعدات عبر سوريا، وبالتالي وقع العدوان، وحدث ما حدث، ولم تكن هناك أي مساعدة ملموسة، يعني التي يتوقعها المواطن العادي.

يمكن نحن كنا نعلم أن السوفيت لا يستطيعون التدخل إلا إذا طلب منهم رئيس جمهورية لبنان الشرعي، أو كان هناك تدخل أو عدوان على الأراضي السورية أو من خلال الموقف السوري.

وقد حاول البعض استغلال هذه الأزمة، أزمة بقائنا في الحصار لمدة 3 أشهر، والبعض يسأل أين الأصدقاء السوفيت، حتى نحن في بعض الأحيان نرفزنا وتساءلنا أين الاتحاد السوفيتي تحت وطأة الحصار، لكن الحقيقة لم يكن أحد منا ينتظر أن السوفيت يمكن أن يحضروا أساطيلهم ويتدخلوا مباشرة.

بعد حرب 82 تم لقاء بين أبو عمار ويوري أندروبوف في موسكو، وأعتقد أن هذا اللقاء، وحتى في بعض جوانبه، لم يكن موفقاً.

كانت هذه بداية الأزمة، كان هناك مشروع الرئيس الأميركي ريغن.

وكانت هناك مشاريع أميركية تُطرح، وكان الرفاق السوفيت يريدون موقفاً حاداً وواضحاً من هذه المشاريع. بعد ذلك حدث انشقاق داخل فتح، هذا الانشقاق في الحقيقة يجب أن نذكر أن الاتحاد السوفيتي أخذ موقفاً إيجابياً من هذا الانشقاق. إيجابي من ناحيتنا، بدليل أنه كان لنا زيارة إلى موسكو بعد الانشقاق تلبية لدعوة من الاتحاد السوفيتي لوفد من اللجنة المركزية كان برئاستي، في ذلك الوقت لم تلغ موسكو الدعوة بسبب الانشقاق، بل بالعكس استمرت الدعوة قائمة كما هي، وأنا خرجت من دمشق إلى موسكو وكانت هناك مباحثات ناجحة، حتى إنهم سمحوا لنا بالتحدث في وسائل الإعلام السوفيتية عن الانشقاق، وصنفوا اتجاهات المنشقين بأنها اتجاهات عدمية، وليست اتجاهات مستقبلية، بعد ذلك انتقل الخلاف من موضوع الانشقاق إلى موضوع سوريا، وخلال الأزمة الحادة بيننا وبين سوريا كان الاتحاد السوفيتي يبذل كل جهد لمنع تطور هذا الموضوع إلى نوع من القطيعة، وبذل مجهوداً كبيراً، وكان الرفيق عليف عضو المكتب السياسي والرفيق بروتنتس نائب مسؤول العلاقات الخارجية للحزب الشيوعي، وهما من أبرز العناصر التي كانت تتحدث عن وساطة سوفيتية بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا، ولكن لاعتبارات كثيرة لم تنجح هذه الوساطة.

ويمكن بسبب أن السوفيت تحدثوا معنا بقسوة عن سوريا، وأعتقد أنهم كانوا كذلك مع سوريا في حديثهم عنا.

وهذا دور الذي يريد لعب دور الوسيط وليس المتفرج، فهو يرى المصلحة في أن تكون العلاقات الفلسطينية - السورية علاقات قوية ومتينة، لأنها حجر الزاوية في أي تضامن عربي، هذه كانت رؤيتهم.

بعد ذلك حصل تطور انتقال الانشقاق من موقف سياسي إلى قتال في البقاع، كان السوفيت مستائين منه، لكن أيضاً لم يكونوا مرتاحين إلى حضور أبو عمار إلى طرابلس، وكانت هذه أيضاً نقطة ثانية من نقاط الخلاف، لكنهم بذلوا جهوداً في طرابلس، جهوداً كبيرة، خاصة من أجل سلامة القوات وسلامة أبو عمار شخيصاً.

وقد تكون خرجت عنا في تلك الفترة تصريحات أيضاً أساءت إلينا، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة.

زيارة أبو عمار للقاهرة

النقطة الثالثة في أزمة العلاقة مع الاتحاد السوفيتي كانت زيارة أبو عمار الأولى للقاهرة، خاصة أنها لم تكن بإجماع اللجنة المركزية، وكانت زيارة لها الطابع الفردي، من غير قرار اللجنة المركزية ولا اللجنة التنفيذية، واعتبرت المنظمات الفلسطينية، خاصة الجبهة الشعبية في تلك الفترة، أن هذه الزيارة هي سبب تحلل موضوع الوحدة الوطنية والانقسام في الساحة الفلسطينية، وتحديداً الرفيق جورج حبش، الذي أخذ موقفاً عنيفاً من هذه الزيارة، واعتبرها بداية الدخول في كمب دايفيد والدخول في الحل السلمي، إلا أنه من ناحيتنا تركنا الموضوع وأجرينا حواراً مع الشعبية والديموقراطية والحزب الشيوعي الفلسطيني في إطار تسوية اتفاق عدن والجزائر.

والحقيقة أن الاتحاد السوفيتي كان يدفع بهذا الحوار دفعاً إيجابياً من أجل أن يثمر ونقف جميعاً على أرضية واحدة، وجهوده كانت مباشرة وغير مباشرة لدفع الحوار إلى النجاح الذي أثمر توقيع هذه الاتفاقية.

لكن ماذا جرى فيما بعد؟

كان الاتحاد السوفيتي يريدنا أن نتمهل في عقد المجلس الوطني في عمان، رغم أننا استنفدنا كل طرقنا في سبيل عقد المجلس الوطني في الجزائر، وليحضره كل أطراف حوار عدن، كما أنه لم يكن لدينا أي مانع في محاورة الآخرين، بمن فيهم الذين انشقوا عن فتح من أجل تسهيل عملية الحوار وتسهيل عملية ما حصل بعدها.

مجلس عمان

وحاول الرفاق السوفيت أن يمنعوا أو أن يقولوا رأيهم بالنسبة للمجلس الوطني في عمان، والحقيقة كان لنا مصلحة واضحة، إذ إننا استنفدنا كل الجهود من أجل تنفيذ اتفاق عدن والجزائر، ولكن كان هناك تعنت في صفوف الجبهة الشعبية في ذلك الوقت، وقد ساندت الجبهة الديموقراطية هذا التعنت، ما دفعنا أن نأخذ القرار الصعب في أن نعقد المجلس الوطني في أي مكان، ويومها زرنا كل المعمورة العربية، فالحقيقة كان للأردن موقف ممتاز في ذلك الوقت، فقد وافق على انعقاد المجلس الوطني هناك، وكنا بحاجة إلى عقد المجلس فعقدناه.

وهنا أيضاً تطورت الأزمة مع الرفاق السوفيت.

لم يحضروا لأول مرة، اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني، ولم يرسلوا وفداً، وكذلك فعلت الدول الاشتراكية، ما عدا رومانيا.

وأستطيع أن أقول إن الرفاق السوفيت، ومن دون أن يعلنوا ذلك، كانوا لا يعترفون بنتائج المجلس الوطني في عمان (الدورة الـ17)، وفي كل أحاديثهم تمسكوا بالدورة الـ16 في الجزائر، لكن الزيارات والأحاديث واللقاءات لم تنقطع، خاصة مع اللجنة المركزية لحركة فتح.

وفي ظلال الأزمة زار وفد اللجنة المركزية الاتحاد السوفيتي مرتين بشكل رسمي، وأبو اللطف زار الاتحاد السوفيتي مرتين أو ثلاثة، وأبو مازن زار الاتحاد السوفيتي مرتين أو ثلاثة أيضاً، وكما وُجهت لي دعوة خاصة أيضاً أكثر من مرتين أو ثلاثة.

الزيارات لم تنقطع، وكانت بتواريخ متباينة وغير متقاربة، وكانوا هم يقدرون جداً وحدة اللجنة المركزية.

القطيعة مع السوفيت غير واردة إلا مع أبو عمار

وبقيت إذن الأزمة موجودة، ولكن الحوار موجود، القطيعة غير واردة إلا مع الأخ أبو عمار، حتى في الإعلام كانوا يحاولون تجاهل الحديث عنه، لكن ظلت لقاءات أبو عمار مع السوفيت من خلال السفراء فقط، والرسائل لم تنقطع أيضاً، وفي الآونة الأخيرة حدثت عدة تطورات على الموقف السوفيتي، لنقول مثلاً في شهر أغسطس حدثت تطورات بعد اتفاق عمان، لأنهم وقفوا من اتفاق عمان موقفاً سلبياً وعلنياً،

وكانت كل اعتراضاتهم على اتفاق عمان أنه يتضمن تنازلين أساسيين «الدولة المستقلة»، و«الوفد المستقل.«

ولكن الأهم من هذا كان قلقهم أن ذلك وهم في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وأنه من الممكن أن يسهل الأميركيون عملية التسوية ويسهلوا عملية تسويق الحقوق الوطنية الفلسطينية مع إسرائيل، وأنه ممكن أن يؤدي ذلك إلى صفقة منفردة، أو حل منفرد، أو إلى مفاوضات مباشرة.

ويعني كان خوفهم من نتائج الاتفاق أكثر من خوفهم من نصوص الاتفاق.

وقد عبر السوفيت عن قلقهم في أكثر من مناسبة، في شهر أبريل زار أبو اللطف موسكو، يمكن أبريل، ويمكن مايو وشرح لهم ظروف الاتفاق وظروفاً أخرى رغم تحفظه على الاتفاق، وهذه الزيارة كسرت من حدة الاعتراض على بعض المواقف من منظمة التحرير، وإن كانت لم تلغ موقفهم المبدئي من موضوع اتفاق عمان، وفي شهر أغسطس الماضي زرت الاتحاد السوفيتي وكانوا متخوفين جداً من اجتماعات قمة الدار البيضاء وهاجموها فعلاً.

وعندما ذهبت أنا وأعطيتهم القرارات، خاصة لأول مرة يصدر عن مؤتمر قمة عربي أن الحل سيكون عن طريق التفاوض في إطار مؤتمر يحضره الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وأنه لأول مرة يذكر المؤتمر الدولي، أول مرة تذكر الدولتين العظميين، بالنص وبالاسم في هذا القرار، لاحظ السوفيت أن ورقة العمل التي قدمناها كانت ورقة تحوي الثوابت الفلسطينية كلها، وكان موقف وفدنا هناك موقفاً صلباً فيما يتعلق بالمؤتمر الدولي، وفيما يتعلق أيضاً باتفاق عمان، والذي هو نوع من الميكانيكية.

إن قرارات فاس ليست هي هدف بحد ذاتها، كل هذه الأمور يعني كانت أول خطوة شعر فيها السوفيت أن الفلسطينيين، أو أن منظمة التحرير لم تمش كما يقال وكما يشاع وكما تكتب التقارير، في الحل المنفرد، وأن الاتفاق الأردني - الفلسطيني فتح أبواب أميركا أمام منظمة التحرير، وجدوا أن هذا ليس صحيحاً.

طبعاً هم لم يراهنوا على ذلك، ولو مرة من المرات، ولكن تأكدوا أكثر فأكثر بعد الدار البيضاء. وقد حدث نوعاً من تطور آخر إيجابي بعد اتفاق عمان وبعد الملابسات التي ذكرتها حدث العدوان على تونس، وضربة تونس تعني ضربة لمصداقية منظمة التحرير في الثوابت التي أعلنتها، خاصة أن الضربة كانت تستهدف أبو عمار شخصياً، وفي تلك الفترة بالصدفة كانت هناك رسالة إيجابية موجهة من الاتحاد السوفيتي

للأخ أبو عمار رافقتها ضربة تونس أكدت للسوفيت أنها كانت بمباركة أميركية، وتزامن مع عملية تونس اختطاف السوفيت الثلاثة وموقفنا منهم، موقف أبو عمار بالذات من هذه الأزمة ورغم أنه كانت محاولات لإلصاق التهمة بأبو عمار شخصياً على أنه كان وراء خطف السوفيت الثلاثة، لكن غرف العمليات التي أقمناها في تونس وعمان وبيروت وبغداد والاتصالات التي قمنا بها نحن في اللجنة المركزية لحركة فتح، وأبو عمار بصفته رئيس اللجنة التنفيذية، أشعرت السوفيت كم بذلنا من مجهود من أجل الإفراج عن الثلاثة بعد مقتل الرابع، وفي بيانات معلنة تأكد لهم أنه ليس نحن فقط وراء الموضوع، إنما أيضاً نحن الذين بذلنا المجهود الأول والأساسي للإفراج عنهم، هذا عامل ثالث في تحريك العلاقة.

والعامل الرابع، متابعتهم لموقفنا من معارضتهم أولاً لوفد أردني بعضه فلسطيني، ورفضنا لهذا وتمسكنا أيضاً بالثوابت في هذا العرض الثاني شعورهم أن الاتفاق الأردني - الفلسطيني فعلاً وصل إلى طريق مسدود بفعل النوايا الأميركية، وطبعاً التعنت والصلف الإسرائيلي الذي واجه هذا الاتفاق.

كل هذه الأمور مجتمعة مع التطورات الموجودة في المنطقة.

اللقاء الأردني - السوري وتوسيع دائرة هذا اللقاء ليمثل بعض الأطراف العربية أيضاً، وهذا أيضاً يدرسه الاتحاد السوفيتي عن قرب وعن كثب، ولذلك فإن هذه الاتصالات الجديدة عبرت عن نفسها بلقاء بولياكوف في بغداد مع أبو عمار. ويمكن هذا أول لقاء رسمي بين أبو عمار وبين السوفيت على صعيد خارج عن نطاق السفراء، لقاء مباشر مع مسؤول قادم من موسكو ومنصبه كبير في وزارة الخارجية السوفيتية.

وكان اللقاء صريحاً، وشرح فيه أبو عمار الوضع العربي الذي يحاصرنا في كل مكان، كيف أن هذا الوضع العربي أثر في تحركاتنا السياسية. وأن بعض الخطوات التكتيكية التي أخذناها وبعض المرونة التي بُذلت في الساحة من أجل مواجهة هذا الضغط العربي والحصار العربي، أنا لا أقول إن الرفاق السوفيت اقتنعوا بهذا الكلام لأن لديهم نظرية أنهم ليسوا ضد التكتيك ولا ضد المرونة، ولكنهم ضد طغيان هذه المرونة وهذا التكتيك على الإستراتيجية.

الموقف السياسي

وبحيث لا ينتج عن ذلك الموقف السياسي تغليب التكتيك على الإستراتيجية بحيث يصبح هذا الموقف على حساب المبادئ.

لكن مع ذلك أعتقد أنهم فهموا على الأقل خلفية النوايا حول ما يجري من مواقف تتخذها منظمة التحرير الفلسطينية، وتأكد لهم أنه ليس عندنا أوهام حول موقف الولايات المتحدة من قضية شعبنا ومنظمة التحرير، وأنه ليس ممكناً للولايات المتحدة وفي ظل توازن القوى القائم في العالم العربي أن تبذل أي مجهود لمصلحة تسوية وطنية عادلة وشاملة في المنطقة، وإنما هي تدفع بالمنطقة إلى قبول خطة كمب دايفيد، وأسلوب كمب دايفيد في الحياة، وأنه ليس هناك موقف أميركي، بل موقف إسرائيلي تعبر عنه أميركا.

كل هذا الكلام سمعوه من خلال تحليلاتنا ولقاءاتنا، خاصة خلال لقاء مع الرفيق بولياكوف في موسكو، وقد أثمرت كل هذه الاتصالات عن دعوة وفد فلسطيني برئاسة أبو اللطف رئيس الدائرة السياسية في 7 يناير المقبل إلى موسكو، وأعتقد أن هذا اللقاء كان مهماً جداً، لقاء عندما جاء الرفيق كارين بروتنتس نائب رئيس لجنة العلاقات الخارجية، والتقيت معه لقاء طويلاً أيضاً، وضعنا فيه كل النقاط على الحروف، وأبلغته أنه خلال اجتماعات بغداد كان هناك تقييم لما جرى في المرحلة السابقة. وشرحت له ظروف الحصار السياسي والعسكري والمالي والإعلامي على منظمة التحرير الفلسطينية، وأن هذا الحصار كان يفرض عليها أحياناً بعض المواقف، فعلى سبيل المثال، اتفاق عمان اصطدم في شهر مارس بعد توقيعه بأقل من شهر بعرض مورفي، والذي بعد رفضه، انتهى اتفاق عمان، وبحسب رأيي الأردن يفكر الآن بشكل أن هذا الاتفاق لم يعد صالحاً للتسويق في منظمة التحرير حسب تعبيرات الأردنيين، والتي يستعملونها دائماً، لا لإسرائيل، ولا للولايات المتحدة، ولا حتى لبعض الدول الأوروبية.

إذن، اتفاق عمان اصطدم بعرض مورفي الأول واصطدم بعرض مورفي الثاني واصطدم بشكل صارخ في لقاء لندن، حيث اتضح أن هناك طلبات للتنازل، وأنا في رأيي، وقلناها في حينه، أن الملك حسين جانبه الصواب في حديثه بتأييد موقف بريطانيا، وكل المبررات التي تساق والتي كانت تاتشر ستسقط بعدها.

نحن في النهاية لا يهمنا تسقط تاتشر أو تنجح، المهم موقفنا عند الشعب البريطاني، وبتعبير آخر بريطانيا أسهمت أسهاماً أساسياً في نكبة الشعب الفلسطيني، وفي مأساة الشعب الفلسطيني، وحتى الآن لم تصحح هذا الخطأ التاريخي الذي بدأ بوعد بلفور ولغاية اللحظة هذه، بالعكس أصبح هناك موقف أكثر تعنتاً، وعندما تُشكل حكومة بريطانية وبدلاً من تطوير موقفها الإيجابي مع قضيتنا تزيد الإساءة لقضيتنا.

طبعاً هذا كان واضحاً للسوفيت أيضاً، فكان هذا حديثنا أنه تقييمنا للمرحلة الماضية، صحيح أنه كان في مرونة وتكتيك، صحيح أحياناً يمكن كانت تجاوز هذه

المرونة وهذا التكتيك نقاطه المبدئية، ولكن ظل الموقف صلباً من حيث شعار مرونة المرحلة في بعض الخطوات، لكن لم يكن الموقف على حساب القضية صلابة في المبادئ وثبتت هذه الصلابة في عرض مورفي كما قلت، وفي عرض تاتشر للوفد الفلسطيني الزائر للندن.

كل هذه الصورة توضحت، الضغط العربي الذي يحاول دفع منظمة التحرير في البداية إلى القبول بالاتفاق الأردني - الفلسطيني يدفعها دفعاً مجرد أن وقع الاتفاق تخلى هذا الموقف العربي عن دعمه أو دفعه لمنظمة التحرير لقبول لقاء مع أميركا، وهذا يثير تساؤلات، لماذا؟

شرحنا له تقييمنا للعلاقات مع سوريا، ونحن من خلال بعض اللقاءات التي تمت مع بعض المسؤولين السوريين أخذنا موقفاً جديداً. وليس للمرة الأولى للمرة الخمسين، نوقف الحملات الإعلامية حتى لو لم يوقفوها هم بالعكس. وعلى كل حال وبالنسبة لبعض التصريحات التي تتعلق بموقف سوريا في صراعها مع العدو الصهيوني وفي أي صراع نحن بين سوريا وإسرائيل أو الولايات المتحدة الأميركية نحن منحازون للموقف السوري أو لأي موقف عربي يكون ضد الجهتين.

موضوع لبنان، أي اتفاق في لبنان لا يمس المخيمات الفلسطينية لن نقف ضده، بل بالعكس سيكون لنا عاملاً إيجابياً في تسييره بشرط أن يكون هناك فعلاً حل ليس على حساب المخيمات، ورغم اعتراضنا على استقبال دمشق لـ«حبيقة» وموقفنا من هذا الاستقبال، لأن هذا صنف نفسه كجاسوس إسرائيلي من خلال مسؤوليته المباشرة عن مذابح صبرا وشاتيلا، إلى جانب الإسرائيليين طبعاً، نحن لا نبرئ الإسرائيليين من هذه المذبحة، لكن هو كان أحد الأدوات التي استخدمتها إسرائيل في المذبحة، ورغم اعتراضنا على هذا الاستقبال، فنحن نسجل موقفنا عليه، إلا أننا لن نقف بوجه حل شامل للشعب اللبناني، بالعكس نحن نؤيده شرط ألا يكون ذلك على حساب مخيماتنا.

وهذه النقاط الثلاث إذا كان هذا ما يتعلق بسوريا وما يتعلق بالاتفاق الأردني - الفلسطيني أين الحل؟ الحل في رأيي قلنا لهم أولاً التوجه نحو الوحدة الوطنية الفلسطينية، ونحن صادقون في هذا، وقد أبلغناهم بذلك، وهذه الوحدة تقوم على أسس معادية للصهيونية والإمبريالية حتماً، لأنه من غير الممكن أن تكون هناك أسس للوحدة الوطنية غير هذه.

النقطة الثانية، هي تصعيد الكفاح المسلح، رغم غياب الخيار العسكري العربي، ورغم كل ما نتعرض له من صعوبات في الاتصال بشعبنا داخل الأرض المحتلة، فإن

هذا الشعب صعَّد وحدة الكفاح المسلح، وطبعاً بكل إمكاناتنا سنصعد عملياتنا، هذا ما نملك كفلسطينيين وحدة وطنية فلسطينية وتصعيد الكفاح المسلح.

وبالنسبة للعلاقات العربية نسعى إلى التضامن العربي ولبقاء الموقف العربي قوياً من خلال بذلنا كل الجهود لوقف هذه الحرب المجنونة بين العراق وإيران أيضاً، من ناحية أخرى فتح آفاق مع سوريا، ونحن لا نقف أمام أبواب سوريا ولا أمام باب أي نظام عربي، ولكن من ناحيتنا كل جهودنا مبذولة لفتح حوار واسع مع سوريا ومع غيرها من الأنظمة التي تريد ذلك، لقد كان المسؤول السوفيتي مسروراً من هذا البرنامج، وقال هذا برنامج إيجابي جيد، وقال، قالوا لنا إنه إحنا سنكمل هذا البرنامج في لقاءاتنا مع أبو اللطف في موسكو في 7 يناير.

على أبواب حل الأزمة مع موسكو

أستطيع أن أقول نحن على أبواب حل الأزمة السوفيتية - الفلسطينية، الأزمة التي لم تصل إلى حد قطع العلاقة أو إقفال الأبواب ويمكن أنا سمعت من الرفيق بروتنتس كلمة أسمح لنفسي أقولها، وهي: «لم يكن في يوم من الأيام باب موسكو مغلقاً في وجه ياسر عرفات، ولن يكون مغلقاً»، وقال: «نحن تقييمنا لياسر عرفات أنه رجل وطني ولكن نختلف معه أحياناً في بعض النقاط التي تؤثر في إستراتيجية العمل الفلسطيني، ولكن نحن بوجه عام أصدقاء ونستطيع أن نعرف أن ياسر عرفات زعيم فلسطيني وعربي وله مكانة دولية عندنا وعند غيرنا من دول العالم، هذا الكلام قاله بمحبة، يعني ملخص لقائنا اعتبره استمرار في سياسة تطبيع العلاقات بشكل جيد وإيجابي.«

•ماذا بشأن العلاقات مع الأردن في الوقت الحاضر؟ هل هناك ضغط على الملك حسين؟

-نحن كنا في الدار البيضاء عندما شُكلت لجنة تنقية الأجواء، ونحن ليس لنا سياسة مزدوجة نوافق على شيء ونرفضه، لكن تخوفنا من هذا اللقاء عندما سمعنا بالشروط السورية المفروضة من أجل هذا اللقاء.

وهذا الذي جعلنا نقف موقف المتحفظ والمراقب لهذا اللقاء، طبعاً الأردنيون يقولون ما في شروط، والسوريون يقولون هناك شروط، ولكن نحن متأكدون، لأن مصادرنا تتحدث عن هذه الشروط، ومنها الذي يخيفنا حقيقة، وهو أن يكون اللقاء السوري - الأردني على حساب منظمة التحرير الفلسطينية، أو أنه يجب على المنظمة أن تسحب ثقتها من ياسر عرفات بتعاونها مع منظمة التحرير، نحن هذا الذي يهمنا

من كل الموضوع، ويهمنا أيضاً موضوع آخر، أن هذه العلاقة تكون على حساب موقف الأردن من الحرب العراقية - الإيرانية. فإذا أن هذا اللقاء لن يكون على حساب منظمة التحرير ولا على حساب موقف الأردن من الحرب العراقية - الإيرانية، نحن بالعكس نعتبر هذا اللقاء إيجابياً وجيداً، لكن ما رشح لنا من معلومات يؤكد عكس هذا، لذلك نحن نراقب ونتحفظ وننتظر، ولا أعتقد أن مصلحة سوريا ولا مصلحة الأردن أن تفقدا علاقتهما بمنظمة التحرير، أو أن تتوتر العلاقات الأردنية - الفلسطينية.

•هل هناك انفراج في العلاقات السورية - الفلسطينية؟

-لا أقول هناك انفراج، بل لقاءات، أملنا أن تؤدي إلى انفراج وعودة العلاقات، ولكن حتى هذه اللحظة لا أستطيع أن أقول إن هناك انفراجاً.

•ماذا بشأن حكومة المنفى؟

-هناك اقتراح مغربي قبل فترة لتشكيل حكومة مؤقتة أو حكومة منفى، تحاول هذه الحكومة أن تضع برنامجاً لها تقبله أكبر دول العالم الخارجي، وبصراحة أقول موضوع الحكومة المؤقتة ليس مطروحاً لأول مرة، نحن نرفض توقيت موعد إعلان الحكومة، أي متى تكون.

يعني المبدأ، ما فيش ثورة في الدنيا ولا منظمة تحرير ولا حركات التحرير لا تكون في مرحلة من مراحل نضالها تتطلع لحكومة، لكن هذا حتى لما تصل ثمار النصر، وفي شيء بدو يكون على الأرض بارز، ليكون مقراً لهذه الحكومة، نحن عندنا منظمة تحرير قائمة بكل ما يمكن أن تقوم به حكومة المنفى أو الحكومة المؤقتة، لكن إعلان الحكومة رُفض توقيته بالإجماع.

•هل هناك اتصالات ستتم مع الحكومة اللبنانية بعد توقيع الاتفاق بشأن المخيمات؟

-أنا أعتقد هذا سابق لأوانه الآن، لأنه أولاً يجب أن ينجح الاتفاق ويصمد على الأرض، وهذا من تجاربنا في لبنان والرمال المتحركة التي يرتكز عليها الوضع هناك تجعل التفاؤل حذراً. أما إذا قامت حكومة لبنانية قوية وليس عليها ضغوط ممكن أن نرى سبيلنا إلى هذا.

•ماذا بشأن الجواز الفلسطيني؟

-فكرنا في مرحلة من المراحل أمام تعنت بعض الدول العربية في تجديد الوثائق، خاصة في لبنان، أن من الممكن إصدار وثيقة سفر أو جواز سفر يكون معترفاً به من قبل الدول العربية. اللجان القومية التي شكلناها، وحتى بعض العرب نصحونا أنه في بعض العرب سيشجعون الخطوة من أجل أن نصدر الجواز، ولكن لم يعطوا لهذا الجواز أي قيمة ولا أهمية، إنما يكون فقط وسيلة لسحب الوثيقة من دون الاعتراف بالجواز، فلذلك أرجأنا البحث في هذا الموضوع، إلا إذا منحت الجواز جامعة الدول العربية يكون احترامه فعلاً ويكون له ضمانات.

إجراءات ضد الإرهاب

•هل هناك إجراءات معينة ضد الفصائل غير الملتزمة بإعلان القاهرة؟

-نحن نملك الإجراء السياسي والموقف السياسي فقط، ولكن لا نملك الحق في محاسبة، إنما نحن نقول للدول التي تحرك هذه الجماعات هي التي يجب أن يكون عندها موقف في العالم العربي منها، لأننا نؤمن أن الموقف من الإرهاب لا يتجزأ.

إقرأ المزيد : https://www.alqabas.com/article/5847465

القبس
AL-QABAS INTERNATIONAL EDITION
قصة الأزمة في العلاقات السوفيتية-الفلسطينية
المنطقة تنتظر ضربة اسرائيل
مجموعة عمليات متوقعة في أكثر من دولة خلال ٤٨ ساعة بينها غارات جوية وخطف شخصيات فلسطينية واغتيالهم
النعيمي أنهى مهمته في طهران والعراق يتوقع عملية إيرانية محدودة
فيينا: المهاجمون من جماعة أبونضال
الخيمة

مناضلٌ ثوريٌ شُجاع، وصانعُ هُوِيَّة
الدكتور عبد الرحمن بسيسو[9]

من النكبة إلى الثورة

في المسافة الممتدة ما بين حي "الحمام المحروق" المواجه لبحر يافا، وقمة تلة تونسية تحتضن ضريحاً يجلله علمٌ فلسطيني، ويحيطه اخضرار شاسع، تُوجد أزمنةٌ ومسافات، تحتضن سيرة حياةٍ تجسد نصف قرن من مسيرة شعب أبى إلا أن يُواجه الموت من أجل بعث الحياة؛ تلك هي سيرةُ حياة القائد الفلسطيني المناضل صلاح خلف (أبو إياد) التي انبثقت مع إطلالة الوليد في الحادي والثلاثين من آب (أغسطس) للعام ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين، والتي كان لاستشهاد صاحبها، في الخامس عشر من (كانون الثاني) يناير للعام ألف وتسعمائة وتسعين، أنْ يبث في عروقها أنساغاً تكثف حضورها المتألق في ذاكرة الشعب الفلسطيني، وفي صلب مكونات هويته الوطنية التي يصوغها بدم قلبه، بانتفاضته الدائمة، وببسالة أبنائه وبناته التي تضيء رؤيته، وتفتح آفاق مستقبله، ورؤاه.

الاقتلاع من الوطن وارتسام الصورة الأخيرة

في الثالث عشر من العام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين؛ عام النكبة الكبرى، أفضت المجازر وأعمال الإبادة الجماعية التي واصلت عصابات الهاغانا (الجيش الرسمي للوكالة اليهودية) تنفيذها بحق الشعب الفلسطيني في مدينة يافا، إلى اقتلاع آلاف الأسر الفلسطينية من بيوتها، لتلقي بها في البحر، تحت وابل كثيف من القذائف التي تملأ سماء يافا، وتغطي بحرها، وتتفجر، هنا وهناك، ناراً وحقداً. وكانت أسرة الشبل صلاح خلف، المنخرط منذ عامين في فرع الأشبال بمنظمة النجادة (المنظمة الفلسطينية شبه العسكرية التي أنشئت لمقاومة الهاغاناة) واحدة من الأسر التي لم يبتلعها البحر، حيث تمكنت من الصُّعود إلى مركبٍ متهالك حملها إلى شاطئ غزة، لتجد نفسها عاريةً من نفسها، منتزعةً من مسقط رأسها، وملقاةً في عراء عالم ضارٍ، هو عالم الاقتلاع والنفي؛ عالم المتاهة.

كانت الصورة الأخيرة التي ارتسمت في عيني الشبل صلاح، وسكنت وجدانه، هي صورة وطن يمعن في الغياب الموضوعي كلما ابتعد القارب عن ذلك الشاطئ اليافاوي الملتهب بالنار، وفي اللحظة التي تشكل فيها نسق الاقتلاع من الوطن (البيت

[9] د.عبدالرحمن بسيسو قيادي فلسطيني واكب مراحل الثورة الفلسطينية وتقلد مواقع مختلفة، وكاتب واديب وناقد مواليد عام 1952، له مجموعة من الكتب السياسية والادبية، والمقالات والدراسات.

المقصوف بالقنابل والشوارع المغلقة، والمحاصرة باللهيب، والمكتظة بحشود هائمة على وجوهها وليس أمامها إلا الطريق المؤدي إلى البحر – المنفي)، كان الوطن يمعن في الحضور داخل وجدان هذا الشبل، بقدر غيابه عن بصره، وكان نسق استرجاع الوطن والتشبث به، قد شرع في التحقق المجرد داخل هذا الوجدان الذي لم يكف أبداً عن مطالبة صاحبه، الذي أسكن الحقدُ الصهيوني في قلبه حقداً متأصلاً على الحركة الصهيونية وإصراراً عنيداً على مقاومة مشروعها العنصري البغيض، بأن يجعله واقعا يتحقق، ويحقق للشعب الفلسطيني حقه الأسمى في تحقيق ذاته وبناء هويته وتقرير مصيره في وطنٍ يستعيده، ويُعيد بناءه.

ضراوة المنفى وسنوات الجمر

لم تحمل الحياة في غزة للفتى الفلسطيني المقتلع من مدينته يافا، ولأسرته، إلاَّ قسوة المنفى وضراوته (1)، وكذلك هي الحال بالنسبة إلى جميع الفلسطينيين الذين اقتلعتهم الصهيونية من بيوتهم وقراهم وبلداتهم ومدنهم، التي هي مسقط رؤوسهم، وبؤر انتمائهم للوطن، والتي لا يملكون، ولا يراودهم قط، ترف التخلي عن حقهم الطبيعي والقانوني الأصيل في العودة إليها.

إزاء الحاجة الماسة لتوفير مبلغٍ من المال يكفي لتأمين مسكنٍ وإعاشةٍ لأسرة مكونة من سبعة أفراد، وإزاء آلام الأبَ وأحزانه الناجمة عن عجزه عن إيجاد عمل يوفر له دخلاً دائماً، كان على الفتى صلاح وشقيقه عبد الله أن يبادرا، من دون إطلاع الأب على الأمر، إلى البحث عن عمل يحصلان منه على أجر يمكنهما من تأمين حياة كريمة لأسرتهما؛ فتمكن الشقيق الأكبر من العمل كاتباً في ورشة للنجارة، بينما تمكن صلاح من إيجاد عمل في مصنع للكراسي بأجر شهري قدره جنيهان مصريان، وذلك قبل أن يحمله العوز وإغراء الحصول على راتب شهري قدره عشرة جنيهات، إلى الانتقال للعمل في مقهى الكمال في وسط مدينة غزة، متجاوزاً بذلك سلطة الأب التي يُجِلُّها، ومخترقاً "التابو" العائلي الذي يعتبر العمل في مقهى عملاً شائناً.

وكان على صلاح وشقيقه أن يقطعا مع مطلع كل صباح ما لا يقل عن خمسة كيلومترات مشياً على الأقدام لتلقي العلم والمعرفة في مدرسةٍ اكتظت فصولها بالتلاميذ، وأن يذهبا إلى العمل فور خروجهما من المدرسة، وأن يمكثا قسطاً كبيراً من الليل في مراجعة دروس الصبا ح وإكمال الواجب المنزلي والتحضير لدروس الغد. ولم يكن بمستطاع الشقيق الأكبر أن يكمل تعليمه، وربما كان ذلك لرغبة منه في ممارسة مهنةٍ أحبها أو لتحسسه حاجة الأسرة إلى مزيد من المال. أما صلاح فقد

حصل، في العام 1651، على شهادة تؤهله للالتحاق بالجامعة، فالتحق في العام نفسه بكلية دار العلوم القاهرية، متخصصاً في الفلسفة وعلم النفس.

منطلق النضال وبناء الذات

ولم يكن العام 1951، بالنسبة إلى صلاح خلف الشاب، عاماً لبدء الحياة الجامعية والتحصيل العلمي العالي، فقط، وإنما كان أيضاً منطلقاً لنضالٍ وطنيٍّ لم يكف أبداً عن التصاعد والارتقاء، على امتداد أربعة عقودٍ جسدت التاريخ الشخصي لإنسان فلسطينيٍّ اقتلع من وطنه، فما أطال الوقوف حتى أدرك أن بناء ذاته وصوغ هويته، لا ينفصلان عن إلزام نفسه على نحو صارمٍ، وعنيد، بالعمل على إنهاض شعبه لمواجهة الموت المحدق به في المنافي وتحت نير الاحتلال الصهيوني البغيض، وذلك عبر الانخراط في حركة تحرر وطني تحشد طاقات الشعب وموارده؛ تصوغ هويته الوطنية وتشكل ذاته الكلية الجامعة؛ وتفتح أمامه آفاق مسيرة نضالية يستعيد عبرها وطنه المسروق، ويحقق هدفه الأسمى في تحرير هذا الوطن، وفي إعادة بنائه.

وقد كان للعقد الأول من بين هذه العقود الأربعة؛ إي عقد الخمسينيات، أهميةً حاسمةً وتأسيسية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، وذلك على المستويات التنظيمية والفكرية والسياسية، فخلال العام الأول من هذا العقد التقى صلاح خلف طالباً فلسطينياً يدرس في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وكان هذا الطالب الذي انجذب إليه الشاب صلاح خلف، وأعجب بما يتمتع به من ذكاء وفراسة وقوة ذاكرة وحيوية وروح مغامرة، مسؤولاً عن تنظيم تدريب عسكري لطلاب كلية الهندسة الراغبين في الالتحاق بالفدائيين الذين يقاومون القوات البريطانية في منطقة قناة السويس، وكان منخرطاً، مثل صلاح نفسه، في العمل النقابي في إطار رابطة الطلاب الفلسطينيين التي كانت تضم الطلاب الجامعيين الفلسطينيين الدارسين في مصر على اختلاف مشاربهم الفكرية ونزعاتهم السياسية (الإخوان المسلمون، الشيوعيون، القوميون العرب، البعثيون)، ولم يكن هذا الطالب إلا ياسر عرفات الذي سيعرفه العالم بعد حوالي سبع عشرة سنة؛ وتحديداً في 15 نيسان (أبريل) 1968؛ وعبر بيانٍ أعلنه صلاح خلف (2)، باسم "أبو عمار"، وذلك بوصفه ناطقاً رسمياً باسم حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وقائداً لقوات العاصفة.

عقد التأسيس: النضال المعلن والسري

يبدو أن التعرف إلى ياسر عرفات كان منطلقاً لبدء العمل النضالي المشترك، على مستويين: معلن وسري، أما المستوى المعلن فقد تجسد في العمل ضمن إطار رابطة الطلاب الفلسطينيين، بينما شرع المستوى الثاني في التبلور من خلال المناقشات التي تواصلت على امتداد بضع سنوات بين الشابين ياسر عرفات وصلاح خلف، وشباب آخرين غيرهما ولا سيما أربعة من أولئك الذين شكلوا(3)، في أيلول (سبتمبر) من العام 1952، قائمة "أنصار رابطة الطلاب"، وهي القائمة التي جسدت شكلاً من أشكال الوحدة الوطنية (ستة أعضاء من مجموعة ياسر عرفات وصلاح خلف، وعضو واحد لكل من الإخوان المسلمين، الشيوعيين، والبعثيين) وقد فازت هذه القائمة بالانتخابات، وجرى تعيين ياسر عرفات رئيساً وصلاح خلف نائباً له.

نهضت فكرة الوصول إلى قيادة رابطة الطلاب الفلسطينيين؛ وهي الإطار الفلسطيني الوحيد، في ذلك الوقت، الذي يجسد شكلاً من أشكال الكيانية الفلسطينية الممثلة لقطاعٍ من قطاعات الرأي العام الفلسطيني، عبر تشكيل هذه القائمة الانتخابية، على مبدأ أساسي كانت المناقشات بين ياسر عرفات وصلاح خلف، وغيرهما من الطلاب، بشأن المسألة الفلسطينية وممارسات الأحزاب والتجمعات السياسية العربية القائمة، وإيديولوجياتها وبرامجها السياسية، قد بلورته، ومؤدى هذا المبدأ هو أنَّه ليس للشعب الفلسطيني، الساعي إلى تحرير وطنه والعودة إليه، أن ينتظر شيئاً ذا مغزى من الأنظمة العربية الفاسدة في معظمها، كما أنه يخطئ تماماً إنْ هو واصل المراهنة على الأحزاب السياسية القائمة، وليس لهذا الشعب أن يعتمد إلا على نفسه، عبر الانخراط في حركة تحرر محض وطنية، جامعة ومستقلة كلياً، وتكرس نفسها تكريساً تاماً لتحرير فلسطين.

ويبدو أن هذا المبدأ قد نهض على توجهٍ فكريٍّ أساسيٍّ التفت حوله ثلة من الشباب المتحمس، وهو توجه ليبرالي ذي طبيعة قومية مدنية (علمانية)، يتجاوب تماماً مع ما كان يراه صلاح خلف، طالب الفلسفة وعلم النفس، ميلاً طبيعياً في نفسه المسكونة بالتسامح وباحترام الآخر وفهمه عبر التعامل معه كذات حرة، غير أن هذا التوجه لم يكن قد تبلور على نحو كافٍ، وإنما ظلَّ لسنوات طويلة، وربما إلى الآن وبسبب من إعطاء حركة فتح أولوية أكبر للممارسة على التنظير، مجرد توجه عام لا يزال ينتظر، كما يرى صلاح خلف نفسه(4)، المزيد من التوضيح على مستويي الشكل والجوهر.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه، الآن، هو: كيف تمكنت هذه القائمة من الفوز في ظل هيمنة شبه تامة للأحزاب السياسية القائمة، وتعاطف كبير معها في صفوف الطلاب الفلسطينيين؟

يُرجع صلاح خلف **أسباب هذا الفوز إلى عاملين أساسيين:**

*أولهما: العلاقات الشخصية الجيدة التي أقامها هو وياسر عرفات مع الطلاب الفلسطينيين من دون تمييز لانتماءاتهم السياسية، واستعدادهما التام لقيادة مظاهرات الاحتجاج، وتقديم التضحيات، في الدفاع عن مصالح الطلاب وحقوقهم النقابية والسياسية؛ **وثانيهما: العمل على تحييد الأحزاب السياسية القائمة وعدم تحدّيها أو مخاصمتها، بل السعي لإقامة تحالف معها في إطار قائمة وحدة وطنية.

ويبدو أن جوهر الأمر يتلخص في قدرة صلاح خلف وياسر عرفات على التقاط اتجاه الحساسية الفكرية والسياسية للطلاب الفلسطينيين، ولربما لأبناء الشعب الفلسطيني والعربي عموماً، وهو، من جهة أولى، الاتجاه نحو حشد القوى في عمل وحدوي يهدف أساساً إلى تحرير فلسطين، سواء أكان ذلك على مستوى الشعب الواحد أو على مستوى الشعوب العربية بأسرها، ومن جهة ثانية، تحقيق استقلالية العمل النقابي والوطني الفلسطيني عن الأنظمة، وعن الأحزاب التابعة لها، أو ذات الفكرانيات (الإيديولوجيات) المغلقة على الماضي، أو المسكونة بتطلعات حالمة (يوتوبيا) لا تتجاوب مع شروط الواقع الماثل في الأقطار العربية وحاجات شعوبها، على تباين هذه الشروط والحاجات وتكاملها، أو تتعارض مع مكونات الثقافة العربية، ومع أولويات العمل الوطني التحرري.

مثَّل العمل في إطار رابطة الطلاب، بل وقيادة هذا الإطار النقابي – السياسي، مجالاً حيوياً، خصباً وملائماً، للتحرك على المستويين المتكاملين: المعلن، والسري؛ فعلى المستوى الأول خاضت الرابطة نضالاً متواصلاً من أجل الدفاع عن حقوق الطلاب وتوفير حاجاتهم الأساسية، وتلبية مطالبهم المبررة(5). وقد قدمت قيادة الرابطة تضحيات بالغة، لعل أبرزها التعرض للاعتقال والسجن والتعذيب؛ فعلى سبيل المثل، قررت جامعة الدول العربية في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1952، للمرة الثانية(6) ، إلغاء المساعدات المالية المتواضعة جداً التي كانت تدفعها للطلاب الفلسطينيين المحتاجين، مما دفع الرابطة إلى الشروع في إضراب عام، وإلى الاعتصام داخل مقر جامعة الدول العربية، ولم يبد مسؤولو جامعة الدول العربية(7) أي استعداد للتراجع عن القرار بإدراك مدى حاجة الطلاب الفلسطينيين المفتقرين إلى أسر تستطيع الإنفاق على تعليمهم إلى هذه المساعدة، بل إنهم لجأوا إلى استدعاء قوات الأمن التي فرقت المضربين المعتصمين بالقوة، **واعتقلت تسعة عشر طالباً اشترطت للإفراج عنهم أن يسلم صلاح خلف نفسه إليها، باعتباره منظم الإضراب وقائده.** وهو ما حدث بالفعل، حيث سلَّم صلاح خلف نفسه بناءً على

نصيحة ياسر عرفات الذي كان قد التجأ إلى شقة عائلته في مصر الجديدة، ولم يُفرج عن صلاح خلف إلا بعد خمسة وثلاثين يوماً (8)، وذلك عقب تدخل أحمد الشقيري، الذي كان يشغل في جامعة الدول العربية وظيفة الأمين العام المساعد للشؤون الفلسطينية.

يمثل هذا الشكل من أشكال النضال المطلبي والسياسي، وحملات ممارسة الضغط، وهو الشكل الذي تكرر مرات عديدة، ولا سيما عقب الغارة الإسرائيلية على غزة في شباط (فبراير) من العام 1954، منحىً أساسياً للتحرك اعتمدته رابطة الطلاب الفلسطينيين، ومن بعدها الاتحاد العام لطلبة فلسطين على امتداد تاريخ نشاطه وفاعليته النقابية والسياسية.

أما المنحى الثاني للنضال المعلن لرابطة الطلاب الفلسطينيين، فقد تمثل في السعي الحثيث لتوعية الرأي العام العربي والعالمي بالقضية الفلسطينية، واكتساب دعمهما للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وتحضيرهما لاستقبال انطلاقة الهيكل الوطني الفلسطيني المستقل الذي يجري الإعداد لتأسيسه في الخفاء؛ ليمثل الكينونة الوطنية الفلسطينية، ويعكس تطلعات الشعب الفلسطيني وآماله في الحرية والاستقلال. ولعلَّ أبرز ما تمكنت الرابطة من إنجازه في هذا السياق يتركز في العلاقات التي أقامتها مع اتحاد الطلاب العالمي IUS الذي كان يتخذ من براغ مقراً له، وفي تمكنها من الحصول على دعوة للمشاركة في المؤتمر العام للاتحاد الذي عُقد في تموز (يوليو) 1954 في مدينة فرصوفيا، وهو الأمر الذي أتاح لوفد الرابطة(9)، الذي ترأسه ياسر عرفات، أن يطرح القضية الفلسطينية أمام المؤتمرين، وأن يؤسس علاقات مع اتحادات وهيئات نقابية عديدة، وهي العلاقات التي جرى تمتينها وتطويرها على امتداد السنوات اللاحقة، سواء عبر الرابطة أو عبر الاتحاد العام لطلبة فلسطين الذي حلَّ محلها في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) 1959.

الأفكار والمبادئ العامة

أشرنا قبلاً إلى أن رابطة الطلاب الفلسطينيين قد مثلت المجال الحيوي والإطار الخصب للعمل النضالي السري وذلك للوفرة التي أتاحتها في مجال المعلومات والاتصال بالطلاب الفلسطينيين، وللغطاء الذي وفرته لإتمام الاتصال بهم وإقامة علاقات وطيدة معهم، وتجنيدهم، وذلك من دون إثارة ريبة سلطات الأمن وتوجسها. وقد استندت هذه الاتصالات والعلاقات، العامدة إلى تجنيد الأعضاء الفرديين في إطار نمط التنظيم العمودي تمهيداً لانخراطهم في بنى الهيكل التنظيمي المحتمل إنشاؤه، إلى طائفة من الأفكار والمبادئ العامة المتفق عليها بين أربعة أشخاص على الأقل ممن سيشكلون، فيما بعد، القيادة التاريخية لحركة فتح. وقد

جرت مناقشة هذه الأفكار والمبادئ مع الأشخاص المرشحين للتنظيم بوصفها أفكاراً ومبادئ قابلة لمزيدٍ من العقلنة والتطوير، وذلك بحسب توضيحات صلاح خلف الواردة في مواضع مختلفة من كتابه "فلسطيني بلا هوية". ولعلنا نستطيع تحديد **هذه الأفكار والمبادئ، وصياغتها، على النحو التالي:**

الموقف من الأنظمة العربية: إن الارتياب في الأنظمة العربية، محافظة أو تقدمية، يستند إلى تحليل موضوعي لأوضاعها وعلاقاتها واستراتيجياتها السياسية والعسكرية، وسلم أولوياتها، كما يستند إلى التجربة الواقعية؛ فالأنظمة العربية تقدم مصالحها الأنانية الخاصة على تحرير فلسطين، وليست الأعمال الفدائية التي تشنها مجموعات تابعة لأجهزة مخابرات البلدان المجاورة، وتحديداً مصر وسوريا، إلا مشاريع عارضة تمليها مصلحة الدولة، وحاجاتها الخاصة، فحسب. وليس أدل على ذلك من أن هذه الدول تسعى لإجهاض أي عمل فدائي؛ فتوقف الفدائيين الفلسطينيين، وتعتقلهم وتعذبهم، سواء قبل وصولهم إلى أهدافهم داخل فلسطين أو عند عودتهم. إن انتظار قيام الأنظمة العربية الفاسدة في معظمها، أو المرتبطة بالإمبريالية، بالعمل على تحرير فلسطين، ليس إلا ضرباً من الحمق.

الموقف من الأحزاب العربية: إنَّ المراهنة على الأحزاب السياسية القائمة، وضمنها الأحزاب العروبية، يسارية أو يمينية، ليست إلا ضرباً من الوهم، فقد جعلت هذه الأحزاب من الإيديولوجيا بديلاً لتحرير فلسطين، أو هي، في أحسن الأحوال، تعطي لتحرير فلسطين أولوية ثانية، ولذا فهي تشكيلات سياسية سلبية تعيق العمل على تحرير فلسطين بإصرارها على بيع الوهم، وعلى تشتيت الشعب الفلسطيني.

الاعتماد على النفس لإنشاء هيكل وطني تحرري فلسطيني وإشعال الكفاح المسلح: ليس للفلسطينيين، الساعين إلى تحرير وطنهم، إلا الاعتماد على أنفسهم عبر حشد طاقات الشعب الفلسطيني، وتوظيف موارده البشرية والمادية، من أجل تأسيس هيكل وطني تحرري فلسطيني مستقل، وإشعال الكفاح المسلح ضد إسرائيل. إن تجربة جبهة التحرير الوطني الجزائري، ونجاحها المتواصل منذ تأسيسها في العام 1954، تفتح أمام الفلسطينيين أفق التفكير في إنشاء حركة تحرير واسعة تكون ضرباً من الجبهة التي تضم الفلسطينيين من جميع الاتجاهات، بحيث ينتمون إليها بصورة فردية، وذلك بغرض إشعال الكفاح المسلح في فلسطين.

الكفاح المسلح: الكفاح المسلح، أو العنف الثوري، هو وحده القادر على التسامي فوق الإيديولوجيات المتباينة والمتصارعة؛ وهو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، ولا بد أن يمارس، في المرحلة الأولى على الأقل، من قبل الجماهير الفلسطينية بقيادة فلسطينية مستقلة تماماً عن الأحزاب والدول. ولكن دعم العالم العربي الفعَّال هو

أمر لا غنى عنه لنجاح المشروع، شريطة أن يحتفظ الشعب الفلسطيني لنفسه بسلطة التقرير، وبدور الطليعة.

الوحدة العربية: ليس للفلسطينيين الساعين إلى أخذ زمام المبادرة وتنظيم أنفسهم من أجل تحرير وطنهم أن يوسموا بأنهم انفصاليون، أو بأنهم أبطالٌ للوحدة العربية، فهم يدركون تماماً أنه ليس في وسعهم أن يحرروا وطنهم من غير دعم العرب، ولكنهم يسعون لأن يكونوا هم رأس حربة لإشعال الكفاح المسلح، وحافزاً لتشكيل قوة عربية وحدوية ثورية، أو جبهة عريضة تعمل على تحرير فلسطين، وبهذا المعنى؛ فإنه ليس بوسع الفلسطيني أن ينتظر تحقيق الوحدة العربية تحقيقاً كاملاً وناجزاً، ليتسنى له الشروع في التفكير بتحرير وطنه المغتصب، بل إنه لمن المنطقي، والأكثر عقلانية، أن يُفترض أن الوحدة العربية تمر بتحرير فلسطين، كهدف سامٍ وعاجلٍ يقود إلى هذه الوحدة، وليس العكس.

لقد كان لصلاح خلف إسهاماً مميزاً في بلورة هذه الأفكار والمبادئ العامة، التي كانت محلَّ اتفاق مع المسهمين الآخرين من المؤسسين، ولعله من المناسب القول إن هذا الاتفاق لم يصل درجة التطابق الكامل في الرؤية، ولكنه كان نوعاً من القاسم المشترك المعزَّز باتفاق تام على الهدف الأسمى وهو تحرير الوطن الذي يحتل مرتبة الأولوية القصوى، ويسمو فوق التباين في الرؤى والإيديولوجيات.

قراءة الماضي، واستلهام عِبَره

ولعلَّ في إشارة صلاح خلف إلى أنَّ دراسة منهجية أو تفكيراً جماعياً حول هذه الأفكار والمبادئ لم يحدثا حتى قرب نهاية العام 1959 (10) ، وأن كل واحد من المؤسسين استخلصها عبر قراءته الخاصة لدروس الماضي وعِبَره، ما يدل، ضمن ما يدل عليه، على أنَّ تحليله (أي تحليل صلاح خلف) للواقع الفلسطيني والعربي، وقراءته الخاصة لماضي الحركة الوطنية الفلسطينية، واستيعابه تجارب نجاحها وإخفاقها، تكمن في خلفية هذه الأفكار والمبادئ العامة، وتؤسس لانبثاق أفكار ومبادئ أخرى جرت بلورتها في مراحل لاحقة، ولعلَّ فكرة إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية فوق كامل الوطن الفلسطيني أن تكون هي أهم هذه الأفكار، وأكثرها توهجاً وجاذبيةً.

تنهض قراءة صلاح خلف لتجربة الحركة الوطنية الفلسطينية منذ مطلع القرن العشرين، وتحليلها تحليلاً موضوعياً معمقاً يستهدف كشف الأخطاء لتلافي ارتكابها في المستقبل، على تقدير أساسي مؤداه أنه "ليس من العدل إصدار حكم إجمالي سلبي عل عمل من سبقونا"(11)، وقد توصلت هذه القراءة إلى معطيات واستنتاجات بالغة الأهمية تتعلق بالبنية التنظيمية؛ والقيادة السياسية، وبالعلاقة

بين الفكر والممارسة؛ فقد كانت البُنَى التنظيمية لهذه الحركة بُنِيَ هشةً، غير متراصة؛ فلئن احتوت البرجوازيين الكبار، والمنحدرين من الأوساط الشعبية، فإنها انبت على عشوائية ضمت الخونة إلى الوطنيين، والمخطئين إلى صائبي النظر، ولأنها خضعت إلى قيادة شخصيات تنحدر من العائلات الكبيرة، وإلى مركزية الزعيم الملهم، فإنها لم تقم بتطوير فكر يتجاوز الذهنية التقليدية السائدة، ولم تعمد إلى أن تضم السكان اليهود، أو جزء منهم على الأقل، إلى العمل الوطني، وألحقت إرادتها بإرادة الأنظمة العربية الخاضعة للإمبريالية أو المتواطئة مع الإنجليز، خالطةً بذلك بين بواعث هذه الأنظمة ودوافعها الأنانية المغرضة، وبواعث الشعوب العربية ودوافعها الأصيلة السامية. وقد نجم عن هذه المعطيات أن انحدرت تنظيمات الحركة الوطنية إلى حالة من الشلل، والتضارب، أو المواجهة التي غالباً ما كانت تنفجر عندما لا تتوصل إلى اتفاق على السلوك الذي يتوجب اتباعه. كما أنها تعرضت، بفعل نهوضها على مبدأ مركزية الزعيم الذي هو روح التنظيم وركيزته، إلى الاضمحلال التلقائي والانهيار، عند اختفاء هذا الزعيم (الروح والركيزة)

ولئن كان هذا هو واقع تنظيمات الحركة الوطنية الفلسطينية وتشكيلاتها، بحسب قراءة صلاح خلف، فإن الشعب الفلسطيني، بموجب هذه القراءة المحقة، كان يتبع قادته، ولكنه كان يسبقهم في بعض الأحيان، ويمارس، بفضل لجان المقاومة المحلية الناشئة عفوياً، مختلف أنواع النضال، كالإضراب والمظاهرات، بل وحرب العصابات؛ فالإضرابات وأعمال العصيان التي وقعت في الأعوام 1919، 1922، 1928، 1933، 1936، و1938 "تشهد بروح الأهالي الكفاحية، ولكنها تشهد كذلك بعقم المعركة التي لا يشنها ويقودها ويدعمها جهاز مركزي دائم يتمتع ببنية متينة." (12)

واستناداً إلى هذا التحليل، كان على أولئك العاملين على تأسيس الهيكل الوطني التحرري الفلسطيني، أن يتلافوا تكرار أخطاء الماضي، وأن يعطوا أولويات قصوى متماثلة لإقامة "منظمة شعبية حقاً، تكون قادرة على الاستمرار مهما حدث، وكائناً ما كان مصير هذا القائد أو ذاك"(13)؛ و"للتصدي لكل محاولة لإخضاع الحركة الوطنية الفلسطينية لإشراف حكومة عربية كائناً ما كانت هذه الحكومة"(14)؛ وللاستمرار في استشفاف "إمكانية إقامة دولة ديمقراطية في كامل فلسطين يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون كمواطنين متساوين"(15)

الانخراط في النضال وإنهاض الوعي

كانت الفترة الممتدة من العام 1952 حتى منصف العام 1956 فترة تمهيدية تركَّز النشاط فيها على العمل الطلابي والنضال السياسي، وعلى بلورة أفكار ومبادئ نضالية

عامة يمكن أن يلتف حولها شباب فلسطينيون متحمسون ومستعدون للتضحية، يجري انتقاؤهم بحرص وتدقيق شديدين، ويُتصل بهم في سرية تامة، وذلك تمهيداً لإشراكهم في تأسيس الهيكل الوطني التحرري الفلسطيني المستقل، المزمع إنشاؤه.

وفي تموز (يوليو) 1956 حدث منعطف حقيقي بالغ الأهمية على أكثر من مستوى وصعيد، وقد تجسد هذا المنعطف في إعلان الرئيس المصري جمال عبد الناصر، قائد ثورة تموز (يوليو) 1952، تأميم قناة السويس وإعادة ملكيتها خالصةً للشعب المصري، باعتبارها حقاً ثابتاً لهذا الشعب لا يجوز التفريط به. ويذكر صلاح خلف أن موقفه من جمال عبد الناصر، وتقييمه لشخصه ولدور ثورة تموز (يوليو)، قد تبدل تماماً عقب هذا الإعلان؛ فنظراً لشراسة سلطات الأمن المصرية في مطاردة المناضلين غير المتطابقين مع النظام المصري، وهي الشراسة التي كانت تظهر أحياناً في ممارسات هي أقرب ما تكون إلى الصغائر، وبسببٍ من أنَّ عبد الناصر لم يفعل شيئاً من أجل القضية الفلسطينية، ونتيجة لعجز النظام المصري عن الدفاع عن أهالي قطاع غزة إزاء الغارة الإسرائيلية التي شنت على غزة في 28 شباط (فبراير) 1955، وعدم رده على هذه الغارة بضخامة تتناسب مع ضخامتها، فإنَّ صلاح خلف لم يكن يتعاطف مع جمال عبد الناصر إلا قليلا، وكان يُشارك الإخوان المسلمين والشيوعيين حذرهم من بدايات نظامه(16.)

وفي إثر العدوان الثلاثي(17) على مصر، شكلت رابطة الطلاب الفلسطينيين كتيبة فدائيين لتسهم، إلى جانب المتطوعين المصريين، في مقاومة هذا العدوان؛ ونظراً لأن السلطات المصرية لم تسمح بذهاب صلاح خلف إلى قناة السويس ضمن كتيبة الفدائيين؛ فإنه تطوع في المقاومة الشعبية حيث أسندت إليه مهام دفاعية من قبيل حراسة جسور القاهرة. كما أنه عمل بالتعاون مع طلاب آخرين، ولا سيما أولئك الذين سيصبحون، بعد ثلاث سنوات، من مؤسسي حركة التحرير الوطني (فتح)، على إدخال المال والسلاح والمنشورات التعبوية والتحريضية، إلى مدينة غزة المحتلة من قبل إسرائيل، وذلك إسهاماً في جهود جبهة المقاومة التي ضمت الإخوان المسلمين إلى جانب الشيوعيين والقوميين العرب والبعثيين والناصرين، على أساس برنامج عمل مشترك(18)

وعلى امتداد الفترة من العام 1952 حتى الأشهر الأولى من العام 1957 عمل صلاح خلف ورفاقه على نشر الأفكار والمبادئ العامة في الوسط الطلابي الفلسطيني في مصر، وفي أوساط قطاعات أخرى، ولدى من يثقون به من العمال والموظفين والتجار ورجال الأعمال، سواء أكانوا من الفلسطينيين المقيمين في مصر، أو الفلسطينيين القادمين إليها من غزة ومن الدول العربية ودول العالم، زائرين. وقد تمكن صلاح خلف ورفاقه من ضم عدد غير قليل من الأشخاص المرشحين للحصول

على إعدادٍ يؤهلهم لأن يكونوا كوادر فاعلة في الهيكل التنظيمي الذي يجري التفكير في إنشائه، ولأن يباشروا ممارسة العمل النضالي.

أما طبيعة هذا الهيكل التنظيمي فلم تكن واضحة تماماً، فما كان واضحاً إلى حدٍّ ما هو فقط الأفكار والمبادئ العامة التي يتوجَّب أن يستجيب إليها هذا الهيكل، أو التي ينبغي الاستهداء بها عند إنشائه. ويشير صلاح خلف، في هذا السياق، إلى أن "إنشاء حركة شعبية واسعة وجيش تحرير وطني حقيقي، كان لا يزال في فترة حرب السويس عام 1956، أفكاراً غائمةً، سوف تتبلور في أهداف واضحة خلال السنتين التاليتين." (19)

تسمية فتح

كانت الأشهر الأولى من العام 1957 نهاية فترة وبداية أخرى؛ فقد أنهى صلاح خلف دراسته الجامعية التي كان قد مددها للحصول على دبلوم التربية من جامعة عين شمس، وكان عليه أن يسعى للحصول على وظيفة. وكذلك كان ياسر عرفات وخليل الوزير (أبو جهاد) قد ذهبا للعمل في الكويت، وما لبث فاروق القدومي (أبو اللطف) أن لحق بهما، في حين أن كلاً من محمد يوسف النجار (أبو يوسف)، وكمال عدوان، محمود عباس (أبو مازن) قد انتقلوا إلى قطر للعمل فيها.

ويبدو أن الاتفاق على الطابع العام للهيكل الوطني التحرري الفلسطيني المستقل، الذي يجري إنشاؤه، وعلى اسمه، وعلى توقيتٍ تقريبيٍّ للإعلان عن تأسيسه بعد استكمال بنائه التنظيمي وتحديد وسائل عملة، وقنوات تمويله، وتشكيل أجهزته، وإعداد أنظمته الداخلية واستراتيجيته وبرنامجه السياسي، كان قد تم بين هؤلاء الأشخاص المتخرجين لتوهم من الجامعات، وربما بمشاركة آخرين غيرهم. وفي هذا الصدد يذكر صلاح خلف أنه ورفاقه المقيمين في الخليج (الكويت وقطر) كانوا قد اتفقوا(20) ، قبيل مغادرتهم القاهرة، على أن يأخذ هذا الهيكل طابع الحركة (حركة تحرير فلسطين)، وأن تأتي التسمية من الأحرف الأولى (ح. ت. ف)، ونظراً للمعنى غير الملائم الذي تحمله هذه الحروف إن هي جمعت في كلمة واحدة (حتف)؛ فقد اتفق على قلب الأحرف عند تركيب الكلمة لتصبح (فتح). وتلك، فيما نرى، كلمة تنطوي على دلالات إيجابية عميقة التأصل في الثقافة العربية والإسلامية، ولها وقع خاص شديد الجاذبية في نفوس الفلسطينيين والعرب والمسلمين، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالهدف الرئيسي المتمثل في تحرير فلسطين عبر استدعائها أمجاد الفتوحات الإسلامية، والإيحاءات القرآنية المبشرة بالنصر(21). ولا ريب أن التجربة التاريخية قد أثبتت صوابية اختيار هذه الكلمة ذات البنية التركيبية الصغرى؛ إذ أوضحت

تميزها بقدرة فائقة على توليد إيحاءات ودلالات جذبت الناس، على تباين فئاتهم ونزعاتهم ومشاربهم، إلى الانخراط في حركة (فتح)، أو مناصرتها وتقديم الدعم لها.

تسريع بناء الهيكل الوطني المستقل، وتوسيع رقعته

وبناءً على التوجه نحو تعزيز العمل على استكمال بناء الهيكل الوطني التحرري الفلسطيني المستقل (حركة تحرير فلسطين) وتوسيع رقعته الجغرافية ليشمل مناطق الوجود الفلسطيني، سعى صلاح خلف للحصول على وظيفة في مجال التعليم في قطاع غزة، مما أثار حفيظة سلطات الأمن المصرية التي افترضت أنَّ هذا السَّعي غير منفصلٍ عن نياتٍ مسبقةٍ، غير سوية بالنسبة إليها، وهي نيات ترتبط بالسلوك النضالي لهذا الشاب الخطر! فقد جرت العادة أن يسعى الخريجون الجامعيون الفلسطينيون إلى التوظُّف في بلدان الخليج للحصول على مرتب شهري عالٍ، أو إلى إيجاد عمل في القاهرة أو في غيرها من المدن المصرية الكبرى، وليس البحث عن عمل في غزة!

ولدهشة صلاح خلف واستغرابه، وربما لتعمد سلطات الأمن المصرية عدم إضاعة فرصة إبقاء هذا الشاب تحت بصرها، وملاحقته، ومتابعة تحركاته، للحصول على معلومات تتعلق بمسار العمل النضالي لدى هذه الثلة من شباب فلسطين، عُين صلاح خلف مدرساً للغة العربية وعلم النفس في مدرسة الزهراء الثانوية بقطاع غزة، وهو الأمر الذي يخرق القاعدة المتبعة التي تنصُّ على ضرورة "ألا يعمل في مدارس البنات إلا الرجل المتزوج"(22). ويبدو أن هذا التعيين قد أزعج صلاح خلف الشاب الذي نشأ على تقاليد مجتمع إسلامي تقليدي لا يتيح الاختلاط ما بين الجنسين في الحياة العامة، مما دفعه إلى لفت انتباه مدير دائرة التربية إلى أن تعينه في مدرسة للبنات يخالف القاعدة المتبعة، ويضايقه؛ وذلك لأنه "ليس ثمة ما هو أزعج بالنسبة لرجل في مجتمع إسلامي تقليدي من العمل في وسط نسائي"(23). وإذ اكتفى مدير دائرة التربية بالابتسام وهو يقول "لكل قاعدة شواذها"(24)، فإن هذا كان كافياً لأن يُفهم صلاح خلف أن سلطات الأمن المصرية تسعى إلى نبذه، وعزله داخل وسط يصعب عليه أن يمارس فيه عمله السياسي النضالي، أو أن يتخذه غطاءً لهذا العمل!

ولم يكن للعمل في مدرسة للبنات أن يثبط عزيمته أو يحبط عزمه على متابعة عمله النضالي، وتأدية المهام التي اتفق عليها مع رفاقه. وربما كان لتجربته القصيرة في تعليم بناتٍ "مدللات مزاجيات غير منضبطات"(25)، أثرها الإيجابي الذي سيظهر في السنوات اللاحقة حيث بدا أنَّ صلاح خلف، كإنسان وكمناضل فلسطيني، يتمتع بقدرات ومهارات عالية تؤهله للتعامل الحميم مع المرأة عبر تفهم مشاعرها وتطلعاتها ورؤيتها للعالم، وتقدير دورها المتميز في الحياة الاجتماعية وفي مسيرة

النضال الوطني، بوصفها ذاتاً فاعلة. ولعل صلاح خلف أن يكون هو القائد الفلسطيني الأكثر حماسةً وتأييداً للحركة النسائية الفلسطينية والعربية التي تنخرط في النضال الوطني العام وتناضل، في الوقت نفسه، من أجل الإقرار بالهوية البيو – ثقافية للمرأة كإنسان كامل، له حق التمتع بكل حقوق الإنسان.

ومهما يكن من أمر، فإنه لم يكن أمام صلاح خلف إلا إن يستفيد من الوظيفة التي شغلها ليباشر العمل على إنهاض الوعي بالأفكار والمبادئ السياسية العامة المتفق عليها، وذلك عبر طرق تناسب تلميذاته؛ وهكذا شرع في دعوتهنَّ إلى تشكيل مجموعات مدنية(26) في أحيائهن لتعرُّف حاجات الأهالي والعمل على مساعدتهم، ونشر الوعي الوطني في صفوفهم، والتقدم بعناوين موضوعات تنبثق عن هذه التجربة كي تُناقش من جانبه بمشاركة جميع تلميذات الفصل.

لم يدم عمل صلاح خلف في مدرسة البنات إلا ستة أشهر نقل بعدها إلى مدرسة خالد بن الوليد الثانوية، وهي مدرسة للصبيان كانت تقع، في ذلك الوقت، خارج مدينة غزة، وأغلب طلابها من اللاجئين المقيمين في مخيمات اللجوء القريبة منها، والتي أنشأتها وكالة الغوث(27) على عجل لإيواء الفلسطينيين المقتلعين من الجزء المحتل من فلسطين. وفي مقابل عدم تلبية مباني المدرسة ومرافقها للحد الأدنى المناسب من الناحية الصحية أو التعليمية، شكّل طلاب المدرسة من اللاجئين الفقراء المنفيين، والذين يتحرقون لانطلاق النضال الوطني من أجل تحرير فلسطين والخلاص من شروط واقعٍ اجتماعي وإنساني متردٍ ومذل، مجالاً حيوياً خصباً لاستمرار صلاح خلف في نشاطه الهادف إلى إنهاض الوعي السياسي، واكتساب المزيد من الأعضاء والمناصرين.

وعلى مستوى العمل المعلن لإنهاض الوعي السياسي عبر الممارسة يذكر صلاح خلف أنه **شكل مع الطلاب لجنة معونة للثورة الجزائرية**، وانه دعا الطلاب إلى الإسهام في جمع المال، فاستجابوا للنداء، رغم بؤسهم وعوزهم، مما أشعل في نفسه الإحساس بأنَّ هؤلاء الطلاب المتطلعين إلى العودة إلى وطنهم عبر مناصرة الثورة الجزائرية مستعدون، بلا أدنى ريب، لبذل أقسى التضحيات وأغلاها من أجل تحريره.

مسرحيتان لفلسطين: "أيام مجيدة" و "المحاكمة"

وإضافة إلى هذا الأسلوب، لجأ صلاح خلف إلى استثمار مهاراته الأدبية لتعميق الوعي النضالي لدى طلابه، وعلى نطاق المجتمع الغزي بأسره، **فكتب في العام 1958 مسرحية بعنوان "أيام مجيدة" بناها على استلهام تجربة اقتلاعه** وأسرته من يافا

وإلقائهم في البحر ليتشبثوا بأخشاب مركبٍ متهالك ليحملهم إلى شاطئ غزة، وهي التجربة التي ارتبطت بحادثةٍ بالغة القسوة مؤداها أن امرأة من بين أولئك الذين تمكنوا من الصعود إلى المركب اكتشفت، بعد إقلاعه، غياب واحدٍ من أطفالها الأربعة؛ فراحت تتوسل عودة المركب إلى المرفأ، غير أن غزارة نيران المدفعية الصهيونية جعلت مثل هذه العودة مستحيلة، فما كان من المرأة التي حرقت قلبها فكرةُ ضياع طفلها إلا أن تلقي بنفسهما، منهارةً، في البحر. وإذ لحق بها زوجها الذي بدا أنه لا يحسن العوم، فإنَّ الأمواج ابتلعتهما، تاركين ثلاثة أطفالٍ فوق المركب في انتظار مصير غامض، وطفلاً متروكاً في يافا ليس مصيره أقل غموضاً (28)

ويبدو أن النجاح الذي لاقته هذه التجربة، كعملٍ أدبيٍّ يبث رؤية نضالية للعالم، وكأسلوب من أساليب إنهاض وعي الجمهور ودعوته إلى عمل ما بوسعه من أجل تغيير الواقع المأساوي الذي يعانيه، قد حفَّز صلاح خلف على تكرار التجربة، فأقدم على كتابة مسرحية أخرى(29)، يقوم أسلوبها النقدي التهكمي الساخر على نوع من التورية، وذلك تحاشياً للرقابة التي لم تكن لتسمح بتوجيه نقد مباشر ومعلن للأنظمة العربية، والتنديد بمواقفها السلبية والمذلة من القضية الفلسطينية. ويتجسد الإطار المكاني لهذه المسرحية في قاعة محكمة، أما الحدث المركزي فيها فهو يتأسس على محاكمة عسكرية (شعبية) يترأسها قاضٍ له خصائص شخصية فاضل عباس المهداوي الهزلية الساخرة، وأسلوبه التهكمي، وهو القاضي الذي ترأس محكمة عسكرية عليا شكَّلها النظام العراقي (حكومة الثورة)، في 15 آب (أغسطس) 1958، لإرسال المعارضين السياسيين إلى المشنقة، بينما يرمز المتهمون إلى رؤساء الدول العربية وملوكها وأمرائها، ويُواجهون تهماً تكاد أن تكون مقتبسة تماماً من أقوال المهداوي الحقيقي نفسه!

وجليٌ، رغم تعمُّد التورية، أنَّ مضمون المسرحية التحريضي المندد بمواقف االأنظمة العربية المستكينة والمذلة إزاء قضية فلسطين، لم يكن ليخفي على مشاهد حصيف، وهو الأمر الذي أعطى مسؤول دوائر الأمن في غزة، العقيد كمال حسين الذي رافق الحاكم العسكري لمشاهدة العرض الافتتاحي للمسرحية، مبرراً كافياً لاستدعاء صلاح خلف بغية استجوابه سعياً وراء معرفة الأهداف الكامنة خلف هذا التحريض، والتيقن من أن شيئاً ما لا يعد في الخفاء لتفجير فعلٍ يستجيب إليه. وقد برهن صلاح خلف على حسن نيته ومشروعية عمله بالاعتماد على موافقة الرقابة على المسرحية، وإشراف وكيل دائرة التعليم على إخراجها، وامتداح الحاكم العسكري لها عبر رسالة رسمية وجهها إليه وأطرى فيها جودة النص. غير أن هذه الحجج، وتصنُّع السخط الذي أبداه صلاح خلف، لم يقنعا رجل الأمن ببراءته وطيب نيته، وإنما زاده غيظاً على غيظٍ دفعه إلى القول بلهجةٍ ساخطةٍ مقذعة: "صلاح، أنت

مراوغ مكار، ولكنني سأنال منك، وتستطيع الوثوق بي في هذا الصدد"(30). غير أن هذا الضابط المغرور كان يجهل تماماً ما تخبئه الأيام!

تكشف هذه التجربة عن مدى الهامش المتاح لحرية التعبير في نطاقٍ تعليميٍّ محاصر، بقدر ما تكشف عن الشراسة التي تتملك سلطة مستبدة هشة يخيفها الكلام، وعن الطاقة التحفيزية الخلاقة التي يمتلكها الإبداع الأدبي والفني، ولا سيما المسرح الذي يقوم إنتاجه على روح الفريق والعمل الجماعي، وتنطوي عروضه أمام الجمهور على تجربة جماعية يتولَّد عنها شعوراً جماعياً بالقوة والتلاحم، ورؤية جماعية للعالم، وتصوراً عميقاً لإبداعية العمل الجماعي وقدرته على التغيير. وتلك، في تقديري، هي المكونات العميقة للرؤية التي توخَّى صلاح خلف أن يبثها في مجتمعه عبر استثمار موهبته الأدبية، وتوظيفها لنشر الأفكار والمبادئ السياسية العامة التي تشكل نواة الخلفية الفكرية والسياسية والنضالية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

لم تكن تجربة صلاح خلف الأدبية وموهبته المسرحية(31)، والأنشطة التي رعاها لدعم الثورة الجزائرية، إلا جانباً صغيراً من الجزء الطافي من جبل الجليد، أما ذلك الجزء الرئيسي الخفي فقد تركَّز **في تجنيد المناضلين وإعدادهم، سرياً، وذلك وفق نمط التنظيم العمودي(32)، وبناءً على معايير فكرية وخلقية وسياسية كان صلاح خلف يستوثق تمتع الشخص بها قبل أن يعرض عليه فكرة الانضمام للتنظيم؛ إذ ينبغي لهذا الشخص أن يكون حراً من كل رابطٍ حزبيٍّ** من دون أن يعني ذلك ألا يكون قد انتمى مسبقاً إلى حزب فكري أو سياسي، وأن يتمتع في حياته الخاصة بسلوكٍ تطهريٍّ لا مأخذ عليه، يحترم الشعب وتقاليده الأصيلة، ويحافظ على مصالحه ويصون أمنه؛ وأن يكون قادراً على تحمل أعباء الكفاح المسلح وتبعات النضال طويل المدى متسماً في ذلك بصفة الجندي والقائد معاً، وأن يكون على اقتناع تام بالأفكار والمبادئ العامة وأن يسهم في بلورتها، وأن يدلي بقسم فتح، مشهداً الله على نفسه(33)

وقد تمكن صلاح خلف خلال فترة تُقارب العامين، وبترو عالٍ وحذر شديد، من تجنيد عدد غير قليل من الأعضاء، ومن الإشراف على تزويدهم بالإعداد الفكري والسياسي، وتأهيلهم للممارسة العمل النضالي المزمع إطلاقه. ويبدو أن التمهيد لهذا الإطلاق قد بُوشر بالفعل عبر تحرير وطبع وتوزيع عدد من المنشورات والبيانات التي انتقدت مواقف سياسية معينة اتخذتها السلطات المصرية، أو نددت بإجراءات قمعية اتخذتها سلطات الأمن ضد المناضلين الفلسطينيين من مختلف الأحزاب السياسية غير المتماهية مع النظام المصري الذي حرَّم التعددية الحزبية. وفي هذا السياق يُشير صلاح خلف إلى أن أياً من المنشورات والبيانات لم يُمهر باسم فتح

وإنما مهرت بأسماء وهمية لتنظيمات لا وجود لها من قبيل "شباب الثأر" أو "شباب الإصلاح"، وذلك زيادة في الحذر، ولعدم لفت الانتباه إلى وجود نواة لتنظيم فتح في قطاع غزة.

وفي منصف العام 1959، انتقل صلاح خلف، بناءً على طلب ياسر عرفات، للعمل في الكويت(34)، وذلك لتوفير مرتبٍ مجزيٍّ يكفي لتلبية الحاجات المعيشية لشاب متزوج حديثاً، ولاستقطاع جزء من هذا المرتب لتمويل العمل النضالي؛ ولأن الإعداد الجيد "لإيقاف حركة فتح على قدميها"(35)، يتطلَّب إجراء مناقشات ومشاورات جماعية مستفيضة عبر سلسلة من الاجتماعات التي تعقد في جو أمني مريح نسبياً، وهو الأمر الذي يتوفر في الكويت، وبعض دول الخليج، لأن مصالح الأمن فيها أقل تطوراً من تلك الموجودة في الدول المتاخمة لفلسطين المحتلة؛ ولأن قادتها أقلَّ تزمتاً إزاء خيارات الفلسطينيين من قادة هذه الدول.

المؤتمر التأسيسي المصغَّر

في العاشر من تشرين الأول (أكتوبر) 1959، وفي منزل سري في الكويت، [10]بدأ مؤسسو فتح، وضمنهم صلاح خلف، أول سلسلةٍ من الاجتماعات الجماعية المتوالية، أو أول مؤتمر تأسيسي مصغَّر، لإجراء مناقشات ومشاورات، وإعداد وثائق، أوإقرار وثائق سبق إعدادها، وذلك بهدف إنجاز التأسيس الهيكلي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، والشروع في تعزيز التنظيم الثوري، وممارسة مختلف أشكال النضال التحرري الوطني، وفي مقدمتها الكفاح المسلح. وعلى نحو ما يذكر صلاح خلف، فإنَّ بضعة أشخاص فقط عقدوا اجتماعاً تمهيدياً، أعقبته سلسة اجتماعات شارك فيها نفرٌ لا يتجاوز عددهم العشرين شخصاً، يمثلون ما لا يتجاوز الخمسمائة عضو من أعضاء التنظيم السري العمودي المنتشر في جميع البلدان العربية، وفي بلدان أخرى من العالم.

أما **الوثائق التي تم إقرارها فهي تتعلق باستراتيجية الحركة؛ وبناها التنظيمية ونظامها الداخلي (النظام الأساسي)؛ ووسائل عمل الثورة ومصادر تمويلها؛ وعدد من اللوائح الداخلية التي تحدد مهام الأجهزة الحركية وتنظم عملها، وأخيراً البرنامج السياسي(36)، الذي يحدد الخيارات الكبرى.**

[10]تشير وثائق الحركة الى أن التأسيس كان نتيجة تلاقي الانوية المتناثرة في أرجاء العالم، وتشير لاواخر العام 1957 كنقطة البداية والاجتماع التاسيسي الاول في الكويت، رغم وجود اجتماعات اخرى في أنحاء دول اخرى.

وفي هذا المؤتمر المصغر تم الاتفاق على تأسيس جهازين مركزيين متلاحمين: سياسي وعسكري، وذلك وفق هيكلية هرمية تبدأ بالخلايا القاعدية، فلجان الفروع، فلجان المناطق، فلجان الأقاليم، فالمجلس الثوري الذي ينبغي أن يعمل تحت بإشراف لجنة مركزية عليا تستمد سلطتها من مؤتمر وطني عام هو أقرب ما يكون إلى مجلس وطني يضم ممثلي جميع فئات الشعب الفلسطيني من تجار وموظفين وعمال وحرفيين ومثقفين وطلاب، وغيرهم من فئات الشعب التي ينبغي لأعضاء فتح أن يناضلوا في أوساطها كمناضلين مستقلين تماماً عن الأحزاب والأنظمة.

وعقب انفضاض هذا المؤتمر التأسيسي المصغر، وعلى امتداد السنوات اللاحقة، تواصلت على نحو مكثفٍ حركة تجنيد شملت، أساساً، جميع مخيمات اللاجئين والدول المتاخمة لفلسطين المحتلة، والتجمعات الفلسطينية في الدول العربية وجميع بلدان العالم، بغية كسب مزيد من الأعضاء وضمهم للتنظيم. وانطلقت، في الآن نفسه وعلى نحو محايثٍ ومتصاعد، حركة تثقيفٍ فكريٍّ – سياسيٍّ، وتدريبٍ تنظيميٍّ وعسكريٍّ لإعداد الأطر والكوادر الحركية. وتصاعدت وتيرة السعي نحو تمكين مناضلي الحركة من الفوز، كمستقلين، بالمواقع القيادية في النقابات والاتحادات والنوادي والتجمعات المهنية والحرفية والاجتماعية، وفي المجالس البلدية وغيرها من المواقع القيادية المهمة والوظائف العليا في بلدان وجود التجمعات الفلسطينية(37). وفي هذا السياق، يذكر صلاح خلف الذي أنيطت به مسؤولية مركزية عن التنظيم، أن السرية المطلقة كانت هي القاعدة التي حكمت جميع النشاطات، حيث لم تكن الخلية تضم إلا ثلاثة أعضاء في الحد الأقصى، ولم يكن هؤلاء يعرفون بعضهم بعضاً إلا بأسمائهم الحركية التي كانت تتبدل من حين إلى آخر، كإجراء أمن إضافي، بينما كانت الاجتماعات تتم في الأماكن العامة، أو تحت غطاء نزهات وهمية، وتمَّ استبعاد الاتصالات الهاتفية والمراسلات البريدية، واستعيض عنها بالرسائل الشفوية، والاتصالات المباشرة، وإرسال الموفدين، أو تنقل الأعضاء القياديين بين البلدان المختلفة. وأما بخصوص تمويل الثورة، فقد امتنعت فتح، رغم حاجتها الماسة ووفاءً لمبدأ الاستقلال، عن طلب أدنى معونة مالية من أي من دول المنطقة، معتمدةً في تغذية الصناديق المالية التي كان أحدها مخصصاً لشراء الأسلحة، على الإسهامات المالية التي يقدمها المناضلون الحركيون والتي كانت تصل إلى ما يزيد عن نصف دخلهم الشهري، وعلى تبرعات الأثرياء الفلسطينيين، وعلى ما تجمعه شبكات جمع الأموال، ولجان الدعم.

وعلى مستوى العمل على إنهاض الوعي الوطني وتعزيزه لدى الجماهير الفلسطينية والعربية، وعرض عقيدة فتح على عقل هذه الجماهير ووجدانها، عمد مؤسسو فتح، بإسهام تحريري مميز من قبل صلاح خلف وخليل الوزير، إلى إصدار مجلة غير دورية تكون منبراً علنياً للحركة السِّرية. ونظراً لمراوحة مؤسسي فتح في ترجيح أحد اسمين

مناسبين لهذه المجلة – المنبر، فقد صدر عددها الأول في بيروت، في اليوم الأول من تشرين الأول (أكتوبر) 1959(38)، وهي تحمل اسمين أولهما رئيسي **"فلسطيننا"، وثانيهما فرعي "نداء الحياة".** وفي "كلمة التحرير" المنشورة في العدد الأول نقرأ ما يلي:"... هي عصارة مجهودات ضخمة ظللنا نجاهد كثيراً وكثيراً جداً حتى استطعنا أن نعدها لتكون منبراً لشعبنا الشريد، ولتكون صوتاً داوياً لقضيتنا العادلة الحقة، وكبرهان قوي ساطع على أن شعب فلسطين لن يستسلم ولن يخضع بل هو في طريقه الشاق الوعر يجاهد ويناضل لاستعادة الوطن السليب، ومحو العار الذي لصق بنا، والثأر لإخواننا الذين سقطوا فوق ثرى ترابنا ..."(39). وفي العدد نفسه، وتحت زاوية ثابتة بعنوان "رأينا" نقرأ "آن لكم يا شباب النكبة أن تقودوا شعبكم لتكونوا طليعة الشعب العربي في الكفاح من أجل استرداد أرضنا المباركة ... لقد وقعت النكبة واستمرت لأننا لم نكن عنصراً أساسياً في قيادة المعركة"(40)

ويذكر صلاح خلف أن العام 1961، شهد توسعاً مهماً في صفوف الحركة. ويبدو أن ذلك قد تم نتيجة للأنشطة النضالية التي نفذتها الحركة على امتداد العقد المنصرم، وللمصداقية الإضافية التي اكتسبتها عقيدتها عقب انفراط عقد الجمهورية العربية المتحدة في أيلول (سبتمبر) 1961؛ حيث أدى انفراط هذا العقد إلى أن تصبح الجماهير المحبطة أكثر ميلاً للانخراط في صفوف وطنية مستقلة لها خصائص فتح، كما دفع العديد من الفلسطينيين إلى الفرار من الأحزاب والتشكيلات السياسية الأخرى، للالتحاق بفتح.

أما الحدثان الأكثر أهمية في هذا السياق، فيتمثلان في تمكن مؤسسي فتح، وعبر جهد دؤوبٍ بذله صلاح خلف ورفاقه، من **دمج أعضاء ما يربو على الأربعين منظمة سياسية فلسطينية نشأت عفوياً في الكويت، ضمن صفوف فتح، وفي إدماج أعضاء منظمة أخرى كانت تعمل في إمارة قطر وفي المملكة العربية السعودية، تحت اسم جبهة التحرير الفلسطينية، وبقيادة عبد الفتاح الحمود (أبو صلاح) وكمال عدوان، ومحمد يوسف النجار (أبو يوسف)، ومحمود عباس (أبو مازن)، وقد ضُمَّ أربعتهم إلى اللجنة المركزية لحركة فتح، واستشهد ثلاثة منهم(41)**

مواجهة مخطط الامتصاص والإجهاض

وفي السنوات الأولى من عقد الستينات، وفي إثر حملة التوعية السياسية التي أطلقتها مجلة فلسطيننا بإشراف صلاح خلف وخليل الوزير، زاد الاستياء الشعبي، على الصعيدين الفلسطيني والعربي، من مختلف الأنظمة بسبب لا مبالاتها إزاء القضية الفلسطينية، وشرع الشباب الفلسطينيون يكونون، على نحو عفوي، منظمات وتشكيلات سياسية يودون أن تجسد آمالهم في تحرير وطنهم والعودة إليه، أو

يسعون للتعرف إلى فتح والانخراط في صفوفها. ويذكر صلاح خلف أن انفراط عقد الجمهورية العربية المتحدة قد سعر هذا الاستياء، وأن الدول العربية المتوجسة من إمكان تصاعد إقدام الفلسطينيين على المبادرة لأخذ قضيتهم بأيديهم على نحوٍ يناقض استراتيجيات هذه الأنظمة، أو يعمل على توريطها في حربٍ هي غير مستعدة لخوضها، دفع هذه الدول إلى التفكير في "ملء هذا الفراغ"(42). الناجم، أساساً عن عجزها عن، أو عدم رغبتها في، فعل شيء ما من أجل تحرير فلسطين.

وقد اتجه تفكير هذه الدول إلى "إنشاء حركة تأخذ على عاتقها الغضب المتزايد الذي يهدد بأن ينقلب ضدها ... وهكذا فقد جرى تكليف أحمد الشقيري، في شهر أيلول (سبتمبر) 1963، بالبحث عن وسائل تأكيد وجود "كيان فلسطيني" فكان عليه أن يتشاور مع الحكومات العربية لهذا الغرض، بهدف **عقد مؤتمر فلسطيني يؤسس منظمة تمثيلية"(43). وقد كان الرئيس جمال عبد الناصر هو من زكَّى أحمد الشقيري للقيام بهذه المهمة مفضلاً إياه على الحاج محمد أمين الحسيني**، وذلك لأن هذا "الزعيم الفلسطيني الهرم يرمز إلى ماض ولَّى إلى الأبد"(44)

وسرعان ما اكتشفت حركة فتح هذا الأمر، الذي اعتبرته مجرد مناورة، وقدرت "خطورة هذه المؤسسة التي تشكلها وتحركها وتشرف عليها الأنظمة العربية، على الحركة الوطنية الفلسطينية"(45)، فأوفدت صلاح خلف لإجراء محادثات مع أحمد الشقيري بغية إقناعه بالتعاون معها.

وخلال المحادثة الأولى حاول صلاح خلف أن يوضح للشقيري الأسباب التي تجعل فتح تعتقد "أنَّ منظمة تُشكل "من فوق" ستكون منظمة غير فعَّالة إذا لم تتمتع بدعم القاعدة الفعَّال"، ثم عرض عليه فكرة "التنسيق السري بين نشاطاته العلنية، وبين عمل نخوضه (تخوضه فتح) بصورة سرية"(46). وكان تصور صلاح خلف أن هذا النوع من التنسيق السري سيجعل من "منظمة التحرير الفلسطينية التي ستعهد إليه أول قمة عربية بتشكيها في كانون الثاني (يناير) ضرباً من الوكالة اليهودية ... ونوعاً من الواجهة الشرعية للكفاح الذي سيقوم به مناضلونا، على أن يتم تأمين الاتصال بيننا وبين منظمة التحرير عبر أطرنا (كوادرنا) التي يستطيع الشقيري تعيين بعضاً من أعضائها في اللجنة التنفيذية للمنظمة"(47)

غير أن الشقيري الذي طلب مهلة للتفكير في الأمر، والذي تسلَّم العرض نفسه، وبلغة مماثلة، من جانب قادة فتح الآخرين الذين التقوا به أثناء جولاته في البلاد العربية، رفض العرض جملة وتفصيلاً، وأبلغ صلاح خلف أن "وظائفه وعلاقاته مع الأنظمة العربية وواجبه في عدم الإضرار باستراتيجية الجامعة، التي كان قوامها في تلك الحقبة، منع "إسرائيل" من تحويل مياه نهر الأردن لصالحها، تمنعه من عقد مثل هذا

التحالف"(48). ولم يكتف الشقيري بهذا الرفض المستند إلى مبرراتٍ واهية تماماً، من الوجهة الوطنية والنضالية التي نهضت عليها فكرة صلاح خلف، "إذ لماذا كان عليه أن يستشعر الحاجة إلى موافقة رؤساء الدول العربية ما دمنا عرضنا عليه إقامة علاقات سرية بيننا؟!"(49)؛ وإنما شرع في محاربة فتح بأقصى ما لديه من طاقة وحول.

ولم تشأ قيادة فتح أن تُقاطع المؤتمر الوطني الأول الذي دُعي إلى الانعقاد في مدينة القدس في 28 أيار (مايو) 1964، وذلك لاعتبارات يلخصها صلاح خلف بقوله: "كانت المسألة المطروحة علينا حينذاك هي مسألة ما إذا كان علينا أن نقاطعه أو لا؟ فطبيعة رعايته، وتركيبه، والهدف الذي ينزع إليه، وغير ذلك من العوامل كانت تدفعنا إلى التغيب عنه. غير أن أسباباً أخرى كانت على العكس من ذلك، تحث على اشتراكنا فيه: منها ضرورة عدم الانقطاع عن الحياة السياسية الفلسطينية، ومنها الضرورة الأخرى الأكثر إلحاحاً، ألا وهي ضرورة التسرب إلى داخل منظمة غنية وقوية، للإفادة من الوسائل التي تتمتع بها. فقد كان بوسعها فعلاً أن تستخدم استخداماً مفيداً كواجهة لنشاطاتنا السرية"(50)

واستناداً إلى هذه الرؤية، **شارك أربعة من قادة فتح هم خليل الوزير (أبو جهاد)، ومحمد يوسف النجار (أبو يوسف)، وكمال عدوان، وخالد الحسن (أبو السعيد)، بصفتهم الشخصية،**[11] في هذا المؤتمر، مكرسين مشاركتهم للدفاع عن عقيدة فتح ومبادئها الرئيسية، ولا سيما منها مبدأ الكفاح المسلح.

غير أن هذه المشاركة لم تسفر عن شيء ذي مغزى سواء بالنسبة للأخذ بمبدأ الكفاح المسلح عبر حرب العصابات، أو حرب التحرير الشعبية، أو بالنسبة لمحتويات الميثاق القومي(51) وتوجهاته الرئيسية، أو بشأن النظام الأساسي للمنظمة، أو غير ذلك من أمور تتصل بجدول أعمال المؤتمر. ويبدو أن أهم ما نجم عن مشاركة فتح في هذا المؤتمر يتمثل في الفرصة التي أتاحها لممثليها كي يعرضوا عقيدتها على عقول ما يزيد على أربعمائة شخص من أبناء الشعب الفلسطيني (ولا نقل ممثلي الشعب بسبب أنهم عينوا من جانب الشقيري ومعاونيه، ولم ينتخبوا من قبل الشعب)؛ وليتعرَّفوا تفاصيل ما يجري في كواليس الساحة السياسية الفلسطينية، وليفتحوا أفق علاقات ستتطور لاحقاً مع العديد من الشخصيات الفلسطينية البارزة؛ ولتتعمق قناعتهم بخيارات فتح النضالية، وفي مقدمتها الكفاح المسلح، أو العنف الثوري، كطريق وحيد يفضي إلى تحرير فلسطين.

[11] ويشار في وثائق أخرى لمشاركة محمد راتب غنيم (أبوماهر) من قيادة حركة فتح.

انطلاقة الثورة

وهكذا شرع مناضلو فتح وقادتها في تسريع الخطى لفتح الطريق أمام ممارسة هذا الكفاح وإطلاق "حرب العصابات"، التي يذكر صلاح خلف أنهم كانوا يعدون لها "إعداداً محموماً"(52)، بحسب وسائلهم ومواردهم المتواضعة، وأنهم راحوا يشترون "من سوق السلاح أسلحة خفيفة بكميات ضئيلة، ومن نوعيات سيئة الجودة، في غالب الأحيان"(53). غير أن المشكلة الرئيسية التي واجهت هذا الإعداد المحموم، تمثلت في الحاجة إلى توفير مزيد من السلاح، وإيجاد قواعد آمنة لتدريب ما يزيد على ألف فدائي من مناضلي فتح. ويُشير صلاح خلف إلى هذه المشكلة قائلاً: "كان النظام العربي الوحيد الذي يؤيدنا عام 1954، هو نظام بن بللا الذي رخَّص لنا بإقامة ممثلية في الجزائر. غير أنَّ بن بللا، الذي كان وثيق الصلة بعبد الناصر، كان يرفض إعطاءنا أية معونة مادية. وإنما تسلَّمنا أول شحنة من السلاح من الجزائر عام 1965، بعد تسلم بومدين مقاليد السلطة. وعلى كل حال، فقد كان ذلك بفضل اللواء حافظ الأسد، ... الذي كانت لنا معه علاقات طيبة منذ عام 1964. كان الأسد في تلك الأثناء قائداً لسلاح الطيران، فكان يستلم الأسلحة المرسلة إلينا بالطريق الجوي على سبيل الوديعة، ثم يسلمها لنا بدون علم حكومته، ودون علم حزب البعث الذي ينتمي إليه. والواقع هو أن النظام السوري كان معادياً لنا. ولكننا نتمتع بتواطؤ رجلين يشغلان مناصب حساسة: الأسد واللواء أحمد السويداني رئيس الاستخبارات العسكرية الذي سيرقى فيما بعد إلى منصب رئيس الأركان العامة. وهكذا فقد استطعنا أن نمتلك منذ مطلع عام 1964، معسكرين للتدريب في سوريا. وفي موضع آخر كان فدائيونا يقومون بتمارين على إطلاق النار في مناطق صحراوية أو في وسط بدوي. وكانوا، حين يعوزهم ذلك، ينخرطون في جيش التحرير الفلسطيني الذي بدأ الشقيري بتكوينه تحت إشراف منظمة التحرير الفلسطينية" (54)

ولم يكن جيش التحرير الفلسطيني، في تقدير صلاح خلف وحركة فتح، إلا "طعماً وخديعة"(55)، ذلك لأنه لم يكن مرصوداً لمحاربة إسرائيل، وإنما لامتصاص الغضب الشعبي، وإجهاض توجه الشباب الفلسطيني نحو خوض كفاح مسلح مستقل، وتفجير ثورة تحرير شعبية. واستناداً إلى هذه الرؤية، عملت فتح، في المقابل، على إجهاض مخطط الامتصاص والإجهاض هذا، ولم يكن أمامها إلا أن تشرع، دون إبطاء، بإشعال الكفاح المسلح. وهكذا عقدت قيادة فتح اجتماعاً عاجلاً، في أوائل خريف 1964، في الكويت، لتدارس الأمر.

وانقسمت القيادة إزاء هذه المسألة بين متعقل ومغامر؛ وقد استند "المتعقلون" إلى مبررات من قبيل أن الشروع في الكفاح المسلح، أو شن حرب العصابات، أمر سابق لأوانه بالنسبة لحركة سيئة التجهيز، وليس لديها إلا عدداً ضئيلاً نسبياً من

المناضلين، وأنه يتوجب الانتظار حتى تصبح فتح حركة جماهيرية تسندها قوات عسكرية جيدة التجهيز. أما المغامرون، وفي مقدمتهم صلاح خلف وياسر عرفات(56) ، فقد أكدوا أن الوضع ناضج تماماً للشروع في الكفاح المسلح، ذلك أن الجماهير الفلسطينية لم تتسمم، بعدُ، بديماغوجية الشقيري وأعوانه، وأنَّ إقدام فتح على إشعال الكفاح المسلح سيدفع هذه الجماهير، التي ستقدر جدية فتح وإصرارها على تحرير فلسطين واستعداد مناضليها للاستشهاد من أجل هذا الهدف الوطني الأسمى، إلى الانخراط في صفوف الحركة، مما سيفضي إلى جعلها حركة جماهيرية مرشحة للنمو والتطور والاتساع والتجذُّر، وهو الأمر الذي يدلل على أن ممارسة الكفاح المسلح هي المدخل النضالي الصحيح لضمان جماهيرية فتح، وترسيخ وجودها، وسحب البساط من تحت أقدام مخطط الامتصاص والإجهاض الذي يحكم منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الشقيري.

وإذ انتهى الاجتماع إلى تباين حاد في الرأي على نحوٍ أسس مأزقاً كان لابد من تخطيه بصورةٍ عاجلةٍ، فدعت القيادة إلى اجتماع مُوَسَّع عقد في دمشق، وضم الكوادر القيادية لتنظيم فتح في قطاع غزة والضفة الغربية والبلدان المتاخمة لفلسطين المحتلة. وبفضل دفاع صلاح خلف وياسر عرفات عن فكر المغامرين ومشروعهم، توصل المجتمعون إلى موقف إجماعي. وعقب ذلك بأيام قليلة تم الاتفاق على تحديد موعد أول دفعة من العمليات العسكرية ضدَّ إسرائيل، وكان ذلك هو اليوم الأخير من الشهر الأخير من العام 1964. وفي اليوم التالي لهذا اليوم المشهود صدر البلاغ العسكري الأول ممهوراً باسم "العاصفة"، مجسداً بذلك إرادة شاب فلسطيني اقتلعته الصهيونية من وطنه، وضيعت هويته؛ فتضافر مع أمثاله من الشباب المقتلعين من وطنهم، كي يبني ذاته، ويشكل هويته العميقة، فيما هو يفتح، بإصرار عنيد، أفق النضال من أجل اقتلاع الاحتلال الصهيوني البغيض وتحرير الوطن الفلسطيني، وبناء هويته الكلية الجامعة.

هوامش وإشارات

(1)يقول صلاح خلف في هذا السياق: "المنفى بحد ذاته هو ألم لا يستطيع فهمه سوى أولئك الذين عانوه، ثم إنَّ الشقاء والتعاسة يكونان أعظم عندما يلي فقدان الدار، الانفصال عمن نحبهم ..." (أنظر: أبو إياد (صلاح خلف)، فلسطيني بلا هوية، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، د.ط، د.ت، ص 72)

(2)اتخذ البيان صيغة القرار، وهذا نصه: "قرار هام صادر عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" وقواتها "العاصفة": قررت قيادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" وقواتها "العاصفة" اعتماد السيد "ياسر عرفات" (أبو عمار) ناطقاً رسمياً باسم الحركة، وممثلاً لها على كافة المستويات الرسمية والشعبية والتنظيمية

والمالية، ويُعمل بهذا القرار من تاريخه. كما تعلن قيادة الحركة أن بياناً سيصدر عن الناطق الرسمي في وقت لاحق". أنظر: مجلة الثورة الفلسطينية، العدد الخامس، أيار (مايو) 1968، ص 28. وانظر أيضاً: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968، مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة بيروت العربية، سلسة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، بيروت، 1970، ص 252. وسنعرض المبررات المباشرة لهذا القرار الذي اتخذه صلاح خلف من دون تشاور مسبق مع القيادة، أو حتى مع ياسر عرفات نفسه، في موضع لاحق.

(3)إضافة إلى صلاح خلف وياسر عرفات، ضمت الهيئة الإدارية للرابطة كلاً من هاني بسيسو (عن الإخوان المسلمين)؛ عبد الفتاح الحمود؛ فتحي البلعاوي؛ بشير البرغوثي(عن السيوعيين)، عبد المحسن أبو ميزر (عن البعثيين)؛ وعصام الغصين، وذلك بحسب المعلومات التي استقيناها مباشرة من سليمان أبو كرش (أبو خالد) الذي كان يشغل موقع المراقب العام للرابطة في تلك الفترة. ونظراً لعدم تمكنه من ترجيح واحد من بين ثلاثة أسماء أخرى استدعتها ذاكرته، فإنه فضَّل ألا يحدد لنا اسم العضو التاسع. وقد تسلَّم صلاح خلف رئاسة الرابطة في العام 1956 وذلك عقب إنهاء ياسر عرفات دراسته الجامعية، ولعله من المفيد، والدَّال، أن نشير إلى أن ياسر عرفات قد عمد، فور تخرجه من كلية الهندسة، إلى تشكيل "رابطة الخريجين الجامعيين الفلسطينيين"، ولا تتوفر معلومات تفصيلية حول أهداف هذه الرابطة، ونظامها الأساسي، ونشاطها، ومصيرها.

(4)يقول صلاح خلف: "ميولي الطبيعية كانت تحملني على أن أنضم إلى ركب قومية علمانية لا يزال علينا أن نوضح شكلها وجوهرها" (فلسطيني بلا هوية، ص 47)

(5)وذلك من قبيل مطالب قدمتها الرابطة إلى الحكومة المصرية (حكومة ثورة تموز (يوليو) 1952) عقب الغارة التي شنتها القوات الإسرائيلية في 28 شباط (فبراير) 1955 على غزة، وهي: إلغاء تأشيرات الدخول المفروضة على الفلسطينيين لدى الدخول إلى غزة أو مغادرتها؛ إعادة تشغيل خط السكك الحديدية بين القاهرة وغزة؛ وإقامة برنامج تدريب عسكري إجباري يتيح للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم؛ وأن يقوم الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة المعتصمين لمناقشة شكواهم ...". (أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 50).

(6)كانت جامعة الدول العربية قد قررت في خريف 1651 إلغاء هذه المساعدات، إلا أنها تراجعت عن ذلك تحت ضغط أعمال الاحتجاج والاعتصام التي قام بها الطلبة الفلسطينيون، حيث اعتصموا داخل مقر الجامعة، واقتحموا مكتب الشقيري وأتلفوا محتوياته، غير أنَّ قوات الأمن اعتقلت قادة الاعتصام، وفي مقدمتهم صلاح خلف الذي لم يفرج عنه إلا بعد مضي تسعة وأربعين يوماً. أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 46)

(7)كان المحامي، والسياسي والدبلوماسي الفلسطيني أحمد الشقيري، الذي سيصبح فيما بعد أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، يشغل منصب الأمين العام المساعد للشؤون الفلسطينية في جامعة الدول العربية.

(8)يشير صلاح خلف إلى أن اعتقاله، ثم حجزه في قسم المومسات بسجن عابدين، كان يهدف إلى إذلاله وتدمير روح المغامرة فيه، وربما إلى مساعدة أحمد الشقيري على استقطابه و"إعادته إلى الحظيرة". أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 49)

(9)لم يتمكن صلاح خلف الذي كان ضمن أعضاء الوفد من السفر إلى فرصوفيا؛ فقد أوقفته سلطات الأمن المصرية قبيل مغادرة الوفد بساعات قليلة، وسحبت تأشيرة الخروج التي كان قد حصل عليها، وذلك بدعوى أنه "خطرٌ جداً". وبالرغم من احتجاج الطلاب الفلسطينيين على هذا الإجراء التعسفي، فإن سلطات الأمن المصري لم تستجب إلى طلبهم إعادة تأشيرة الخروج إليه ليتمكن من الالتحاق بالوفد، وإنما أبقته قيد الاعتقال سبعة وثلاثين يوماً، ولم تفرج عنه إلا بعد عودة الوفد. . أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 49، 50)

(10)فلسطيني بلا هوية، ص 61.

(11)فلسطيني بلا هوية، ص 62.

(12)فلسطيني بلا هوية، ص 63.

(13)فلسطيني بلا هوية، ص 63.

(14)فلسطيني بلا هوية، ص 65. وقد توصل تحليل صلاح خلف لمسألة تماهي الحركة الوطنية الفلسطينية بالأنظمة العربية إلى استخلاص مؤداه أن "كل الثورات التي ولدت في فلسطين، أجهضت في العواصم العربية."

(15)فلسطيني بلا هوية، ص 64. ومن المفيد أن نشير، هنا، إلى أن صلاح خلف قد عرض هذه الفكرة لأول مرة، في مؤتمر صحفي عقده في العاشر من تشرين الأول (أكتوبر) 1986، باعتبارها هدفاً استراتيجياً لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، وأن المجلس الوطني الفلسطيني الخامس الذي عقد في شباط (فبراير) 1969، قد تبنى هذا الهدف.

(16)أنظر في ذلك: فلسطيني بلا هوية، ص 49 و 50، ومن المفيد أن نشير، هنا، إلى أن صلاح خلف قد شرع، منذ لقائه الأول بالرئيس جمال عبد الناصر، في تغيير موقفة غير المتعاطف معه إلا قليلاً، إلى موقف ينطوي على إعجاب منقطع النظير به. وقد جرى هذا اللقاء في الثاني أو الثالث من آذار (مارس) 1955 على أقرب تقدير، وذلك في مكتب الرئيس في مبنى مجلس الوزراء المصري، وعقب إضراب الطلاب الفلسطينيين احتجاجاً على عجز الحكومة المصرية عن توفير الحماية الكافية لأهالي قطاع غزة، وتقاعسها عن اتخاذ الإجراء المناسب رداً على الغارة الإسرائيلية على غزة. وقد أفضى عقد مصر صفقة سلاح مع تشيكوسلوفاكيا، بعد ذلك بشهور، إلى إثارة حماس شعبي عارم، ولعل هذا الحدث أن يكون قد أزاح نهائياً حذر صلاح خلف إزاء

حمال عبد الناصر، وصار يرى فيه زعيماً وطنياً مخلصاً (أنظر في ذلك: فلسطيني بلا هوية، ص 50، 51).

(17)كان هذا العدوان الذي وقع في 26 تموز (يوليو) 1956 ضد مصر، هو الرد الفوري المباشر من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على إعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، غير أنه يجسد تحالفاً عدوانياً يستند إلى تلاقي الأهداف بين قوى العدوان الثلاث لضرب ثورة 23 يوليو وتدمير إنجازاتها الوطنية والعربية والإقليمية، ومقاومتها للاستعمار ودعمها لحركات التحرر الوطني، ولا سيما دعمها للثورة الجزائرية. غير أن هذا العدوان قد انتهى إلى الفشل، حيث أجبرت المقاومة الشعبية المصرية والعربية بدعم قوي التحرر في العالم أجمع، والجهود الدبلوماسية التي بذلتها دول عدم الانحياز، القوات المعتدية، على الاندحار الذي أكتمل بانسحاب القوات الفرنسية والإنجليزية المعتدية عن الشواطئ المصرية في 22 كانون الثاني (ديسمبر) 1956، وبجلاء إسرائيل عن سيناء وقطاع غزة يوم 6 آذار (مارس) 1956.

(18)يشير صلاح خلف، في هذا السياق، إلى أن الاتفاق مع الشيوعيين على هذا البرنامج كان صعباً، لأنهم أرادوا إدخال بند بصدد التعاون مع التقدميين الإسرائيليين وفي مقدمتهم الشيوعيون لأنهم يُعارضون العدوان الثلاثي، ويوضح أن مصدر الصعوبة يأتي من حقيقة أنَّ "الأذهان لم تكن ناضجة لمثل هذا الإخاء، ذلك لأنه كان يُنظر إلى الإسرائيلي – كائناً ما كانت إيديولوجيته وقناعاته – كعدو". وهكذا لم يتم الاتفاق على برنامج العمل المشترك إلا بعد أن شذّب الشيوعيون النص الذي تقدموا به.

(19)فلسطيني بلا هوية، ص 53.

(20)أنظر في ذلك: فلسطيني بلا هوية، ص 57.

(21)الإشارة هنا تتعلق بدلالات ثبتها السور والآيات القرآنية، ومنها: "إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" (سورة النصر كاملةً)؛ و "إنَّا فتحنا لك فتحاً مبينا" (سورة الفتح، الآية الأولى)؛ و"قل يجمع بيننا ربُّنا ثم يفتح بيننا بالحقِّ وهو العلي الكبير" (سورة سبأ، الآية السادسة والعشرون)؛ و"لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا" (سورة الفتح، الآية الثامنة عشرة)؛ و "وأخرى تحبونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب وبشر المؤمنين" (سورة الصف، الآية الثالثة عشرة) . وتتكرر الكلمة في القرآن الكريم، على مستوى الجذر (فتح)، ثمان وثلاثون مرة، وذلك في خمس وعشرين سورة هي السور التالية: البقرة؛ النساء؛ المائدة؛ الأنعام؛ الأعراف؛ الأنفال؛ يوسف؛ إبراهيم؛ الحجر؛ الأنبياء؛ المؤمنون؛ النور؛ الشعراء؛ القصص؛ السجدة؛ سبأ؛ فاطر؛ ص؛ الزمر؛ الفتح؛ القمر؛ الحديد؛ الصف؛ النبأ، والنصر.

(22)فلسطيني بلا هوية، ص 54.

(23)فلسطيني بلا هوية، ص 54.
(24)فلسطيني بلا هوية، ص 54.
(25)فلسطيني بلا هوية، ص 54.
(26)يشير صلاح خلف إلى أنه كلن يطلق على هذه المجموعات اسم "اللجان الوطنية"، ويبدو أنه لم يطلع تلميذاته على هذه التسمية، مكتفياً بالتسمية المعلنة "مجموعات مدنية"، وذلك كي لا يثير حفيظة سلطات الأمن.
(27)وكالة الغوث، هي التسمية المختصرة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، وهي وكالة شكلتها هيئة الأمم المتحدة في أيار (مايو) 1952.
(28)تذكرنا هذه الحادثة المأساوية، التي يبدو أنها كانت مأساة شائعة في نطاق المأساة الكبرى لاقتلاع الفلسطينيين من وطنهم، بالحدث المأساوي المولّد للسرد الروائي، وللعقدة المركزية، في رواية غسان كنفاني الشهيرة "عائد إلى حيفا"، وهي الرواية التي جرى تحويلها إلى فيلم سينمائي يحمل العنوان نفسه. ومما يؤسف له أننا رغم الجهد الذي بذلناه للعثور على النص الأصلي لهذه المسرحية لم نوفق إلى ذلك حتى الآن، ولعل في إشارة صلاح خلف إلى أن عرض المسرحية قد استمر عدة أشهر، وأنها عّرضت في جميع مخيمات اللاجئين في غزة، وأعيد إخراجها في بلدان الخليج ما يجعلنا نفترض اتسامها بأهمية فنية إلى جانب أهميتها التاريخية، وهو الأمر الذي يحفزنا على بذل جهود إضافية للعثور على نصها الأصلي أو نسخة مصوَّرة عنه، أو تسجيل إذاعي.
" (29)المحاكمة" هي الاسم الذي يقترحه كاتب هذه السطور للمسرحية الثانية التي كتبها صلاح خلف، وذلك إلى حين التأكد من الاسم الأصلي الذي اختاره الكاتب.
(30)فلسطيني بلا هوية، ص 56.
(31)أفادني شقيقي صخر بسيسو (أبو خلوصي)، رفيق نضال صلاح خلف ونائب أمين سر المجلس الثوري لحركة فتح ومحافظ مدينة خانيونس، أنَّ صلاح خلف قد أدى، في مطلع شبابه، دور صلاح الدين الأيوبي في إحدى المسرحيات التي عرضت في القاهرة، وكان مولعاً بشخصية هذا القائد التاريخي العظيم. ولعلَّ في هذه الإشارة ما يدفعنا إلى افتراض أن صلاح الدين الأيوبي، تجربةً وهوية، هو من بين الشخصيات العظيمة التي تفاعلت في أعماق صلاح خلف، في إطار تماهٍ جدليَّ أفضى إلى تكوين ذاته العميقة، وصوغ هويته. وقد علمت بعد كتابه هذا الاستنتاج أن ثمة كتاب وضعه مؤخراً حسني زعرب، رفيق نضال صلاح خلف، ترد فيه إشارة إلى أنه كان يلقب بـ "الأيوبي": "وفي العام 1951 وصل شاب من غزة يُلقب بالأيوبي واسمه صلاح خلف" (أنظر: حسني زعرب: من ذاكرة المجد، الطبعة الأولى، عزة، 2000، ص 22)
(32)يقتضي نمط التنظيم العمودي ألا يرتبط المناضل إلا بمناضل واحد فحسب، وأن يقوم كل مناضل بتجنيد مناضل آخر؛ وهكذا في سياق إطار أشبه ما يكون

بالسلسة التي تبدو أقل عطباً، وأعصى على الاختراق، من نمط التنظيم الذي يعتمد إدماج عدة أعضاء في خلية واحدة. أما اللقاءات بين أعضاء التنظيم الفرديين فغالباً ما كانت تتم في المقاهي حيث تجري المناقشات، بصوت خفيض، أثناء لعب الدومينو والنرد.

" (33)أقسم بالله العظيم، أقسم بشرفي ومعتقداتي، أقسم أن أكون مخلصاً لفلسطين، وأن أعمل على تحريرها باذلاً كل ما أستطيع، أقسم ألا أبوح بسرية الحركة وما أعرف من أمورها، هذا قسم حرٌ والله شاهد"

(34)يشير صلاح خلف إلى أنه قدم طلباً لشغل وظيفة في مجال التعليم في قطر، غير أن السلطات القطرية رفضته بسبب تحذير تسلمته من سلطات الأمن المصرية يفيد أنه "شيوعي خطر". أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 58. ويعزي صلاح خلف قبول السلطات الكويتية تعيينه إلى نتيجة مقابلة شخصية أجراها معه السيد عبد العزيز حسين، مدير التعليم في الكويت، الذي كان على رأس بعثة توظيف كويتية جاءت إلى غزة لتوظيف معلمين، والذي لم يأخذ بفحوى تقرير أمني تلقاه من سلطات الأمن المصرية في غزة. وسيصبح عبد العزيز حسين صديقاً شخصياً حميماً لصلاح خلف، بينما سيتحول العقيد كمال حسين، صاحب الأيدي البيضاء! الذي أصر على تصفيد يدي صلاح خلف ومرافقته إلى مطار القاهرة لينزع الأصفاد عنهما عند سلم الطائرة المتجهة إلى الكويت، عدواً قديماً. (أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 58)

(35)فلسطيني بلا هوية، ص 61.

(36)سبق للبرنامج السياسي أن أُقر في مطلع العام 1958، بعد أن قامت بإعداده لجنة خاصة شكلت لهذا الغرض، وقد تم الإقرار عبر اتصالات شخصية، ومراسلات متبادلة، بين مؤسسي فتح. وقد عكس هذا البرنامج خلاصة المناقشات والتقييمات التي أجراها المؤسسون خلال السنوات السبع الأولى من عقد الخمسينات، كما نهض على خلاصة تقييمٍ موضوعيٍّ لماضي الحركة الوطنية الفلسطينية، ولأسباب إخفاقها. أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص 61.

(37)يذكر صلاح خلف أن ياسر عرفات (أبو عمار) كان مهندساً يتمتع بكثير من التقدير والاحترام في وزارة الأشغال العامة، بينما كان فاروق القدومي (أبو اللطف) مديراً في وزارة الصحة العامة، وخالد الحسن (أبو السعيد) وعبد المحسن قطان (....) من كبار إداريي الدولة، وخليل الوزير (أبو جهاد) معلماً في مدرسة ثانوية، ونمر صالح (أبو صالح) عاملاً فنياً يتمتع بشعبية مميزة بين العمال. ومعروف أن صلاح خلف كان معلماً للغة العربية والفلسفة وعلم النفس في مدرسة ثانوية. وجميع المذكورين كانوا يعملون في الكويت. وتقتضي الأمانة التاريخية أن نشير إلى أن صلاح خلف كان يكن تقديراً عالياً للكويت، شعباً وقيادة، وكان يعتبر أنها تمثل استثناءً على القاعدة التي سادت في معظم الدول العربية؛ "فطالما أبدى شعب وحكومة هذه الدولة الصغيرة تعاطفاً ودعماً إزاء الفلسطينيين الذين ساهموا، والحق يقال، في نمو

ورفاهية هذه الإمارة... وبالرغم من أننا كنا نقوم بنشاطات سرية واسعة، إلا أننا لم نكن نلاحق أو نضطهد". أنظر: فلسطيني بلا هوية ص 73، 74، 84.

(38)أي قبل عشرة أيام من التئام المؤتمر التأسيسي المصغَّر في الكويت. ويمثل صدور العدد الأول من "فلسطيننا" أول إعلان رسمي عن وجود "فتح"؛ إي أن الإعلان عن هذا الوجود قد تم في مطلع تشرين الأول (أكتوبر) سابقاً بذلك انعقاد المؤتمر التأسيسي! وقد صدر أربعون عدداً من المجلة خلال الفترة الممتدة من أول تشرين الأول (أكتوبر) 1959 حتى الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) 1964؛ أي قبل شهرين من انطلاقة الثورة الفلسطينية على يد حركة (فتح)

(39)مجلة فلسطيننا، العدد الأول، تشرين الأول (أكتوبر) 1959، بيروت

(40)مجلة فلسطيننا، العدد الأول، تشرين الأول (أكتوبر) 1959، بيروت

(41)استشهد عبد الفتاح الحمود (أبو صلاح) في العام 1968، في الأردن ليكون هو الشهيد الأول للجنة المركزية. أما كمال عدوان، ومحمد يوسف النجار (أبو يوسف)، فقد استشهدا في 10 نيسان (أبريل) 1973، في إطار جريمة اغتيال سياسي ارتكبتها إسرائيل ضمن عملية إنزال عسكري بحري على بيروت، حيث اقتحم الجنود الإسرائيليون المبنى السكني الذي يقطنانه، وقتلاهما داخل شقتيهما. وفي إطار الجريمة نفسها اغتالت القوات الإسرائيلية الشاعر كمال ناصر، الناطق الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية، الذي يقطن في المبنى السكني نفسه.

(42)فلسطيني بلا هوية، ص 77.

(43)فلسطيني بلا هوية، ص 77.

(44)فلسطيني بلا هوية، ص 77.

(45)فلسطيني بلا هوية، ص 77.

(46)فلسطيني بلا هوية، ص 78.

(47)فلسطيني بلا هوية، ص 78.

(48)فلسطيني بلا هوية، ص 78.

(49)فلسطيني بلا هوية، ص 78.

(50)فلسطيني بلا هوية، ص 79.

(51)سيصبح اسمه الرسمي "الميثاق الوطني الفلسطيني"، حيث أقر هذا التعديل في الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني (القاهرة، تموز (يوليو) 1968، وذلك في سياق تعديلات واسعة أفضت إلى تقديم صياغة جديدة للميثاق.

(52)فلسطيني بلا هوية، ص79.

(53)فلسطيني بلا هوية، ص79.

(54)فلسطيني بلا هوية، ص 79، 80.

(55)فلسطيني بلا هوية، ص 80.

(56)وكذلك خليل الوزير (أبو جهاد)؛ ومحمد يوسف النجار (أبو يوسف)؛ وفاروق القدومي (أبو اللطف)؛ ومحمد غنيم (أبو ماهر)؛ وخالد الحسن (أبو السعيد)؛ وسليم الزعنون (أبو الأديب)؛ وغيرهم.

قراءة متأنية في فكر القائد الفلسطيني "صلاح خلف"[12]

من قتل «أبو إياد»؟ (1 ـ 2)-بقلم يوسف عبدالرحمن

ابوجهاد يتوسط عرفات وابواياد في تونس

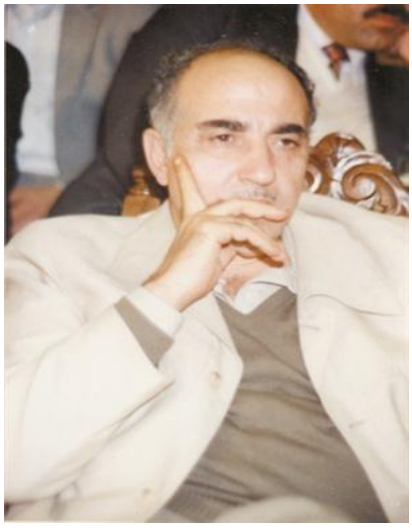

القائد صلاح خلف في لحظة تفكير بالمستقبل

أبوإياد وياسر عرفات في لبنان

المصافحة قبيل المصالحة تكررت مرارا مابين ابو اياد وعرفات

[12] المصدر صحيفة الأنباء الكويتية- نشر الأربعاء 2011/5/11 وبقلم يوسف عبدالرحمن وهو كاتب كويتي مناضل.

كتاب صلاح خلف فلسطين بلا هوية

ابو اياد يتوسط الزميل يوسف عبدالرحمن وعوني بطاش ويبدو جمعة ياسين ورفيق قبلاوي رحمه الله

مشروع قبلة من ياسر عرفات لصلاح خلف

جميل شحادة نقيب المعلمين الفلسطينيين يتوسط المعلمين العرب في المجلس الوطني الذي عقد في الاردن

الزميل يوسف عبدالرحمن يعانق صلاح خلف في مقر المنظمة في حولي

- **عارض بشدة الاحتلال العراقي وطالب عرفات بإصدار بيان باسم المنظمة يدين الغزو**
- **وصف المقبور صدام حسين بأنه «أحمق يهوى اللعب بالنار «قبيل مقتله في تونس«**

بقلم: يوسف عبدالرحمن

وأنا أجمع أوراق مذكراتي والنفس تراودني لفتح ملف منسى من تاريخ القضية الفلسطينية وقفت على قول جبران خليل جبران: «الحقيقة التي تحتاج الى برهان هي نصف الحقيقة»، وعليه قررت أن افتح ملفا منسيا طواه الجميع بمن فيهم حركة فتح والشعب الفلسطيني وهو ملف البطل الشهيد القائد صلاح خلف الذي اغتيل في 14 يناير 1991 في تونس في عملية جبانة حيكت خيوطها في بغداد بأطراف فلسطينية ضالعة في المؤامرة لاغتيال هذا القائد الفلسطيني على يد العميل «حمزة أبوزيد» الذي نسب إلى الموساد الإسرائيلي وفي عملية طالت مجموعة من قيادي حركة فتح هايل عبدالحميد (ابوالهول) والقائد فخري العمري ابو محمد العمري وبالتنسيق مع الرئيس التونسى المخلوع لعنة الله عليه في الدنيا قبل أن يدخل مزبلة التاريخ بعد أن شارك في قتل أكثر من قائد فلسطيني وعلى رأسهم الشهيد البطل خليل الوزير صانع الانتفاضة الفلسطينية ومهندسها. انشغلت بعد التحرير ولكن لم اغفل عن هذا الملف الساخن وكلما شاهدت الاوضاع والمستجدات قلت في نفسى، لانتظر قليلا، ومر الزمن، وفي زمن ثورات الشباب افتح هذا الملف لعل الشباب الفلسطيني يفتح عينيه ويطرح معي هذا السؤال: من قتل القادة الفلسطينيين بعد ان وقعت حركة فتح وحركة حماس اتفاق القاهرة؟ ويتبع هذا السؤال بالعديد من الاسئلة مثل:

من قتل كمال عدوان، محمد النجار، وكمال ناصر، سعد صايل أبوالوليد الذي دفع حياته من أجل ان يكون القرار فلسطينيا مستقلا جماعيا، فهد القواسمه، وأبوصبري وأبوعلي إياد الذي قال: «نموت واقفين ولن نركع»، وعلي ياسين، ماجد أبوشرار، رفيق قبلاوي، خليل الوزير، والقائد صلاح خلف . رحمه الله . ...إلخ، طبعا ستجد الاتهامات وجهت الى الموساد الاسرائيلي وبعض الانظمة العربية وايضا بعض المنظمات الفلسطينية التي ارتبط اسمها بالاغتيالات والكل يعرف من يحركها حينذاك..؟

وأتوسع بطرح الاسئلة وأسأل من خان الكويت وقاد الجماهير الى تأييد العراق في احتلال الكويت وأضر بـ 400 ألف فلسطيني ومصالحهم وأمنهم واستقرارهم؟ لا أريد أن فتح في الجرح الفلسطيني والكويتي، فكلانا مجروح ومتألم رغم مرور الزمن، لأن العلاقة الكويتية . الفلسطينية لم تكن عابرة فهي مبنية على دم ونسب وتاريخ مشترك في السراء والضراء ضد عدو واحد معروف هو الكيان الاسرائيلي، وهذه

الحقيقة لم تغب عن عين الشعب الكويتي وحتى بعد التحرير قال امير البلاد الراحل الشيخ جابر الاحمد. رحمه الله. «ستكون الكويت آخر دولة عربية تعترف بإسرائيل.« اعرف تماما ان فتح هذا الملف الذي حاول الكثيرون طيه في دهاليز النسيان لم يغب عن الشرفاء من أبناء الشعب الفلسطيني الذين يذكرون دور الكويت التاريخي في نصرة القضية الفلسطينية منذ كانت دولة فقيرة قبل اكتشاف النفط حيث قام الشعب الكويتي بنصرة الحاج امين الحسيني واخوانه من أمثال الشيخ القسام . رحمه الله . وكانوا في كل صلواتهم يقنتون لانتصار فلسطين وعدم سقوطها في أيدي العصابات الصهيونية وما تلا ذلك من خيانة عربية على يد الانظمة العربية الفاسدة (فساد دفعات صفقات السلاح الفاسد الذي جرب على طول الجبهات)؟ أنا سأفتح ملف الشهيد الرمز صلاح خلف، كما عرفته عن قرب اخا عزيزا بطلا فلم انس هذا الملف واعرف ان هناك آلافا مؤلفة على امتداد الوطن العربي تؤمن مثلي بأن الاغتيال تم على يد جهة غير الموساد وأنا مقتنع تماما بأن القائد الشهيد البطل صلاح خلف اغتيل ودفع حياته ثمنا لرفضه احتلال الكويت وتصريحاته محفوظة في وسائل الإعلام وهنا لست بصدد نفي التهمة عن العدو الصهيوني الوالغة يده في هدر الدم الفلسطيني على مدى احتلال فلسطين وحتى هذا اليوم غير ان هناك قادة فلسطينيين قتلوا ومنهم «ابو اياد» لم يقتلهم الموساد الاسرائيلي وعلينا جميعا ان نفكر من قتل هؤلاء الابطال من القادة الفلسطينيين الذين كانوا خير معين «للختيار» وما نالهم الا طلقات في الظهر، وتهمة سمجة لجهاز الموساد او احدى المنظمات الارهابية، واغلاق الملف لأن الفاعل مجهول؟! وربما يكون الفاعل شخصا واحدا يملك تحريك كل اجهزة الظلام للقتل؟

وعندي وعند جماهير الأمة ان قاتل هؤلاء القادة الابطال واحد، ضالع ضمن مؤامرة استهدفتهم واحدا تلو الآخر؟ فمن يجرؤ على قول قولة الحق فيهم ويشير للقاتل الحقيقي؟ كثير هم الذين سألتهم يقولون: في فمي ماء؟

ملف ساخن

سأقوم بفتح هذا الملف الساخن الخاص بالقائد الشهيد صلاح خلف، رحمه الله، لأنني مازلت غير مصدق كل الروايات والتصريحات التي جاءت متواكبة مع الحدث سواء أكانت فلسطينية أو تونسية اضافة الى التحليلات العالمية والكل له الحق ان يطرح رأيه في هذه القضية الحيوية، ولنا الحق نحن جماهير الوطن العربي نصدق من؟

اطرح هذا الملف أولا بهدف عرض فكر القائد الفلسطيني صلاح خلف لقربي منه طوال سنوات طويلة من النضال الوطني الفلسطيني على الساحة الكويتية وبحكم العلاقة الاخوية والنضالية التي جمعتنا في مرحلة الثمانينيات والتسعينيات لنصرة القضية الفلسطينية وما رافق هذه المرحلة من احداث جسام انعكست سلبا او إيجابا على مسيرة الثورة الفلسطينية الباسلة قبل ان تتكحل عيوننا بشوفة قادة

الفنادق الرجوب ودحلان وغيرهما ممن جعلوا من حركة فتح الشامخة ادارة لمصالحهم الشخصية؟!
في بداية الثمانينيات تعرفت على الرئيس ياسر عرفات ومجموعة من القادة الفلسطينيين مثل ابو جهاد، ابو اياد، ابو الاديب وغيرهم في الكويت وربطتني علاقة خاصة واخوية بالقائد الرمز صلاح خلف لكونه معلما ونقابيا وثائرا فلسطينيا ألمعيا له القدرة الفائقة على صياغة التوجهات والاستراتيجيات وبناء التحالفات وإدارة التفاوض بشكل بالغ الدقة والحكمة، وهو بحق فارس من فرسان حركة فتح الحقيقيين.

صانع قرار

نعم.. احببت صلاح خلف، لأنه كان يرضي عقلي وتوجهي الفتحاوي حينذاك وكان ابوأياد رحمه الله بارزا في الفكر الثوري لحركة فتح، لأنه احد مؤسسيها وركائزها، ولأنه كان احد القادة الفلسطينيين الذين يحملون الفكر الثوري في الممارسة، ولست مبالغا حينما اقول انه يوم ذاك كان من اشجع القادة الفلسطينيين في قولة الحق، وانه دفع حياته ثمنا لرأيه الجريء ومن يرجع الى ارشيف المعلومات فسيجد صدق كلماتي فيه من خلال مداخلاته وأحاديثه الصحافية او محاضراته وندواته والمؤتمرات التي شارك فيها، حيث اكسبه هذا الطرح الجريء مصداقية وبروزا، كونه احد صناع القرار في الساحة الفلسطينية. وأنا أنصح كل قارئ يحب ان يستزيد ان يقرأ كل ما صدر من الكتب والدراسات التي تناقش فكر هذا القائد الرمز الشهيد.

شهادتي

قد تكون شهادتي فيه اليوم بعد صمت السنين مجروحة لمعرفة اخواني قادة الثورة الفلسطينية خاصة الذين عملوا في الكويت قربي منه، وحبي لشخصه، غير ان هذا لا يمنعني ان اقول الحقيقة شفافة ومجردة ولأنني بصراحة انتظرت سنوات طويلة انتظر فتح ملف وفاته وهذا ما لم يحدث ولن يحدث كما طويت صفحات القادة الآخرين الذين اغتيلوا وكانت الشماعة دائما الموساد الإسرائيلي أو بعض المنظمات الفلسطينية الإرهابية بحكم وجودي النقابي في الثمانينيات في جمعية المعلمين، ارتبطت بهذا القائد الفلسطيني وبحركة فتح التي كانت متسيدة للقضية الفلسطينية والثورة، مع اعترافي بوجود فصائل فلسطينية كثيرة حينذاك.

تاريخ المعلم الكويتي

في ذاك الزمن الجميل كانت جمعية المعلمين الكويتية متبنية القضية والثورة الفلسطينية وموضوعة على اعلى سلم اجندتها النقابية القومية ومن الحق ان اقول ان جميع مجالس ادارة جمعية المعلمين منذ الإنشاء حتى اليوم لاتزال تساند هذه الثورة حتى يومنا هذا، وعلى مدار التاريخ برز قطاع المعلمين الكويتيين كنصير لهذه القضية الساخنة وكان المعينون والمنتخبون يضعون الثورة الفلسطينية في اول اهتماماتهم كونها قضية العرب المركزية والمسلمين واحرار العالم، وكان الفارق هو اتجاه مجلس الادارة في التعامل مع اي الفصائل الثورية المشابهة للفكر الذي يقود

جمعية المعلمين رغم حرص كثير من مجالس الإدارات على وضع رأي مستقل يحمي الثورة من انحياز العواطف والمواقف، مما اعطى جمعية المعلمين الكويتية على مدار تاريخها موقفا نقابيا قويا مشهودا له في صفحات التاريخ الفلسطيني ولم يتمزق هذا الموقف على صعيد المعلمين العرب حتى احتلت العراق الكويت في 2 اغسطس 1990 وما رافق هذا من موقف سيئ في حساباته من القائد الفلسطيني ياسر عرفات الذي وضع كل الحسابات الفلسطينية في سلة الاحتلال العراقي ضاربا عرض الحائط بكل ما قدمته الكويت أميرا وحكومة وشعبا لهذه القضية والثورة على امتداد الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين العربية، مما أضر بمئات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني الذين كانوا يعملون على أرض الكويت، وهذه الخطيئة لم ولن تغفر لياسر عرفات لانه موقف خياني فاجأ به جماهير الثورة الفلسطينية فكيف يقف قائد يعاني من الاحتلال مع أي احتلال؟!

زياراته

في هذا الجو التاريخي من النصرة الى الأزمة وفرز المواقف ارتبطت بالقائد الفلسطيني صلاح خلف وكنت كلما قدم الى الكويت زرته في حركة فتح بالجابرية أو حولي في مقر المنظمة وجلست معه ساعات طوالا يحدثني عن التطورات والإخفاقات والنجاحات وكنت يومها امينا للسر في جمعية المعلمين شابا في بداية حياتي متحمسا حالي حال كل شباب العالم من الاحرار الذين يرون كيف كانت ولاتزال اسرائيل تعربد وما تقوم به من ممارسات البطش والتهويد في فلسطين السليبة المحتلة ضاربة عرض الحائط بكل القرارات الدولية ومناشدات حكومات وشعوب العالم في مشارق الأرض ومغاربها.

العمل النقابي الكويتي . الفلسطيني

ومع ممارسة العمل النقابي في جمعية المعلمين واحتكاكي بالطليعة الواعية من نقابات المعلمين في الوطن العربي وحضور مؤتمرات اتحاد المعلمين العرب واتحاد المعلمين الفلسطينيين زاد اهتمامي بالقضية الفلسطينية، وكان هذا دور طبيعي للمعلم الكويتي العربي المؤمن بالقضية الفلسطينية وما تشهده الساحة الدولية من تلاحق الاحداث ونشاط فئة المعلمين العرب لدعم الثورة الفلسطينية أو الساحة الدولية مما جعلنا كمعلمين عرب نتوجه الى تطوير علاقاتنا مع الاتحاد العالمي لنقابات المعلمين المسمى (فيز) والذي تأسس في عام 1946 وضم خلال مسيرته اكثر من 130 دولة من النقابات والجمعيات والاتحادات وكان مناهضا للامبريالية والصهيونية، وكان «ابو اياد» . رحمه الله . يحث الاستاذ جميل شحادة . نقيب المعلمين الفلسطينيين على التعاون مع جمعية المعلمين لدفع مسيرة هذا الاتحاد لنصرة القضية الفلسطينية عن طريق التنسيق والعمل المشترك، ورغم العلاقات الاخوية الحميمة التي تربط جمعية المعلمين الكويتية بنقابة المعلمين الفلسطينيين الا ان الاخيرة وقفت مع الاحتلال العراقي بتوجيهات من ياسر عرفات؟!

كما انني شخصيا كنت ومازالت وسأظل اذكر المعلمين الفلسطينيين بكل الخير خاصة القدامى الذين قاموا بدور كبير في النهضة التعليمية لبلدي الكويت، وعانى هؤلاء القدامى من قسوة الحياة في الكويت، ومن قلة الاجور وسوء الاحوال السكنية وبخبراتهم استطاعوا التكيف واخلصوا في عملهم ويكفي انك لم تسمع يوم كانوا يعملون في مدارس الكويت عن كارثة الدروس الخصوصية؟ وكان من ابرز هؤلاء المعلمين القادة خليل الوزير وابو اياد رحمهم الله، وآخرون كثيرون تشهد لهم قاعات الدرس في مدارس وزارة التربية في الكويت، وايضا قطاعات الاطباء والصيادلة والسكرتارية وغيرها من المهن التي برز بها ابناء الشعب الفلسطيني.

وابدأ على بركة الله اولا بالتعريف بالقائد الشهيد صلاح خلف حتى يقف «القراء» على سيرة هذا البطل وفكره وانجازاته وتاريخه الوطني الطويل في خدمة القضية الفلسطينية على امتداد حياته تاركا في الختام المشهد الأخير لذكاء القارئ ليتعرف على قاتل «أبواياد» وبرجاء ألا يقال لنا انهم الموساد الإسرائيلي؟!

من هو صلاح خلف؟

صلاح خلف.. اسمه الحركي «أبو اياد» سياسي من القادة الفلسطينيين البارزين في تأسيس حركة «فتح» التي تشكلت على شواطئ الصليبخات في الكويت يوم كان يعمل في الكويت المهندس الفلسطيني «ابوعمار»، في وزارة الاشغال ومجموعة من الفلسطينيين الذين شاء القدر ان يجمعهم على ارض الكويت ليؤسسوا اكبر «حركة ثورية عربية» في الستينيات وكان من ابرزهم خليل الوزير وصلاح خلف، الذي درس فى ثانوية الدعية، وهناك جيل كويتى من المخضرمين امثالى يذكرون هذا القائد البطل وامثاله من اخوتنا الفلسطينيين الذين قالوا للاحتلال العراقي: لا، وان كانوا قلة الا انهم وضعوا موقفا مبدئيا ضد الاحتلال العراقي الغاشم الذي قتل آمالهم في دولة فلسطين مستقلة؟!

حياته

هاجر والده من غزة الى يافا وهناك ولد القائد صلاح خلف في عام 1933، وعقب ولادته هاجرت اسرته الى غزة مرة ثانية عن طريق البحر قبل قيام دولة الكيان الاسرائيلي، درس في مدارس غزة حتى الثانوية ثم ذهب الى مصر عام 1951 ليكمل دراسته في دار المعلمين وهناك حصل على ليسانس تربية وعلم نفس من جامعة القاهرة، وخلال هذه الفترة نشط مع الحركة الطلابية وكان له دور كبير فى تأسيس اتحاد طلاب فلسطيني، وقد قال لي هو شخصيا انه تأثر ومعه ياسر عرفات والاستاذ سليم الزعنون بفكر الاخوان في بداية حياتهم، ثم عاد الى غزة مدرسا للفلسفة حيث واصل نشاطه السياسي حتى جاءت فرصته التاريخية للعمل في الكويت عام 1959 للعمل مدرسا، وكانت هذه فرصة عظيمة له ولاخوانه خاصة الرئيس ياسر عرفات والاخ الشهيد خليل الوزير، وفي ارض الكويت تم انشاء بدايات حركة وطنية فلسطينية هي «حركة فتح» وقد كانت الكويت بلدي ارض خير على الدوام للقضية

الفلسطينية، ففيها الحرية وفيها شعب متفهم لقضايا التحرر لان الشعب الكويتي اختار «حكامه» وليس لديه مشكلة معهم.

موقف الكويت

وكانت الكويت حكومة وشعبا ومنذ القدم تعتبر القضية الفلسطينية قضيتها الاولى وقدمت لهذا الشعار الحقيقي المال والدعم المعنوي وسمح لهؤلاء الحركيين الفلسطينيين بالعمل بحرية لتأسيس حركة فلسطينية ثورية وهي «حركة فتح.«

وللامانة والتاريخ حركة فتح في بداياتها كانت تضم رجالا على قدر كبير من النزاهة والتدين، واعرف العشرات منهم كانوا يؤدون الصلوات في المساجد حال سماع الاذان، وليست فتح «الرجوب. دحلان!«

وهذه شهادة نسأل بها عند الله عن هؤلاء القادة الذين اذا حضرت الصلاة وكنا في مؤتمر او حفل خطابي او ملتقى وجدناهم معنا في الصفوف الامامية يؤدون الصلاة، ومعنى سطوري الا نعزل «قادة فتح» الحقيقيين عن اخواننا في «حركة حماس» فالدين لله.

البداية من الكويت

هناك حقيقة مدونة في التاريخ مهما حاول المتحذلقون طمسها لا يقدرون وهى ان الكويت هي الأساس في تكوين حركة «فتح» وايضا حركة «حماس» ولعل هناك كثير من الأدبيات والإعلاميات التي تشير بصوت مسموع الى دور الكويت الجلي في تأسيس حركة «فتح» عندما تجمع رفاق الدرب الواحد لتوحيد جهودهم في بداية الستينيات على شكل بلورة مبادئهم وقيمهم ومنطلقاتهم فى حركة تضم الشتات الفلسطيني في المهجر وقد كان لمجلة «فلسطيننا» و «الصخرة» الدور المعرف بهذه الحركة أمام جماهير الوطن العربي وقطاعات الشعب الفلسطيني في المهجر، وفي عام 1969 بعد دمج حركة فتح في منظمة التحرير الفلسطينية بدأ يكبر ويظهر اسم «أبو إياد» كعضو في اللجنة المركزية لفتح وقد أخذ هذا الاسم «المركزية» بالتشنيع بحركة فتح بأنها شيوعية لتداول هذا الاسم المركزي في كل المسميات الشيوعية في إبان سطوة المنظومة الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفييتي، اما تأسيس حركة «حماس» في الكويت فآمل يوما ان أوضح ما قام به جمع طيب من اهل فلسطين ومشايخ من الكويت في بدء منطلقات «حماس» كما فعلت اليوم.

استهدافه

وأعود الى أبي أياد حيث تولى في منتصف السبعينيات رئاسة جهاز الأمن في فتح والأجهزة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفي هذه الفترة تعرض أبو إياد لأكثر من عملية اغتيال استهدفت حياته وفشلت، هنا فقط يمكن ان أشير الى يدي الاستهداف الإسرائيلي من الموساد وغيره من المنظمات الفلسطينية العميلة التي توجهها بعض الأنظمة العربية، وكان الرئيس الزنقة. معمر القذافي احدهم والمقبور صدام حسين.

وفي عام 1978 أصدر كتاب أسماه «فلسطيني بلا هوية» وهو مأخوذ عن سلسلة لقاءات خاصة مع الصحافي الفرنسي اريك رولو حيث حاول نفي اي علاقة له بمنظمة «ايلول الأسود» والتي أشيع عنه انه زعيمها وموجهها بناء على اتهام دائم له بأنه يمثل الفكر الثوري المسلح لحركة فتح وهو اتهام له نطاقات أمنية وإعلامية ونخبوية تشيعه بل وصل الأمر انهم أسموه «جارنج فلسطين» نسبة للديبلوماسي السويدي المشهور جارنج، وذلك لقدرته الفذة في بناء التحالفات وصياغة التوجهات الإستراتيجية وإدارة عمليات التفاوض بشكل فائق الدقة والحكمة ومن هنا استطيع ان أحدد انه بدأ يظهر كقائد بارز ملتفة حوله الجماهير الفلسطينية والعربية مما يعني انه أخذ دور غيره في البروز فكان الاستهداف من زمن بعيد؟!

منظمة أيلول الأسود

والكل يذكر ان منظمة «ايلول الأسود» هي منظمة فلسطينية كانت مسؤولة عن عملية ميونخ التي أدت الى مقتل «احد عشر رياضيا اسرائيليا» في دورة الألعاب الأولمبية عام 1972 في ميونيخ بألمانيا، واغتيال رئيس وزراء الأردن وصفي التل في القاهرة عام 1971 والتي حملته المنظمة مسؤولية «ايلول الأسود» يوم كان رئيسا لمجلس الوزراء ووزير الدفاع في وقتها حيث تم تصادم الجيش الأردني مع قوات منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت متمركزة في الأردن وقد قيل ان منظمة «ايلول الأسود» تشكلت بعد ان طردت المنظمة من الأردن وقد أشيع بعد هذا التاريخ ان صلاح خلف هو المسؤول عن تنظيم هذه المنظمة والعمليات التي جرت ووجه الاتهام ايضا الى كل من أبومحمد العمري ومحمد داود.

الصدفة قادتني إليه

لعلي كنت محظوظا ان اتعرف عليه في زهرة شبابي، وأنا شاب في مقتبل العمر متحمس للعمل الثوري، وكانت «القومية العربية» طاغية في وقتها، الحرب الإيرانية . العراقية، واحتلال الاتحاد السوفييتي لأفغانستان، وكان الهم العربي كبيرا، والجرح الإسلامي أكبر، ومماحكة بين القوميين والإسلاميين والمحافظين والصامتين تدور في كل أروقة الوطن العربي من خليجه الى محيطه وكانت فرصتي التاريخية ان أتعرف على هذا القائد الذي أحببته وبادلني المحبة وكان أخا كبيرا وصديقا نصوحا، صارحني في كثير من المواقف بما يدور في نفسه، وهو الذي يحمل جراحات شعبه وثورته وما كان يدور من تآمر الأنظمة العربية لتعطيل الدور الفلسطيني على يد العملاء وحتى يتعرف «القارئ» اكثر على هذه الشخصية الأسطورية اتوقف طويلا لتناول محطات حياته بنوع من التفصيل ليتعرف قارئي الكريم الى فكر هذا القائد الثوري الذي عارض الاحتلال العراقي الغاشم على الكويت في الثاني من اغسطس 1990 وكيف طالب عرفات بإصدار بيان باسم المنظمة يدين الاحتلال.

وكيف كان يصف المقبور صدام حسين بأنه أحمق يهوى اللعب بالنار قبيل مقتله بساعات في تونس، واحتفظ ببعض المعلومات لان المجالس امانات وهي امور لا تستحق ان تظهر في ملف يقرأه كل الناس ولا تخصهم لا من قريب ولا من بعيد.

التأسيس والقيادة للتنظيم في الكويت

في كتاب «ابو جهاد.. اسرار بداياته واسباب اغتياله» الذي صدر في ابريل 1989 في صفاقس التونسية يعرض د.محمد حمزة في الصفحة (254 – 255) كيف تم تأسيس حركة فتح في الكويت وقدمه د.سمير يوسف، وهذا يؤكد كلامي الذي قلته في بدايات الملف واعرضه بالنص كاملا:

ابرز «ابو جهاد» بشكل خاص دور تنظيم حركة فتح في الكويت وقال: «كان تنظيمنا في الكويت هو الاقوى والاكثر متانة وكنا نقيم حوارا مستمرا من هناك مع جميع التنظيمات.«

وقد اشرنا في مواقع اخرى الى الاجتماع التأسيسي الاول لحركة فتح الذي التأم في الكويت وضم الاخوة، ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعادل عبدالكريم، ويوسف عميرة، وتحتشد قائمة تنظيم حركة فتح في الكويت بالعديد من اسماء القيادات والكوادر التي التحقت بفتح في بداياتها. ونقلا عن ذاكرة «ابو جهاد» نذكر بالخصوص الاخوة عبدالله الدنان، ومحمود مسودة، وكانا من اوائل الذين انضموا لعضوية اللجنة المركزية لحركة فتح.

وضم تنظيم فتح في الكويت ايضا الاخوة: فاروق القدومي، وخالد الحسن، وصلاح خلف، وسليم الزعنون الذين عايشوا البدايات وانضموا الى عضوية اللجنة المركزية لحركة فتح على فترات متعاقبة.

وكان من ابرز الكوادر المتقدمة التي عاصرت البدايات ايضا الاخوة: علي الحسن ومحمود الوزير، وفتحى عرفات، وهاني القدومى، ومختار بعباع، وعلى جاد الله، ومحمد حرب، وموسى قنيبي، والمرحوم عرفات أبو سكرانة . ابو اسماعيل الذي كان شعلة من الحركة والنشاط، وعرف كواحد من الرعيل الاول الذي كان يخترق الحدود العربية في سبيل تأمين الذخائر والاسلحة والعتاد والتموين للفدائيين.

ويذكر «ابو جهاد» انه كان برفقة «ابو اسماعيل» وهما في طريقهما الى بيروت قادمين من دمشق، وكان بحوزتهما مجموعة من الاسلحة والمتفجرات، وعند نقطة الحدود اشتبه رجال الامن اللبناني بـ «أبو اسماعيل» وقاموا بتفتيشه ووجدوا معه نسخة من مجلة «فلسطيننا» كانت كافية كمبرر لاعتقاله، بينما لم يكتشف امر «ابو جهاد» ولا الاسلحة التي دخل بها الى لبنان. ويتذكر «ابو جهاد» ان الوصول الى الكويت كان صعبا بسبب صعوبة الحصول على تأشيرة دخول لكن «فتح» كانت لها مواقعها المهمة في الادارة الكويتية، بحيث كان من الممكن تقديم كافة التسهيلات، فقد كان الاخ خالد الحسن مثلا يشغل موقع السكرتير العام للمجلس البلدي لمدينة الكويت، وهو موقع بالغة الاهمية في تلك الفترة حتى ان معظم شخصيات الكويت ورجالاتها كنت تجدها في مكتبه، فيكفي ان يشير او يجري اتصالا هاتفيا للحصول على كل ما يريد دون اي تأخير، كذلك كان الاخ هاني القدومي يشغل موقع السكرتير الاول لأمير الكويت، وبمجرد ان يجري اتصالا يكون اسمي مسجلا في المطار وداخل الكويت دون عقبات.

ويضيف ابو جهاد: «مثل هذه الظروف كانت تطبع تنظيمنا في الكويت الذي كان يتميز بمرونة اكبر بحكم سهولة تحركه نسبيا، ورغم ان اتصالاتنا كانت محدودة على مستوى الشخصيات الكويتية، الا اننا حاولنا اجراء مثل هذه الاتصالات، حيث قمنا مرة ابو عمار وانا ويوسف عميرة بالالتقاء مع بعض الشخصيات الكويتية، حيث قدمنا لهم تعريفا بأنفسنا بأننا تنظيم وطني فلسطيني ونملك امكانية التنفيذ وبدء العمل لكننا نعاني من قلة الامكانيات المادية، فبدلا من ان ننتظر خمس سنوات اخرى لتوفير هذه الامكانيات فإننا نقترح ان يقوموا هم بتقصير هذه المدة وذلك من خلال تقديم قرض لنا كي نبدأ العمل على ان نقوم بتسديد القرض فيما بعد وقلنا لهم اننا نوافق على كافة الشروط التي يفرضونها، وكان الجواب: اذا بدأتم فلكم ما تريدون اما قبل ذلك فنحن آسفون، وربما شكل مثل هذا الموقف حافزا اضافيا لنا على المواصلة والاستمرار.«

واستمر الموقع القيادي لتنظيم حركة فتح في الكويت حتى تاريخ تفجير الانطلاقة المسلحة في 1965/1/1 حيث اخذ مركز الثقل في الانتقال تدريجيا الى سورية بانتقال ابو عمار وابو جهاد على رأس القيادات والكوادر التي اخذت في تصعيد العمل الفدائي من الحدود المشتركة مع العدو ثم حسمت بعدها مسألة القيادة نهائيا في عام 1966، واستقرت على النحو الذي عرفه العالم منذ حوالي ربع قرن كامل من الزمن.

ألقاب

كثيرة هى الألقاب التى حصل عليها الشهيد صلاح خلف وهى: عقلية سياسية حادة، أسلوب خلاب طلق، قادر على تسوية النزاعات، رجل يوثق به في المهام الخارجية، حافظ لأسرار منظمته، الوطني الملتزم (التدين)، كان أول من أوصى بمباحثات تسوية مع إسرائيل وأول من دعا لدولتين تعيشان في سلام فلسطينية وإسرائيلية.

العمل التنظيمي

كان «أبو إياد»، رحمه الله، يرسل أسرته إلى القاهرة صيفا ويتفرغ هو في إجازته للعمل التنظيمي والثوري داخل حركة فتح التي اتخذت قياداتها الكويت مقرا لها وتحديدا في (حولي . الجابرية) لمرونة الأمن الكويتي وللدخل المادي لأعضاء حركة فتح العاملين في الكويت، وهذان العاملان جعلا من الكويت الموطن الآمن بعد الكثير من الصعوبات التى واجهها القادة الفلسطينيون فى البلدان العربية من ملاحقات رجال الأمن ونتيجة قلة الدخل المادي للجاليات الفلسطينية هناك بعكس الجالية الفلسطينية في الكويت التي كانت تشغل قطاع التربية والتعليم والصحة وكثيرا من المؤسسات الخاصة.

صلاح خلف يشيد بدور السعودية والكويت

ومن يراجع مذكرات أبو أياد ورسائله الخاصة يكتشف ان العلاقة بين المقاومة الفلسطينية، وخصوصا فتح، مع دول الخليج العربي، خصوصا الكويت والسعودية

كانت أكثر اتزانا واستقرارا من العلاقات بين المقاومة والانظمة الثورية في العالم العربي التي تنافست على الزعامة العربية على حساب شعوبها.
ويعتبر أبوأياد أن الكويت هي التي وفرت لفتح الحضانة الأولى لنمو حركة فتح ويقول: ان المساعدات الخليجية المالية بدأت تتدفق على فتح منذ العام 1952 حيث ان العاهل السعودي الملك سعود كان قد استقبل أبو أياد في أكتوبر من عام 1952 وهو عضو في اتحاد الطلاب الفلسطينيين، واعطى وفد الاتحاد . أثناء زيارة للمملكة . ما يوازي 30 ألف دولار أميركي وهو مبلغ ضخم من أجل استخدامه في تمويل النشاطات الطلابية. ويواصل أبو اياد: وفي عام 1968 تقابلت مع الملك فيصل في مقره لمدة أربع ساعات متصلة، ووجدت منه عطفا شديدا على الحركة الفلسطينية، وكان تقديره هو ان علينا الا نتشابه أو نتماثل مع أي نظام عربي، وعلى هذا فإن المملكة العربية السعودية ستساعد المقاومة بقدر ما يمكن أن تفعل... وقال الملك فيصل: ونحن لا نريد من الحركة الفلسطينية مديحا ولا انتقادا، كما وافق . بناء على اقتراح قدمه أبو أياد . على السماح بإنشاء «لجان دعم» في المملكة تكلف بجمع الهبات، وبأن تخصم تلقائيا نسبة تصل الى 7% من رواتب الفلسطينيين العاملين في المملكة العربية السعودية كي تستخدم حصيلة هذه الخصومات في تغذية صندوق فتح، ثم اضاف الملك فيصل: المملكة ستدفع لفتح مبلغا يوازي المبلغ الذي سيتم جمعه من الفلسطينيين المتبرعين.

رفضه لاحتلال الكويت

فى اليوم الذي قتل فيه «أبو أياد»، رحمه الله كان مشغولا للغاية بالحرب الدائرة ما بين التحالف ونظام صدام حسين بسبب احتلاله للكويت، وكان «أبو اياد» أحد القادة الفلسطينيين الاحرار الذين رفضوا هذا الاحتلال وضغطوا على الرئيس عرفات لإدانة الاحتلال العراقي، وكان ابو إياد منتظرا ردا من عرفات يدين وبشدة الاحتلال العراقي بعد أن أجرى «ابو اياد» في مقره في تونس لقاء مع سفراء أجانب حاولوا استطلاع رأيه فأكد ابو أياد على حماقة صدام حسين واعتبر احتلاله للكويت كمن يهوى اللعب بالنار دائما ولا يستطيع العيش دون عواصف، وهكذا اسدل الستار على احد قادة حركة فتح الابطال «ابواياد» رحمه الله، الذي دفع حياته في سبيل موقف مبدئي نادى به طوال حياته وهو ان يبقى القرار الفلسطيني مستقلا بعين الانظمة العربية فكان مقتله وفي الغد نكمل الحكاية.

أبونضال

كان شديد الغضب من «ابو نضال» خاصة عندما بدأت الانظمة العربية تتناوب على احتضانه، وكان صريح الغضبة عندما احتضن نظام القذافي «ابونضال» واستضافه مع رجاله على الارض الليبية، وايضا العراق في عهد صدام حسين وأوعز له بقتل بعض القادة الفلسطينيين.

تسليح «أمل«

قال لي عقب معارك نهر البارد والميه ميه ان تسليح حركة أمل وتدريبها خطأ استراتيجي عانت منه فصائل الثورة في لبنان.

سؤال

ماذا تم بعد القبض على قاتل «ابو اياد» واخوانه القادة ابو اللطف ومحمد العمري .

مجرد سؤال؟

عزيزي القارئ الكريم:

هذا هو الجزء الاول ويلحق غداً الجزء الثاني من ملف اغتيال القائد صلاح خلف، وتبقى كثير من الحقائق المغيبة عند اطراف العلاقة والاحرار. وبعد «القراءة» اذا كانت لك مداخلة واضافة بخصوص هذا «الملف الساخن» يرجى ارسالها.

editorial@alanba.com.kw

قراءة متأنية في فكر القائد الفلسطيني «صلاح خلف» (2 ـ 2)

رصاص الغدر العربي قتل «أبوإياد» بأيدٍ فلسطينية

الزميل يوسف عبدالرحمن يشارك في مسيرة احتجاجا على الغزو الاسرائيلي للبنان عام 1982 في الكويت

ابواياد رحمه الله يصافح الزميل يوسف عبدالرحمن

عرفات يزور صدام حسين اثناء الاحتلال العراقي للكويت

وسليم الزعنون يصافح الزميل يوسف عبدالرحمن

الزميل يوسف عبدالرحمن عند النصب التذكاري لمعركة الكرامة في الاردن

الزميل يوسف عبدالرحمن يحضر احدى الفعاليات الفلسطينية

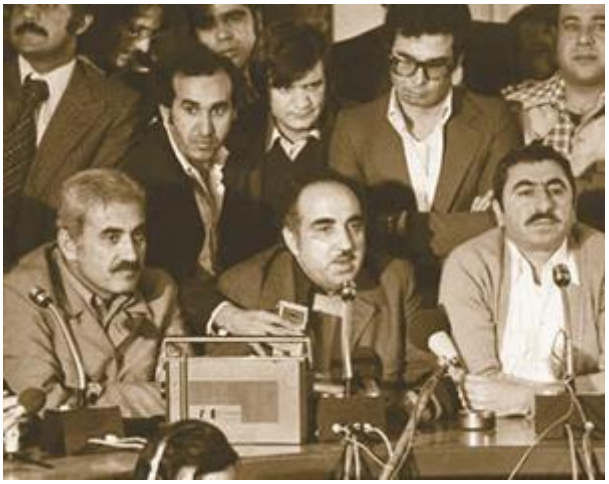

ابو اياد يتوسط جورج حبش ونايف حواتمة

صلاح خلف كان يقول: لن أكون الشهيد الأول ولا الشهيد الأخير، فكل أبناء فلسطين مستعدون لتقديم مهر فلسطين من دمائهم الزكية

- **كان شديد الإعجاب بحكمة وحنكة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد ويصفه بنصير القضية في المحافل الدولية**

بقلم: يوسف عبدالرحمن

وأنا أجمع أوراق مذكراتي والنفس تراودني لفتح ملف منسى من تاريخ القضية الفلسطينية وقفت على قول جبران خليل جبران: «الحقيقة التي تحتاج الى برهان هى نصف الحقيقة»، وعليه قررت أن افتح ملفا منسيا طواه الجميع بمن فيهم حركة فتح والشعب الفلسطيني وهو ملف البطل الشهيد القائد صلاح خلف الذي اغتيل

في 14 يناير 1991 في تونس في عملية جبانة حيكت خيوطها في بغداد بأطراف فلسطينية ضالعة في المؤامرة لاغتيال هذا القائد الفلسطيني على يد العميل «حمزة أبوزيد» الذي نسب إلى الموساد الإسرائيلي وفي عملية طالت مجموعة من قيادي حركة فتح هايل عبدالحميد (ابوالهول) والقائد فخري العمري ابو محمد العمري وبالتنسيق مع الرئيس التونسى المخلوع لعنة الله عليه في الدنيا قبل أن يدخل مزبلة التاريخ بعد أن شارك في قتل أكثر من قائد فلسطيني وعلى رأسهم الشهيد البطل خليل الوزير صانع الانتفاضة الفلسطينية ومهندسها. انشغلت بعد التحرير ولكن لم اغفل عن هذا الملف الساخن وكلما شاهدت الاوضاع والمستجدات قلت في نفسى، لانتظر قليلا، ومر الزمن، وفي زمن ثورات الشباب افتح هذا الملف لعل الشباب الفلسطيني يفتح عينيه ويطرح معي هذا السؤال: من قتل القادة الفلسطينيين بعد ان وقعت حركة فتح وحركة حماس اتفاق القاهرة؟ ويتبع هذا السؤال بالعديد من الاسئلة مثل:

من «يافا» مسقط رأسه إلى «قرطاج» حيث فاضت روحه على الساحل التونسى للبحر المتوسط حيث قضى برصاص الغدر العربي والخيانة والطعن بالظهر مثل كثيرين من رفاق دربه في اللجنة المركزية لحركة فتح أواصل فتح هذا الملف الساخن الذي اعرف مسبقا انه لن يرضي «قلة» من الشعب الفلسطيني الضالعين في استشهاد معظم القادة الفلسطينيين الابرار الذين كان كل ذنبهم أنهم كبروا وتجاوزوا حدا ليس من المسموح لهم بلوغه في ظل زعامة موجودة تريد ألا يغيب عنها الضوء والوهج الإعلامي والسياسى على الدوام ويكون بيدها القرار الأول والأخير.

رحمك الله يا «أبو إياد» اتذكر يوم قلت لي في إحدى الامسيات قبيل الاحتلال العراقي في شهر مايو عندما كانت منظمة التحرير الفلسطينية تستعد لتكريم كوكبة من ابناء الكويت في مقر المنظمة في حولي ما معناه الأيام القادمات حبلى بالاحداث ومشكلتنا نحن الفلسطينيين ان نستقطب من هنا وهناك وإما أن تكون معي أو تكون ضدي في حساباتي.«

بون كبير يا «أبو إياد» بين ولادتك في يافا ورحيلك في قرطاج ولنقم بالعملية الحسابية 1933 ولادتك وفي 1991 اغتيالك ثمانية وخمسون عاما من التاريخ الوطني المشرف حملتها بمسؤولية القائد البعيد عن حب الكرسي والجلوس عليه وكنت دائما فى صفوف الجماهير، ودفعت حياتك ثمنا لمبادئك وقيمك.

كنت فلسطينيا

كنت على الدوام فلسطينيا، تحلم بفلسطين الواحدة ولم تكن تعلم بأن «دولتك الحلم» اليوم فريقان الأول في الضفة والقطاع والثاني في غزة وليس هناك من أمل بعد الله سوى هؤلاء الشباب الفلسطينيين الذين حتما ستتقارب صفوفهم مجتازين كل العقبات نحو التوحد بإذن الله وانه ليوم قريب.

عندما اختاروك للاغتيال عقب مجموعة طاهرة من القادة الرواد في الشهادة الذين سبقوك لم يكن في بالهم أيها الصديق العزيز ان بمقتلك يسدل الستار على «سرهم»

الدفين بأن الرصاصات الاسرائيلية ليست متهمة أبدا وفاتهم في مقتلك بل انها عربية بيد فلسطينية في دولة عربية وبأمر من طاغوت تلوثت يده بالدماء الفلسطينية على الدوام.
أيها البطل الشهيد: أكثر من ثلاثة عقود من النضال والجهاد حملتها على كاهلك المتعب من أجل وطن عزيز وشعب يعطي الشهيد تلو الشهيد في سبيل استرجاع الارض السليبة، مستلهما منك والقادة الشهداء الذين سبقوك «القدوة» لمواصلة هذا الدور البطولي.
كان صلاح خلف يقول لن أكون الشهيد الاول ولا الشهيد الاخير، فكل ابناء فلسطين مستعدون لتقديم مهر فلسطين من دمائهم الزكية.
كان كلما حدثني عن حلمه يقف طويلا ليفكر ثم يواصل طرح همومه ولكنه لم يفقد الامل يوما.
في إحدى الجلسات قال لي: سيكون لنا وطن، وسنبني فلسطين حجرا حجرا، ومدينة مدينة، وسنزرع كل بيارات الزيتون التي اجتثتها الآلة الاسرائيلية، وسنقيم دولة الديموقراطية الحقيقية التي سيضرب بها المثل.

قدوته والده

كان، رحمه الله، كثيرا ما يتذكر والده القادم من غزة الموظف البسيط في السجل العقاري، وكيف كان هذا الأب حريصا على تعليمه مثل سائر الآباء الفلسطينيين الذين يحرصون على تعليم أولادهم لانهم وصلوا إلى قناعة ان التعليم سيجعل اولادهم اكثر قدرة على معرفة طبيعة الصراع العربي . الاسرائيلي.
وكان القائد صلاح خلف معتزا كثيرا بنفسه، كيف دخل وهو الشاب اليافع إلى «منظمة النجادة» وهي منظمة تسعى لمقاومة تهويد فلسطين، وتدرب مع اقرانه على استخدام السلاح الخشبي نظرا لندرة السلاح.
وكان، رحمه الله، يذكر كيف جرب الاعتقال عندما داهمت شرطة الانتداب منزل اسرته واصرت على اعتقاله بتهمة الاعتداء على تلميذ يهودي، وكيف كان هذا من اسباب هجرة اسرته من يافا الى غزة هربا من القوات الصهيونية عن طريق البحر تحت وابل من الرصاص اليهودي.
ولانني في الاساس معلم وممن شاركوا في قيادة جمعية المعلمين الكويتية كان معظم حديثنا يأخذ هذا المنحى التعليم والتربية والعمل النقابي وقليلا ما كنت اطرح معه الجوانب السياسية ما لم يبادر هو بطرح ما في داخله لي واتجاوب معه في الحوار.
وكان صلاح خلف.. يعتبر والده رمزه الفلسطيني الحقيقي ويذكر كثيرا افضاله وحرصه على تعليمه مما جعله يفكر واخوه الاكبر عبدالله في ضرورة مساعدة هذا الاب بالعمل سرا لتوفير مصدر جديد للدخل وكيف كانت بداياته في مصر لدراسة اللغة العربية في جامعة الازهر، وكيف بدأ نشاطه النقابي الطلابي المنظم وتعرف على الطالب «ياسر عرفات» وتعاون الاثنان من خلال رابطة الطلبة الفلسطينيين (1952

– 1956) ثم انتظما من خلال رابطة الخريجين الفلسطينيين وما نالهما من الاجهزة الامنية المصرية.
وكان ابو اياد شديد الفخر بلقائه الرئيس جمال عبدالناصر عندما اتيحت له فرصة عرض مطالب الطلبة الفلسطينيين من مصر ومن جامعة الدول العربية.
وقال لي مرة: لقد عملت في غزة بعد التخرج بشهادة الفلسفة غير انني عندما نلت دبلوم التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس المصرية قبلت دعوة العمل في الكويت وحضرت اليكم في بلدكم كي امارس دوري الوظيفي كمرحلة غير ان دربي سيكون نحو تحرير فلسطين.

الكويت محطة رئيسية

في كل جلساتي الكثيرة كان يذكر الكويت بأنها وجه الخير على القضية الفلسطينية وكان شديد الاعجاب بحكمة وحنكة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الاحمد، وكان يومها وزيرا للخارجية، وكان يصفه بنصير القضية في المحافل الدولية، وانه على الدوام وراء ما تحظى به منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت من استجابة لمطالبها.
في الكويت نقطة ابهار دائمة في عيون «ابو اياد» لانه كان من اشد المؤمنين بالدور الكويتي في بناء حركة فتح وتأصيل دور منظمة التحرير الفلسطينية خاصة في ظل القيادة السياسية التي كان يرأسها امير البلاد حينذاك سمو الشيخ جابر الاحمد. رحمه الله . وسمو الامير الراحل الوالد الشيخ سعد العبدالله ـ صاحب الايادي البيضاء على القضية الفلسطينية والذي استطاع بشجاعته ان يخرج الرئيس ياسر عرفات من الاردن وهذه قصة معروفة فيها تفاصيل طويلة يتذكرها اخواننا اهل فلسطين واهلنا في الكويت.
في الكويت بدأ النضال السياسي مع رفقاء دربه ياسر عرفات وخالد الحسن والاخ الاستاذ سليم الزعنون . ابو الاديب . وهذا الرجل وللامانة التاريخية كان على الدوام مع الحق الكويتي مدافعا صلبا كما ان هناك رفيقا آخر هو رفيق قبلاوي . أبوزياد . رحمه الله الذي قتل في الكويت، ويقال على يد الأجهزة الأمنية العراقية البعثية لأنه رفض تسيير مظاهرة للمقبور صدام حسين.
ومن الكويت الحرة الداعمة دائما للحق الفلسطيني بدأ النضال الوطني لبناء غطاء رسمى للتحرك الفلسطينى الفاعل وبدأ الاتصال بمجموعة من الفلسطينيين كان من ابرزهم يوسف النجار وكمال عدوان ومحمود عباس (ابو مازن) وكان هؤلاء يعملون في دولة قطر، وتمكن هؤلاء المؤسسون من بناء الحركة التي اصبحت في السنوات اللاحقة من اكبر فصائل الثورة الفلسطينية ورائدة النضال الوطني التحرري الفلسطيني وقد ذكر الرئيس عرفات ان سواحل الصليبخات تشهد للكويت انها الحاضن الأساسي في تكوين حركة فتح على أرضها.

الرجل الثاني

أطلق دائما على ابو اياد الرجل الثاني في فتح، وفي منظمة التحرير الفلسطينية، ومع تفرغ ابو اياد للعمل الثوري الفلسطيني استطاع هذا القائد ان ينجح وينجز مهام صعبة من خلال زياراته الى القاهرة ودمشق وبيروت.

من ينسى مشاركته في معركة الكرامة عام 1968 وفي العمليات طيلة سنوات الحرب اللبنانية، وكيف صمد في اثناء الحصار وغادرها مع المقاتلين عام 1982.

شخصية كاريزما

اعترف انا وغيري ممن تعرفوا او وقفوا على شخصية صلاح خلف بأنه صاحب شخصية محبة وسلسة ومرنة وثورية وهذا يلمسه المقربون الذين عملوا معه او جمعتهم المصادفة أو العمل معه اما الذين عمل معهم من الكوادر الحزبية او التنظيمية فلقد اسرتهم شخصيته كما هو عرفات وأبوجهاد وغيرهما.

كنت اقول له في ملتقياتنا انك صاحب كاريزما في الشخصية الخطابية، تملك «المايك» والكلمة وتسيطر على قلوب المستمعين لك، ومن شاهد خطاباته في المهرجانات يعي تماما ما أقصده لأنه شخصية تأسر الجمهور الذي يتوافد له بالمئات والعشرات ليستمعوا لحديثه الصريح دائما.

كان صلاح خلف يثير دغدغة مشاعر الجماهير العربية، فهو دائم الانتقاد للانظمة العربية، لهذا ربطت الكثير من الاوساط ما بين اسمه ومنظمة ايلول الاسود التي ضربت المصالح الاسرائيلية والمصالح الاميركية في ارجاء العالم بل كانوا يصفونه بأن يمثل العنف الثوري الهادر المستهدف.

كان رحمه الله شديد المطالبة بالاصلاح واول الرافضين للانشقاق على الحركة، مسموع الكلمة، وقال لي في اكثر من لقاء: علينا ان نستمع للجميع المؤيدين والرافضين ولا نريد اضعاف الحركة، ويقصد حركة فتح، لذا نجده عندما تسلم الحركة ومنظمة التحرير واستمر في نهجه الوحدوي، تعرض للعديد من محاولات الاغتيال التي نجا منها بفضل الله عز وجل ثم بفضل يقظته وحذره حتى جاء أمر الله عز وجل في تونس واغتيل وهو ينتظر الرئيس عرفات الذي وعده باللقاء العاجل لإصدار بيان يدين العدوان العراقي باحتلال الكويت واغتيل أبوإياد في رأيي المتواضع لإصراره على بيان الادانة وهذا ما كان يرضي الرئيس وطغمة الشر ممن حوله في العراق والقضية؟!

أعداء أبو إياد

كنت على الدوام في الاحاديث اللصيقة الجانبية اداعبه: ألا تخاف الموت ابا اياد؟ يتبسم ويرد بثقة المؤمن: لا راد للأجل إن حضر، انا مؤمن بالله والقدر، وأحاول ما استطعت اليقظة والله الحافظ.

كان شديد الثقة بقضاء الله، لذا كان من البديهي وهو الذي يرأس جهاز الامن الفلسطيني ان يكون حذرا ويقظا لأنه كان يعرف ان جهاز الاستخبارات الاسرائيلي (الموساد) يريد رأسه بأي ثمن وآخرين، لأنه كان يمثل العنف الثوري، حاولوا الوصول

اليه ما استطاعوا، خاصة بعد استشهاد اخوانه كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف النجار في بيروت على ايدي الكوماندوز الاسرائيلي في عملية فردان 1973، وهناك ايضا اطراف فلسطينية جماعة ابو نضال والتي تمكنت من تجنيد «حمزة ابو زيد» المجرم الخائن في تنفيذ عملية قرطاج بعد ان تم تجنيد هذا الخائن الخسيس المأجور «حمزة ابو زيد» وهو احد حراس (ابو الهول) هايل عبدالحميد، والذي قضى نحبه مع زميله ابو محمد العمري مدير مكتب ابو اياد في عملية قرطاج التي الصقت زورا بالموساد الاسرائيلي والقتلة هم معروفون، بعد هذا العرض، وأترك للقارئ الكريم تحديد هوية القاتل ومن وراءه!

اختلافه مع الختيار

من يعرف صلاح خلف . رحمه الله . عن قرب يعرف كم عانى من رفيق دربه ياسر عرفات، فكان على الدوام يقوّم اخطاءه ويرفض الكثير من تصريحاته ويحاول في اول فرصة مع الاعلام تصحيح المسارات، وعندما تسأله: ابو اياد لم هذا التصريح؟ يقول لك: ببساطة لاصلاح ما خلفه الغير، ويقصد هنا ياسر عرفات؟!

لذا لا عجب ان صلاح خلف قضى نصف عمره يجسد الحفاظ على الوحدة ويطالب دائما بالاصلاح ورفض اي انشقاق وان كان صغيرا، وسرعان ما يعالجه، قائلا رحمه الله: يجب ان نكون موحدين امام العدو الصهيوني، وكلنا يذكر موقفه الرافض لاول انشقاق حصل في حركة فتح عام 1983.

هكذا هو صلاح خلف، سياسي بارع، وديبلوماسي حكيم، وحتى اكون منصفا دعوني انشر لكم مقال الأخ الأستاذ محمد جودة النحال عضو المجلس الثوري لحركة فتح الذي كتبه في 15 يناير 2011 ولعل ابرز ما فيه: في مثل هذا اليوم الرابع عشر من يناير 1991، فقدت منظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية وحركة فتح ثلاثة قادة من أخلص وأمهر قادتها وحراس أمنها الاوفياء الذين كانوا يتمتعون بالتأثير والقوة والنفوذ وتحمل المسؤولية، حيث كان لهم سجل حافل بالتضحية والفداء والكفاح ضد الاحتلال الإسرائيلي على مدار الصراع مع الاحتلال وحتى استشهادهم، انهم الشهداء القادة الشهيد القائد صلاح خلف «أبو إياد» والشهيد القائد هايل عبدالحميد «أبوالهول» والشهيد فخري العمري «أبومحمد.«

وللمكانة الخاصة للشهيد القائد صلاح خلف في جميع مراحل الثورة الفلسطينية منذ بدايات التأسيس حتى استشهاده، ولدوره البارز والمميز فى حفاظه على أمن الثورة وحركة فتح، أجد أنه من الواجب تسليط الضوء على حياة هذا القائد العظيم لما فيها من دروس ومحطات مهمة وكثيرة يمكن الاستفادة منها في أيامنا هذه.

دوره في اتحاد طلبة فلسطين

وأثناء وجوده في القاهرة كان نقطة انطلاق لعملية النضال، حيث تعرف على ياسر عرفات الطالب في كلية الهندسة آنذاك، وبدأ ينمو توجه بين عدد من الطلبة . كان هو من بينهم . يدعو إلى ضرورة اعتماد الفلسطينيين على أنفسهم بعد أن فقدوا الثقة بالأنظمة العربية، فقرروا عام 1952م مباشرة هذه الفكرة بتقديم ترشيحهم إلى قيادة

اتحاد الطلاب الفلسطينيين، وكان التشكيل الوحيد الذي يمثل قطاعا ما من الرأي العام الفلسطيني، ونجحت لائحة «أنصار الاتحاد الطلابي»، وأثبت ذلك أن الطلاب يتطلعون . وبرغم معتقداتهم الايديولوجية . إلى عمل وحدوي.

وبدأ التطور في عمل الطلبة الفلسطينيين بعد الغارة الإسرائيلية على غزة في عام 1955م، حيث نظموا المظاهرات والإضرابات عن الطعام، وكان من جملة مطالبهم إلغاء نظام التأشيرات بين غزة ومصر، وإقامة معسكرات تدريب إجبارية تتيح للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات الإسرائيلية، واستجاب الرئيس عبد الناصر لمطالبهم، وبدأت العلاقة تتوطد بين الطلبة والثورة المصرية، ونشط أبو إياد ورفاقه في تجنيد الكوادر وتوطيد هذه العلاقة. بعد أن أنهى أبو إياد دراسته في مصر عاد إلى غزة عام 1957م للتدريس، وبدأ عمله السري في تجنيد مجموعات من المناضلين وتنظيمهم في غزة.

أبو إياد وبدايات تأسيس حركة فتح

وعلى الطرف الآخر في الكويت كان رفيق دربه: أبو عمار يعمل هناك مهندسا وينشط في تجنيد المجموعات الفلسطينية. وانتقل أبو إياد إلى الكويت عام 1959م للعمل مدرسا، وكانت فرصة له هو ورفاقه ياسر عرفات وخالد الحسن وسليم الزعنون وفاروق القدومي (أبواللطف) ومناضلين آخرين في بلدان مختلفة، كان أبرزهم أبويوسف النجار وكمال عدوان ومحمود عباس (أبومازن) المقيمين في قطر، لتوحيد جهودهم لإنشاء حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» لتعيد الفلسطينيين إلى أرضهم وحقوقهم وعزم مؤسسو «فتح» على التصدي لكل محاولة لإخضاع الحركة الوطنية لإشراف أي حكومة عربية، لما في ذلك من عقبات قد تثنيهم أو تبطئ بهم السير نحو هدفهم، وبدءوا بعرض مبادئهم أمام الجماهير الواسعة بواسطة مجلة «فلسطيننا والصخرة»، وابتكروا جهازين: أحدهما عسكري، والآخر سياسي في الفترة بين 1959م و1964م. مكن (المؤسسون) من بناء الحركة التي أصبحت في السنوات اللاحقة اكبر فصيل فلسطيني ورائدة النضال الوطني التحرري الفلسطيني. وكان ابو اياد منذ ذلك الوقت وحتى استشهاده يوصف بأنه الرجل الثاني في فتح، وفي منظمة التحرير الفلسطينية.

أبو إياد ودخول فتح للمنظمة

وعندما ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الشقيري اكتشفت «فتح» خطورة هذه المنظمة التي تشرف فيها الأنظمة العربية على الحركة الوطنية الفلسطينية، وحاول ياسر عرفات وصلاح خلف الاتصال بالشقيري، لإقناعه بالتنسيق السري بين نشاطاته العلنية وبين عمل يخوضونه بصورة سرية وكان موقف الشقيري سلبيا، ومع ذلك ارتأى عرفات وصلاح خلف أن المشاركة في هذه المنظمة ستجعلهم فاعلين في الحياة السياسية وسيفيدون من مقدراتها وإمكانياتها، فانخرط فدائيو «فتح» في جيش التحرير . تحت إشراف المنظمة.

أبو إياد والانطلاقة

شهدت أوساط فتح منذ خريف 1964م خلافا حول حرب العصابات، فمنهم من رأى أن الوقت مبكر وكان الطرف الآخر وعلى رأسهم أبو إياد يرى أن الوضع مناسب لبدء الكفاح المسلح، وأن «فتح» ستتطور إلى حركة جماهيرية بممارسة الكفاح، واستطاع أبو إياد وبحنكته وحكمته إقناع المتحاورين برأيه.

وجرى توقيت ميعاد أول عملية عسكرية في 1964/12/31م، ومنها كانت انطلاقة البلاغ العسكري الأول باسم «العاصفة». ورغم المضايقات العربية، وضآلة الدعم الخارجي والخلافات داخل «فتح» واصلت «فتح» حرب العصابات، مما زاد من التوتر بين إسرائيل والبلدان العربية.

شكلت هزيمة العرب في حرب عام 1967م نقطة انطلاق جديد لحركة فتح، فأقيمت قواعد على طول نهر الأردن، وآزرهم في ذلك السكان المحليون والقوات الأردنية، وتوج ذلك بانتصار معركة الكرامة التي على إثرها تدفق الآلاف للانتساب لحركة فتح.

بعد هذه المعركة كان صلاح خلف وراء إصدار بيان عن اللجنة المركزية لفتح يعلن تعيين عرفات ناطقا باسم فتح وبالتالي باسم «العاصفة.«

ديبلوماسية صلاح خلف وقيادته لأمن الثورة

وفي عام 1969م استطاعت حركة فتح السيطرة على منظمة التحرير، وبالتالي آلت رئاسة المنظمة لعرفات وتم دمج الحركة الفدائية في منظمة التحرير، وبدأت المنظمة بتأمين مرتكزات دولية، وكان ذلك باتجاه إلى الدول الاشتراكية التي دعمت كفاح الشعب الفلسطيني بالمال والتدريب والدورات مثل كوبا وفيتنام.

وبدأ اسم أبو إياد يبرز عضوا للجنة المركزية لفتح، ثم مفوض جهاز الأمن في فتح، ثم تولى قيادة الأجهزة الخاصة التابعة للمنظمة. ومنذ عام 1970م تعرض لأكثر من عملية اغتيال سواء من الإسرائيليين أو بعض الحركات الفلسطينية الممولة من الأنظمة العربية.

اعتقال أبو إياد وخروج قوات الثورة من الأردن

وصلت العلاقات بين السلطات الأردنية والمقاومة الفلسطينية حد الاشتباك المسلح وذلك في سبتمبر عام 1970م، واعتقل صلاح خلف في هذه الأحداث في عمان مع عدد من رفاقه، ثم دعي إلى القصر الملكي في عمان للقاء الوفد العربي الذي جاء إلى عمان للتوصل إلى وقف المعارك، وتم إخراجه من عمان على الطائرة نفسها التي أقلت الوفد العربي إلى القاهرة ليشرح للرئيس عبدالناصر الوضع في الأردن، وانتهت المقاومة الفلسطينية في الأردن صيف 1971م، ويقر أبو إياد أنه بذلك قلبت صفحة من تاريخنا بصورة نهائية.

أبو إياد وحرب أكتوبر 1973

كان صلاح خلف من القلة التي عرفت بعض الخفايا التي سبقت حرب أكتوبر 1973م ورافقتها وأعقبتها، حيث أسر الرئيس السادات له ولعدد من المقاومة الفلسطينية بذلك، طالبا منهم أكبر عدد ممكن من الفدائيين للاشتراك معه في

المعركة، وحضر أبو إياد إدارة غرفة عمليات المعركة مع السادات، وبعد هذه المعركة تبنى صلاح خلف مشروع إقامة الدولة على جزء من فلسطين، وصولا إلى إقامة دولة ديموقراطية على كامل فلسطين تضم الفلسطينيين والمسيحيين واليهود، وعلى إثر هذا المشروع برزت جبهة الرفض الفلسطينية التي رفضت هذا المشروع.

أبو إياد والحرب الأهلية اللبنانية

كان لأبوإياد دور بارز في لبنان إبان الحرب الأهلية، فقد كان أحد قادة المقاومة المكلف بعملية المفاوضات المعقدة بين الفصائل اللبنانية من جهة، والفصائل اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من جهة أخرى، وشارك في الإعداد لاتفاقية شتورا عام 1977م التي نظمت هذه العلاقة والوطنية.

رصاصات خائنة تنهي حياة صلاح خلف

من المعروف انه في بداية حدوث الأزمة العراقية الكويتية قال صلاح خلف في تصريحاته انه دائما يقف مع الأحداث التي تؤدي في النهاية لتحرير فلسطين المحتلة وتخدم كل مصالح الشعب الفلسطيني الذي يعيش في أرضه المحتلة أو يعيش متفرقا بين الشعوب العربية المجاورة.. ولكنه لا يؤيد الأحداث الخاصة التي تؤثر على الأسرة العربية الموحدة وتحطم تضامنهم وتزعزع الثقة في أنفسهم. وقد استنكر تماما ما قام به الرئيس العراقي صدام حسين مع الدول العربية المجاورة وأعلن على الملأ موقفه من تلك القضية.. وقال بكل صراحة: لن نكون يوما رهن إشارة من الرئيس العراقي صدام حسين.

ورغم أن الشهيد صلاح خلف ورفاقه قد سهروا على رعاية وطنهم وخدموا قضيتهم بكل الطرق حتى أصبحوا من أشهر الشخصيات الأمنية البارزة في منظمة التحرير الفلسطينية.. إلا أنهم في النهاية قد تم اغتيالهم بيد عربية على ارض عربية.. فقد كانت تلك اليد العربية هي يد فلسطينية.. وتلك الأرض العربية هي الأرض التونسية ولم تخسر إسرائيل عدوتهم الأولى والأخيرة والتي كانت تتمنى قتلهم مهما كلفها الأمر، ثمن رصاصة واحدة.. كيف تمت عملية الاغتيال؟ في 14 من شهر يناير عام 1991 اتصل صلاح خلف بصديقه هايل عبدالحميد في تمام الساعة الثانية عشرة ليلا يخبره بأن الرئيس ياسر عرفات سيصل على طائرته الخاصة إلى تونس قادما من العاصمة العراقية بغداد في تمام الساعة الواحدة صباحا.. وعليه إبلاغ أعضاء القيادة الفلسطينية للذهاب إلى المطار من اجل استقبال سيادة الرئيس قبل نزوله من طائرته بـ 20 دقيقة على الأقل. وطلب أبوالهول من صلاح خلف أن يأتي إليه في منزله ثم يذهبان إلى المطار لاستقبال الرئيس معا في سيارة واحدة.. فوافق صلاح خلف وحضر إلى منزل هايل عبدالحميد في تمام الساعة الثانية عشرة والربع ليلا.. واستقبله أبوالهول في صالون منزله الخاص في الوقت الذي كانوا يستعدون للذهاب إلى المطار لتأمين وحراسة موكب الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. وعندما دقت الساعة تمام الواحدة صباحا.. خرج صلاح خلف وهايل عبدالحميد إلى خارج المنزل واخبرا فخري العمري بسرعة التحرك إلى المطار مع أفراد الحراسة والأمن.

وأصدر فخري العمري أوامره بتجهيز السيارات وركوب أطقم الأمن والمخابرات. وكان صلاح خلف وهايل عبدالحميد يقفان بجانب إحدى السيارات التي اتضح أنها سيارة صلاح خلف وكانا يتحدثان بشأن ذهاب كل واحد منهما إلى المطار في سيارته الخاصة.. ولكن قبل انطلاقهما بلحظات قليلة فتحت النيران على صلاح خلف لتخترق الطلقات النارية جسده وتمزق جميع أعضائه.. فصرخ هايل عبدالحميد بأعلى صوته في أفراد الحراسة طالبا منهم محاولة إسعاف صلاح خلف وانضم إليهم فخري العمري مسرعا ليحاول إسعافه ونقله لأحد المستشفيات ولكن هايل عبدالحميد وفخري العمري تلقيا دفعة طلقات نارية من مدفع رشاش اصابتهما بجروح وإصابات قاتلة.. وعلى الفور تم نقلهما إلى اقرب مستشفى لإنقاذ حياتهما.. ولكنهما ماتا وهما في الطريق إلى المستشفى.

رحل جسداً وبقي فكراً ونهجاً

بعملية الاغتيال الجبانة هذه استطاعت أيدي الغدر أن تذهب جسد الشهيد القائد صلاح خلف بعيدا عنا إلى عالم آخر، لكنها لم تستطع أن تذهب فكره ونهجه الثوري من عقول أبناء فتح وأبناء فلسطين الأوفياء، الذين سيستمرون في السير على نهجك وخطاك الثورية يا أبا إياد.

تمر الذكرى العشرون لرحيلك ونحن بأمسّ الحاجة لحنكتك السياسية التي طالما استطاعت أن تنزع فتيل أزمة أو شقاق سواء على المستوى الفلسطيني أو العربي، نستذكرك وساحتنا الفلسطينية منقسمة على نفسها وأنت من جسّد ورفاقك الأطهار معاني الوحدة والوفاق، سيدي كم نحن بحاجة لقادة مثلك، كم نحن بحاجة لحنكتك العسكرية، كم نحن بحاجة لديبلوماسيتك الناجحة، كم نحن بحاجة لعقليتك الأمنية الفريدة.

فلك منا ألف سلام وأنت تخلد في الجنان، لك منا ألف سلام وروحك الطاهرة تحلق في فضاء الوطن، لك منا ألف سلام وأنت تعلمنا في موتك الصلابة والتحدي والعنفوان.

عزيزي القارئ: أترك لفكرك الرصين أن ينطلق في التفكير في قتل القادة الفلسطينيين على مدى اشتعال الثورة الفلسطينية المباركة.

والسؤال: ولم توقف هذا العمد المبرمج لاغتيال قادة حركة فتح اليوم بعد رحيل عرفات؟

ولم لايزال القتل العمد لقادة حركة حماس مفتوحا على أبوابه بعد استشهاد شيخنا أحمد ياسين، رحمه الله، واخوانه الأبطال؟!

انها ملفات يجب ان تفتح مع اتساع الحراك السياسي العربي والفلسطيني الذي نأمل معه ان يتوحد قادة الحركات السياسية الفلسطينية لنشهد الدولة الفلسطينية التي ستعيد لنا فلسطين السليبة إن شاء الله ان حسنت النوايا والتوجهات وتم التوحد بعد طول فرقة أضرت بقضية فلسطين والشعب الفلسطيني الصابر على هذا الانقسام الحاد بين فصائل الثورة ولقاء مصر للمصالحة مبادرة خير ان شاء الله.

تصريح جدة خطير

من ابرز تصريحات صلاح خلف ما ذكره في وثيقة الاستقلال والسياج السياسي الذي يحمي الانتفاضة التي طرحها على الجالية الفلسطينية في جدة عام 1989: ان اغتيال اي قائد سيخلق فراغا في الساحة، ولكن هذا غير مهم، فقد اغتالوا ابوجهاد ولم يوقفوا المسيرة، صحيح اننا خسرنا قائدا كبيرا وأخا عزيزا، لكن في النهاية الانتفاضة مستمرة والثورة مستمرة، فميزة جيلنا عن اجيال الثورات الماضية ان لنا كادرا اذا انتهيت انا يأتي من يواصل بعدي، واذا انتهى هو يأتي من بعده وهذا هو الصحيح فالطريق طويل ولذلك اقول لكم ان الواحد منا ينتظر دوره في الشهادة ولا ينتظر حتى يصبح وزيرا ولا ان يصبح زعيما.

انظروا وتمعنوا في عباراته وإشاراته لتعرفوا انه مستهدف وانه قد يغتال في أي لحظة وهو غير طامح الى زعامة زائفة، رحمك الله ابو إياد فقد كنت متوقعا لحظة استشهادك بيد الاقرباء قبل الأعداء.

رأيه في حركة «حماس»

سئل في أحد لقاءاته بالصحافة عن بقاء «حماس» خارج بنية القيادة الموحدة هل هذا يعكس رغبة في «فتح» او ناجم عن الطبيعة الخاصة لـ «حماس» ذاتها وظروفها؟ فقال: أبو إياد: كل عمل لمصلحة «م.ت.ف» وكل مشاركة في اي فصيل في هذا العمل تعد امرا طبيعيا اريد ان اشير الى نقطة: توجد بين «فتح» و«حماس» خلافات، وصلت في بعض الأحيان الى حدود لا يمكن الحديث عنها، وقد وقعت احتكاكات، وخصوصا فى منطقة غزة، غير اننا فى «فتح» والفصائل الاخرى نشجع اللقاءات بين القيادة الموحدة وحماس ولانزال نعمل نحن والآخرون لكي تنضم حماس الى هذه القيادة لأن دخولها في هذه القيادة يحبط مطامع اسرائيل في إحداث التفرقة غير ان لإسرائيل مخططا آخر حيث تحاول الا تكون «حماس» ضمن القيادة الموحدة وهناك عناصر في حماس يحصلون على السلاح، واسرائيل تعرف هذا وتعرف من اين يصل وهناك جهات عربية لا اريد ان احددها، تساعد في نقل هذا السلاح، والهدف هو تعميق الخلافات وخلق اجواء غير مواتية للانتفاضة لقد قلت هذا منذ اشهر عديدة ونبهت الى مخاطره وقدمت معلومات دقيقة بهذا الشأن وبينت مصدرها، جرت اتصالات كثيرة مع حماس وقد شعروا بخطورة الأمر، هناك من يستغل عناصر من حماس لدفعهم إلى استخدام السلاح بطريقة خاطئة، وانا اعتقد ان حماس لا يمكن ان تقع في هذا الخطأ التاريخي، ولانزال حريصين على ان تتمثل حماس في القيادة الموحدة فليس الآن هو وقت التمايز، سيصبح التمايز مباحا بعد ذهاب الاحتلال ولابد ان تكون هناك انتخابات ديموقراطية، ومن حق «حماس» تقديم نفسها في الانتخابات، وبرأيي ان على «حماس» ان تتخلى عن رغبتها في التمايز الآن، قد يجوز ان تتميز ببيانات سياسية اما في مجال نشاط المقاومة اليومي ضد الاحتلال فلا مجال إلا لتكاتف الجميع في جبهة موحدة لمواجهة العدو الإسرائيلي.

قوافل الشهداء والكيان الإسرائيلي

منذ فجر الثورة الفلسطينية على يد الحاج امين الحسيني والقسام وغيرهما ممن ضحوا بأرواحهم في سبيل تحرير فلسطين والقدس الشريف من براثن اليهود، والشعب الفلسطيني يقدم الشهداء تلو الشهداء فالعدو الاسرائيلي لا يفرق بين قادة فتح الذين ذكروا في الملف وقادة حماس الذين استشهدوا في بطولة وتضحية وشهادة وفي مقدمتهم شيخنا احمد ياسين، د.عبدالعزيز الرنتيسى، يحيى عياش، محيى الدين الشريف، صلاح شحادة، محمود ابو هنود، د.فتحي الشقاقي، د.ابراهيم المقادمة، واسماعيل ابو شنب، رحمهم الله.

وهكذا شعب دعائمه الجماجم والدم سيصل الى مبتغاه وتحقيق حلمه فالبطولة والشجاعة عمل رائع وعظيم ومكلف لأن الشجاع لا يرهبه الموت ولان المسلم الموحد يعلم تماما ان الاعمار بيد الله وان الجبن لا يؤخر عمرا ولا يدفع بلاء وانما الذي يحقق النصر هو الصبر والمصابرة والتقوى.

رحم الله شهداء الكويت الذين سقوا بدمائهم ارضهم واخوانهم الفلسطينيين الذين دافعوا عن شعبهم وبلدهم السليب وهؤلاء الشموس والاقمار البشرية عند خالقها، استشهدوا في سبيل قضية واحدة هى الدفاع عن الارض والعرض امام عدو غاصب فحصلوا على احترام الجميع والتاريخ.

حارس الرئيس التونسي: «بن علي» متورط باغتيال أبو إياد ورفاقه

عبدالرحمن سوقير الحارس الشخصي للرئيس التونسي المخلوع زين العابدين

كشف الحارس الشخصي السابق للرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي تورطه باغتيال القادة الفلسطينيين صلاح خلف ابو اياد وهايل عبدالحميد ابوالهول، وفخري العمري ابو محمد، بعد عملية تنسيق محكمة مع جهاز الموساد الاسرائيلي بمشاركة الحارس حمزة ابو زيد. وذكر الحارس الشخصى «عبدالرحمن بن محمد بن سوقير» في تصوير فيديو انه اكتشف ارتباط الرئيس زين العابدين بن علي بعلاقات

وثيقة بالموساد الاسرائيلي، بعدما تمكن «بن سوقير» من الامساك بحمزة ابو زيد احد حراس زين العابدين الذي قام بتصفية القادة الفلسطينيين الثلاثة.
واشار «بن سوقير» الى ان زين العابدين طلب قتل حمزة ابو زيد كي لا ينكشف امره، ولكي تطوى صفحة اغتيال القادة الفلسطينيين دون اي تداعيات حيث تبين له لاحقا «كما يقول بن سوقير ان زين العابدين على علاقة بجهاز الموساد الاسرائيلي وان مطالبته التخلص من القادة الفلسطينيين هدفت إلى عدم الكشف عن تلك العلاقة وانهاء القضية عبر دفن سرها مع منفذ عملية الاغتيال حمزة ابو زيد.«
علاقة حمزة أبوزيد وأبو نضال
معلوم أن القاتل حمزة أبوزيد من اتباع (صبري البنا) الملقب بـ «أبو نضال» الذي يقود جماعة منشقة عن حركة فتح، وان زرعه تم من زمن بعيد ليكون بالقرب من قادة جهاز المخابرات الفلسطينية (ابوياد . ابوالهول . العمري). يجب التوقف عند العملية التي تمت لأن القاتل الحقيقي هو المقبور صدام حسين ومن سانده في احتلال الكويت من القادة الفلسطينيين، وتصريحات القائد صلاح خلف محفوظة في إذاعة لندن ومونت كارلو بادانته للاحتلال العراقي وقوله الله وحده يعلم بالمصيبة التي تحل بالأمة العربية وكم أنا متشائم من هذا الليل الزاحف نحونا.
رواية المقتل
طلب القاتل حمزة أبوزيد من زوجة أبو الهول كأسا من الماء ليشربه، واشارت له الى الثلاجة التي لا تعمل وتطوع لاصلاحها، وفي المطبخ جهز سلاحه استعدادا لما هو مقبل عليه، ودخل الغرفة واطلق النار على رأس ابو اياد ثم فخري العمري ثم ابو الهول الذي توفي لاحقا في طريقه للمستشفى وسط ذهول ابي الهول من صدمة الخيانة من المجرم حمزة ابو زيد حارسه الشخصي.
دعوة
* يجب أن يُقرأ كل ما كتبه د.سمير محمود قديح حول ما وراء عملية اغتيال الشهيد القائد صلاح خلف وهايل عبدالحميد (ابو الهول) وفخري العمري . رحمهم الله.
حمزة أبو زيد
شاب فلسطيني له ماض مضطرب، عنوانه معسكر اللاجئين خلف مدرسة البنات محل مصطفى سليم خلف في الأردن، ولد في معسكر الوحدات عام 1963 موطنه الأصلى من عرب فلسطين 1948 الذين نزحوا من يافا ثم عبروا الأردن واستقروا فى سورية، أرسل في عام 1982 الى يوغسلافيا وتدرب على استعمال الاسلحة وعاد الى سورية ثم ارسل الى باكستان 1983 كحارس أمن وفي عام 1984 ارسل الى بلغاريا كحارس أمن وفي 1985 ارسل الى قبرص وأعيد إلى تونس بعد تنكر في زي أبونضال وصبري البنام واطلق سراحه في عام 1986 ثم غادر إلى مانيلا عام 1988 وفي عام 1990 ذهب الى ليبيا ليحضر تأبين أبوجهاد وكان كثير التردد على العراق في ايامه الاخيرة.
مجرم مدرب

عندما قتل برصاصة الإثم أبو إياد وابو الهول والعمري صرخ: قتل أبو إياد.. قتل أبو إياد الحقوا القاتل، اقبضوا عليه، ثم جرى واطلق النار من مدفعه الرشاش في اتجاه منزل يسكنه يهودي، ليبعد التهمة عن نفسه وينسبها للمواطن التونسي اليهودي؟
سؤال
ليت حركة فتح تقوم بفتح ملف الاغتيال من جديد وتطرح السؤال: لماذا أعدم «حمزة أبوزيد» في البحر؟!
حوار مع أبو أياد
اجرى الاستاذ يحيى حمزة مدير تحرير «الأنباء» الاسبق حديثا صحافيا مع القائد ابواياد نشر في 28 ديسمبر 1985 حول العديد من القضايا التي تشهدها الساحة الفلسطينية، ولقي الحوار جدلا واسعا في الصحافة المحلية والخارجية.

نقد الثورة في فكر القائد الرمز الشهيد صلاح خلف أبو أياد[13]

خالد غنام

أنا لا أحمل مسدساً بل أحمل فكراً ثورياً قادراً على إقناع عدوي أنني حق وحقيقة ومن يقف بوجه الحق حتماً سيموت جاهلاً أنه أخطأ، أنتم رُسُل الثورة، أصحاب الفكر الحر تحرروا من الانتقام العصبي فقضيتنا أكبر من مجرد ثأر، نحن نعمل من أجل أن نعيش بأمان ومستعدون للموت دفاعاً عن حقنا بالأمان هنا وفي كل مكان وحقنا أن نعود إلى يافا وكل فلسطين. (كلمات الشهيد صلاح خلف لنا – أطفال الجالية الفلسطينية في الكويت – في مقبرة الصليبيخات يوم تشييع جثمان الشهيد البطل علي ياسين عام 1978/6/15، رداً على طفلة سألته لماذا لا تحمل مسدسا؟)

عندما أُقلّب ما كُتب عن الأخ أبو أياد أجده أخباري عن وقائع وأخبار الثورة، وهو بذلك يكون مشابهاً بل مطابقاً لرأي القيادة الفلسطينية التي تدافع عن رأي الحركة، إلا أنني أضيف جديداً لكل من لم يعرف الأخ أبو إياد أنه مفكر مبدع وجريء بطروحاته. وهو رسول الفكر الثوري لعقول أشبال وكوادر الثورة الفلسطينية، فلن تجد له أي خطاب أو حوار مناقض لأفكار الثورة، بل أنه يرفض المواربة بالحديث فهو الصريح الواضح والمباشر الفاضح.

في الكويت خلال عقد الثمانينات كان هناك قيادات فلسطينية كثيرة وأسماء كبيرة رسمت شكل الثقافة والفكر، وكان التواصل المباشر يتيح فرصة نقل المعلومة بسلاسة الاتصال المباشر ومتعة النقاش مع أصحاب القرار، كما كان هناك ندوات تثقيفية للأشبال يقدمها عادة كوادر الثورة بشكل أقرب للحصص المدرسية، وكان الأخ أبو أياد دائم الحضور والمتابعة لما يقدم بهذه الندوات بل أنه كان يحاضر بنا مرات كثيرة، ولعلي أذكر الكثير من أحاديثه لكن يصعب تذكر زمانها، بالدقة المطلوبة، إلا أن هناك ندوة، غيّرت الكثير من قناعاتي أعتز بها بشكل استثنائي لا لِكَمْ المعلومات التي تعلمتها فحسب، بل لأنها كانت أول حلقة نقاش عن نقد الثورة والممارسات الخاطئة داخل الثورة .

ضمن مداخلات إحدى الندوات في عام 1986 بالكويت اشتد النقاش عن انحراف الثورة وهل هي ثورة وطنية أم عربية أم ثورية؟ وكان الأخ أبو أياد مُصراً على أنها ثورة شعبية لها امتداد عربي وشرح لنا أهمية التفريق بين المفهوم الاشتراكي لكلمة شعبية والمفهوم الثوري! قال لنا: هل الثورة هي تغيير واقع فاسد؟ إذن كل العالم بحاجة لثورة، فكل الشعوب تطمح لتغيير، لكن هناك أولويات بالطرح والتنفيذ، فلا يمكن

[13] بقلم- خالد ابو عدنان- خاص مجلة القدس العدد السنوي 322، عام 2016م.

أن نقول أننا لن نتعلم أو نتزوج أو نعمل مشاريع حتى تتحرر فلسطين! هذا الطرح مُخالف لفكر الشعب الفلسطيني، نحن نعيش الثورة ونُدخلها معنا في كل مناحي حياتنا؟ وقد نتفق مع مفهوم ماو تسي تونغ عن الحرب الشعبية أكثر من التفرغ العسكري وأسلوب تشي جيفارا عن حرب العصابات حتى النصر، لذا فإن حركة فتح جمعت ما هو مناسب لنا أي من كل بستان وردة لنصنع بستاناً فلسطينياً خاصاً بنا.
أما أن ثورتنا شعبية فهي بالتأكيد شعبية مع احترام القيم الاجتماعية للشعب الفلسطيني، إن هجوم بعضكم على العائلات الكبيرة في فلسطين ليس كله صحيحاً، نعم نحن نؤمن أن الشعب هو صاحب القرار في الثورة وإن مؤسسي الثورة هم بالغالب أبناء عائلات ليس لها تاريخ سياسي، دون أن تكون نظرتكم سوداوية لنضال شعبنا قبل انطلاقة الثورة، فهم ناضلوا ضمن مفاهيم عصرهم، التي وضعها العثمانيون ومنح الباشاوات سلطة تنفيذية على نواحي نفوذهم، ثم جاء الاستعمار البريطاني ليُرسخ مفهوم طبقة الأعيان في فلسطين، رغم شكلية الانتخابات في عهد الانتداب البريطاني إلا أنها تُشكل بدايات النهج الديموقراطي في المجتمع الفلسطيني، والديموقراطية تُفرز المجتمع إلى قسم متعاون يُسمى الأنصار وقسم مُتصارع يُسمى المعارضة، فالصراع لا يعني عداوة وحتى عندما نطرح كلمة الصراع العربي الصهيوني لا أتوقع أن هذه الجملة من الناحية الفلسفية سليمة، لأنها تعني شيئاً صعب القبول به ثوريا، أي أننا ممكن أن نُغير قناعاتنا ونقتنع بالفكر الصهيوني! اننا ضد المشروع الصهيوني ونحن عندما ندعو لعملية سلمية أساسها إلغاء المشروع الصهيوني وقبول أن يكون هناك علاقة صراع وتعاون داخل علاقة تجمعنا بالإسرائيليين مستقبلاً إي أننا نرفض المشروع الصهيوني دون أن نُلغي حق الإسرائيليين كشعب له حق العيش الآمن بيننا.
وهنا لُب القضية مع من يُحاول إلغاء الثورة الفلسطينية من الفلسطينيين أو العرب أو غيرهم، أنهم يخرجون من المفهوم الديموقراطي الذي يؤمن بالتعددية الفكرية وأن الثورة كما تطلب حلفاء متعاونين لها إلا أنها لا ترفض حلفاء بحالة صراع مع حركة فتح لكنهم يؤمنون بأهداف الثورة أي تحرير فلسطين كأولوية في عملهم، فقد ترى من يقول أننا نؤمن بتحرير فلسطين ولكن نريد تطهير مخيماتنا من الفتحاوية المتخاذلين أو أن التحرير لا يتم إلا بالتحالف مع هذا النظام العربي أو تلك المنظومة الدولية؟ المعضلة هنا في فهم الديموقراطية وكيف نُحوّل العلاقة من صراع إلى تعاون في نفس الجبهة؟ وهذا ما أقوله أن الدفاع عن الفلسطينيين ضد أي عدوان صهيوني هو واجب أساسي من واجبات الثورة بغض النظر إذا كانت العلاقة معهم على أساس صراع أو تعاون. أما إذا كان هناك تناقض داخلي يرفض شكل الديموقراطية الفلسطينية ويحرف مسار البندقية باتجاه شعبنا فإننا لا نسمح بذلك، وأقول أن مناقشات وحوارات عديدة مع المنشقين وغيرهم كان هدفها الأساسي الاتفاق على شكل العلاقة بيننا ضمن مفهوم الديموقراطية الفلسطينية.

والحقيقة أن الثورة ترفض الدخول في صراع مُسلح مع حلفائها وترفض النهج الثوري التطهيري إيماناً منها بأن مرحلة تحرير الأرض المغتصبة هي هدف الثورة أي أننا لسنا ماركسيين في فهم التناقض بين الفكر الرئيسي وهو إلغاء المشروع الصهيوني والثانوي، سحق المعارضة الداخلية، فنحن أول من طرح شعار الوحدة الوطنية بعد فشلنا بأن نجمع كل الطلائع الثورية داخل الأطر الفتحاوية، أي أننا نؤمن أن كل من يُساهم في إلغاء المشروع الصهيوني هو جزء من الثورة ويدخل ضمن مفهوم الديموقراطية الفلسطينية.

نحن ثورة وطنية بما تُحدده مفاهيم حركات التحرر أي أن داخل الحركة لا يوجد صراع على شكل الدولة بعد تحريرها من الاحتلال بل إن حركة فتح المفروض أنها ستُحَل وتفتت بعد تحرير الأرض، لأن أبناء الثورة هم من شتى المدارس الفكرية إلا أنهم ملتزمون بالعمل من أجل تحرير الأرض أولاً، أما شكل الدولة وأطرها القانونية يعتبر من الترف الأدبي في الوقت الحالي فمازال أمامنا طريق طويل حتى نحقق هدف الثورة.

أما قضية ما هو الوطن، فهو كل ما له علاقة بفلسطين من تاريخ وجغرافيا وثقافة وشعب، عدونا يحاول سرقت تاريخنا وثقافتنا كما سرق أرضنا، فجاءت ثورتنا ثقافية في بدايتها رافضة أن تحتل هزيمة النكبة عقول الشباب الفلسطيني، جاء فكر الثورة لينير الطريق نحو التعايش السلمي بين الأفكار والأديان، عندما تبحثون عن وطن متحضر لابد أن تتحضروا أولاً، فكيف ممكن أن تقبل بشراكة الإسرائيليين في الوطن ضمن صيغ محددة ومن جانب آخر ترفض تيار سياسي فلسطيني لمجرد أنك تختلف معه بالرأي، إن أساس الديموقراطية يعني قبول التعددية السياسية وحرية الرأي وقد نتحاور بشكل هادئ أحياناً وبالبارود أحياناً أخرى دون أن نُلغي أحقية أي منّا أنه فلسطيني وله الحق أن يُناضل من أجل تحرير الوطن.

بالنسبة للمغالاة بفهم ثورة الثورية وهي أن الفلسطيني المناضل يستطيع أن يناضل مع ثورات أخرى فإن انتصارها هو السبيل لتحرير فلسطين، أولاً الكلمة غريبة والأصل فيها اليسار المتطرف مثل الألوية الحمراء وفكر التنظيم الدولي، بغض النظر على هذه التسمية لكنها تعيدنا لبدايات النقاش حول جدلية التحرير والوحدة وهل الوحدة العربية هي طريق تحرير فلسطين أم العكس هو صحيح؟ ضمن حواریاتنا مع القوميين العرب والبعثيين، وحديثاً سمعنا أن تحرير فلسطين لابد أن يمُر عبر كابول كما طرحها عبدالله عزام ، وهو شيخ دين فلسطيني تدرب في معسكرات حركة فتح ضمن معسكرات أقامتها الحركة للمشايخ، وقبل أن نخوض في شرح هذه الفكرة لابد أن نعرف أن البداية تكون حيث تقف أنت بدون أي أنانية بل بتحمل المسؤولية الشخصية فلا يمكن أن يكون بيتك تحت القصف الصهيوني وتقول أنني أريد تحرير كابول حتى يسلم بيتي! وأنا أتحدث عن كابول في أفغانستان وليس قرية كابول في شمال فلسطين، وهي ليست المصادفة الوحيدة فكل شيء في فلسطين يشبه محيطه العربي والإسلامي من أسماء جغرافية وأسمائنا نحن وأيضا رائحة أكلنا ولون ملابسنا

تؤكد لنا أننا جزء من هذه الأمة العربية والاسلامية، ومن هنا فكما لنا حقوق النصرة والدعم التي نطالب بها الأمة العربية لتقديمها لفلسطين المغتصبة. علينا واجبات إتجاهها وهي ضرورة من ضرورات استمرار الثورة الفلسطينية، فلا يمكن أن نقول إن حدثاً مثل الحرب العراقية الإيرانية لا يهمنا وليس من اختصاص الثورة، بل إننا أكثر المعنيين بهذه المواضيع لأننا نريد تسخير طاقات الأمة لمعركة تحرير فلسطين ونعتبر أن المستفيد الطبيعي من حالة الانقسام العربي هو المشروع الصهيوني، فلا يوجد حياد في الثورة بل هي بحاجة لكل الجياد لتصطف موحدة ضد الخطر الصهيوني، وإن من يروّج لفكرة تقديم حروب الأخوة على مجابهة المشروع الصهيوني يرتكب جريمة بحق الأمة العربية.

سمعت أن هناك متطوعين فلسطينيين خرجوا للدفاع عن العراق بحربه ضد إيران، كما سمعت أن آخرين ذهبوا إلى أفغانستان، وأقول لكم أنني لا أستغرب هذا، فالشباب الفلسطيني مفطور على الثورة ومحاربة القوى الظلامية، وأذكر كيف ذهب الشباب الفلسطيني لليمن مع القوميين العرب في فترة الخمسينيات وسوف يستمر بعض الشباب الفلسطيني بالانبهار بثورات وحركات عربية وإسلامية لأنه يبحث عن حل للقضية الفلسطينية، إذن إن جزءاً مهماً من مشاركتهم في نضالهم القومي أو الإسلامي يأتي من باب فشل الثورة الفلسطينية وانعدام قدرتها على فتح جبهة مع العدو الصهيوني، ولم أسمع أن فلسطينياً يقول أن تحرير فلسطين ليست أولوية لكنه يلوم الوضع العربي الرافض لفتح الحدود مع العدو الصهيوني! لكنني أتحدى كل من يروّج هذه الأكاذيب أن يكون فعلاً حاول أن يتطوع للعمل الفدائي الفلسطيني فلم يستطع أو أن التنظيمات الثورية الفلسطينية منعته، أما إذا كانوا لا يؤمنوا في فكر هذه التنظيمات فلا أتوقع أنهم غير قادرين على تشكيل تنظيمات جديدة يكون لها أسلوب مغاير لنا، وأتحدى أن يكون هناك مجرد أفكار ونقاشات بهذا الخصوص، بل إن البعض لا يعرف أي شيء عن الثورة في فلسطين ويعمل مجاهداً في أفغانستان! إن من يذهب لجبهة القتال في أي مكان بالعالم يضع احتمال الموت شهيداً قبل فوزه منتصراً، ولكم أن تحددوا أي المعارك تستحق أن تموت من أجلها فلسطين هي قلب المعركة مع الأعداء مهما تلون شكل هؤلاء الأعداء تبقى فلسطين في القلب، فالصراع الرأسمالي الاشتراكي بين الأنظمة العربية يكون تحرير فلسطين العامل المشترك بينهما، وفي النظر للتنظيمات الإسلامية يكون تحرير المسجد الأقصى أهم بكثير من تحرير أفغانستان، ولك أن تعدد كل الأفكار وتدرس كل التنظيمات السياسية والمناهج الفكرية في المنطقة العربية وستجد أن تحرير فلسطين هو أكثر العوامل المشتركة بين هذا الكم المختلف المتناحر على السلطة أكثر من استعداده للتطبيق العملي لفكره السياسي أو منهاجه في توعية المجتمع، ومن هنا نتفق مع الجميع بضرورة بقاء فلسطين عاملاً مشتركاً، ونحن لواء هذا المشترك نحن الثورة الفلسطينية التي لا يختلف على ضرورة استمرارها أي تنظيم سياسي عربي أو حتى أنظمة حكم، لكنهم يريدوننا أن نكون تحت وصايتهم ونضع فلسطين جانباً حتى

يحققوا هم أهدافهم ثم يحرروا لنا فلسطين! وهذا ما نرفضه لأنه تغيير لهدف الثورة، وهنا تتوقف الديموقراطية (لعبة تعاون أو صراع) لأنهم غيّروا المعركة وغيّروا أهداف النضال، إن الدفاع عن القرار الفلسطيني المستقل يعني الدفاع على ضرورة استمرار نضالنا ضد المشروع الصهيوني، هذا ما تقوم به الثورة الفلسطينية ولنا أنصارنا في الأمة العربية والإسلامية وأحرار العالم، أما الأنظمة العربية فهي تتحالف معنا بمراحل معينة وتعادينا بمراحل أخرى وفقاً لأهدافها الضيقة الهادفة لترسيخ حكمهم في بلادهم دون أن يكونوا حلفاء فاعلين لنا قادرين على تسهيل مهمة الثورة وتحقيق هدفها.

أما شكل العلاقة بين الثورة الفلسطينية وحركات التحرر في الوطن العربي والعالم فهي عميقة الجذور وكبيرة الأهداف، ونفتخر أن أول مكتب لحركة فتح كان في قلب انتصار حركة التحرر في الجزائر، وأن أكثر تجربة ثورية عربية تعلمنا منها كانت الثورة الجزائرية. إن شكل العلاقة بين الثورة الفلسطينية وباقي حركات التحرر هي علاقة متوازنة فنحن نقدم تجربتنا وعلاقاتنا ونستفيد من تجربتهم وعلاقاتهم ولا يوجد وصاية علينا لا من كبرى ولا صُغرى، وفي نفس الوقت نرفض أن نكون أوصياء على أي تنظيم سياسي، بل هي علاقات تفاعل الأفكار وتشابك العلاقات وتبادل الخبرات مع احترام لخصوصية وظرف نضالنا الفلسطيني.

وفي إحدى المرات بدأ ندوته غاضباً: أستغرب ممن يتوقعون ماذا سأقول قبل أن أنطقه، بل يغضبون إذا لم أقل ما توقعوا أن أقول! هذه قضية خطيرة قريبة من التطيّر الخرافي وحكم مسبق أرفضه، ليس للحكم عليْ شخصياً بل على أي إنسان، فهذا حكم جائر وتعدٍّ على علم الغيب أيضاً، أفضل أن ترتبوا أفكاركم واستفساراتكم كي يكون حوارنا هادفاً، فكما أنا مسؤول عن رأيي أنتم مسؤولون عن رأيكم، وحوارنا يأتي لأننا بنفس الخندق في معركة التحرير. فهمنا لمبدأ النقد يبقى قاصراً إذا لم نطرح الحلول ونشارك في تطبيقها، فلا مثالية حالمة ولا أفلاطونية مستبدة، بل ثورة تتحرك أفكارها وفقاً لتجربتها الخاصة، فليس كل شيء منطقي في ثورة ما، يصلح أن يكون مرشدنا في فلسطين، كما أن الزمان لا يعود للوراء فلا يمكن أن تطرحوا عودتنا لمرحلة ثورية انتهت، بل المطلوب التفكير العملي بكيفية إنجاح مسيرة الثورة في المرحلة التي نعيشها. بين قضية تقييم المرحلة السابقة ووضع خطة للمرحلة القادمة هناك مساحة كبيرة نُسميها عملنا الآتي من فعاليات ونشاطات وقرارات وكل ما ننجزه بالوقت الحاضر، ولكم أقول إن فهمنا للحاضر ضروري فهو امتداد للماضي وبداية المستقبل، فهو الزمن المتحرك الذي يحتاج للنقد.

وهذا ما حدث في مؤتمر فتح الذي عقد في أكتوبر 1971 من تعديلات أساسية في النظام الداخلي وتفعيل حقيقي للديموقراطية المركزية، وقبل أن أشرحها أقول لكم إن كلمة الشهيد أبوعلي أياد الشهيرة: نموت واقفين ولن نركع.. كان لها انبعاث فكري داخل الحركة لإزاحة نضالنا المسلح من قتالنا للعدو الصهيوني، ليتوسع ويشمل المتآمرين والخونة في صفوف حلفائنا العرب، فقبل المؤتمر كثرت التصرفات الفردية

المخالفة لرأي القيادة، بل أن البعض أقام تكتلات داخل الحركة لتصفية الحساب مع النظام الأردني والانتقام لشهدائنا، بينما كانت القيادة تسعى لوضع حد للأزمة مع النظام الأردني ومنع القتل على الهوية الذي طال أي فلسطيني معارض مهما كان انتماؤه، وإن يكون أول من خرج عن رأي القيادة الجماعي هو عضو لجنة مركزية وتكون كلمته هي البارود الذي أشعل الغضب العارم في صفوف أبناء الحركة ضاربين بعرض الحائط قواعد الانضباط بقرارات اللجنة المركزية جعل هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات التي أثرت في طريقة تفكيري وأعادتنا لأفكار البدايات بين أن نصنع حركة قوية واضحة تحت اسم فتح، أو مجرد محاولة جس النبض عن طريق خلق مجموعة صغيرة تحت مسمى العاصفة. لن أقول أن منظمة أيلول الأسود مثل العاصفة بل هي السبب الحقيقي في عدم حدوث انشاقاقات كبيرة بعد أحداث أيلول في الأردن فهي مَن حصّنَ الفكر الفتحاوي من الانجرار عن هدفها الرئيس وهو مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين، أما أي قضية أخرى فهي ثانوية بل أحياناً ممكن تأجيلها أو حتى نسيانها.

أن نمارس الديموقراطية المركزية في حركة ثورية مشتتة القواعد يعني أننا اخترنا الأصعب، وحقيقة التزام الأقلية برأي الأغلبية هو أساس أي تجمع يؤمن بالديموقراطية، وما اختلف فيه مع البعض هو: أن لا يدافع عن رأي الحركة الناتج عن التصويت، فبعد التصويت لا يوجد رأي شخصي ولا يوجد فكرة انني كنت ضد القرار لكنهم فازوا بالتصويت، هذا ليس كلاما سهلا بل هو جريمة بحق انتمائنا لحركة فتح، فبعد التصويت تنتهي كل النقاشات وهناك قرار واحد للحركة لابد الدفاع عنه.

أما عبارة "أنا ضد قرار الحركة الذي نجح بالتصويت لكنني ابن فتح " فهذا مرض الأنا القاتل لروح الثورة داخلنا، فلنتحرر من جبروت الفردية فهي مهلكة، فالأنا لا تحرر فلسطين بل نحن معاً وسوياً، فالثورة تجمع الأفكار. فكرة منك، ومن الآخرين أفكار، وقد لا تكون صاحب فكرة ناجحة بالتصويت، دون أن ينتقص من أهمية رأيك وقدرتك على صياغة قرار وهي ليست مهارة الاقناع، بل هي حوارات تتداخل لترسم شكل الأفكار.

كم مرة سمعت أن التصويت في مؤتمراتنا شكلي يخضع لقانون شد الحبل أو صوتوا يا غنم؟ وكأن أبناء حركة فتح مكممة أفواههم ولا يملكون إلا أن ينتظروا حتى يقف من يصرف عليهم من القيادات ليدعموا فكرته مهما كانت، وأن هذه القيادات تربط أيادي أتباعها وترفعها كيفما تريد في تصويت يصفه البعض بمركزية لا يمت للديموقراطية بشيء! أقول لكل من يفكر بهذا الأسلوب التافه. إن المؤتمرات في حركة فتح هي ختام الممارسة الديموقراطية التي تبدأ بالاجتماعات الدورية والممارسات اليومية وإتمام المهام والتكاليف، ولهم أقول أن صناعة القرار تبدأ هناك بالاجتماعات الدورية للأطر القاعدية فهي التي تبلور التجدد بالفكر الحركي وتبني لبنات الأساس لأي قرار حركي، أما من يحضر المؤتمرات فهم يحملون معهم أفكار من انتخبهم لتمثيلهم لا مجرد رأيهم الشخصي، ولا نقلل من أهمية المشاورات

والمداولات قبل المؤتمرات أو في كواليس المؤتمرات فهي حالة صحية لتقريب وجهات النظر واختصار وقت المناقشات داخل المؤتمرات، دون أن أقلل من حجم الممارسات الخاطئة التي تحدث أحياناً من القيادات أو القواعد، ومنهاجنا في علاجها ينتهي بالمحاكمة الثورية وتفعيل باب العقوبات في النظام الداخلي للحركة، لكنها لا تبدأ حادة بهذا الشكل القطعي، بل في فهمنا أن تصويب المسار امر ممكن، وأننا نتعلم من تجربتنا، وأن الانسان يتجدد فكره ويتطور أسلوب حواره ويبتدع مسلكية ثورية إذا تعمق بفهم معنى النقد والنقد الذاتي فلا ثورة بدون نقد.

مع صلاح خلف طرتُ فرحًا.

بكر أبوبكر

احتفظنا بذكريات جميلة نابضة، وسنوات أثيرة وقريبة على النفس من العلاقات الجميلة التي ربطتنا بالقيادات الفلسطينية الفتحوية، وغيرها في إطار الثورة الفلسطينية، ومنها لأصدقاء في الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والفلسطينية والعربية، ورغم الصراع ما كان لهذه العلاقات أن تكون كذلك جميلة ونابضة لولا توفر عديد الصفات الجاذبة في شخوص هؤلاء من جهة، وفي حرارة اعتناقهم للفكرة الصلبة، وحرية انطلاقهم نحو المستقبل، وحيوية حركتهم النابضة بالحياة وقدراتهم الذاتية حيث تمازجت الفكرة العظيمة مع أجساد ليوث لا تهدأ ولا تنام، وعقول لطالما ضجّت بالأفكار الخلّاقة، ومع نفوس مطمئنة آثرت الإقدام على السلامة الشخصية وآثرت حمل الأعباء على الاسترخاء بين أحضان الطبيعة أو الحبيب أو المنزل الوثير أو الاحلام...، فطلقوا الدّعة والرخاء والثراء منطلقين نحو الخشونة والرسالية والسمو.

كيف لمهندس يعمل في شركة نفط يترك عمله المريح في بدايات التشكل لدول الخليج وخروجها من براثن الاستعمار البريطاني وينطلق نحو المجهول، وكيف لمهندس آخر يمتلك شركة رابحة أن يجعل من أمواله في خدمة مالم يُلمس، أي لخدمة حلم أو أمل أو هدف تحققه مازال غير واضح الملامح، بل وربما يكون مستحيلًا؟

وكيف لمدرس وكيف لموظف سامٍ، وكيف لكاتب معروف وكيف لشاعر؟ وكلهم من قيادات المقاومة الفلسطينية التي لم تقتنع بحالة التشرد والخذلان وحالة النكوص والأرق وحالة الرضوخ للاستعمار الأشد وطأة في التاريخ الاستعماري الغربي كيف لهم أن يتصدّوا بلا أي دعم مبشّر من دول عربية تحبو نحو الاستقلال!

الأرواح التعبة الباهتة الخَرِبة لا تستطيع أن تشهد ضوء الشمس الا في وقته، وقد لا تراه. بينما الارواح الثائرة النابضة تصنع شمسها وتجعلها تشرق في الوقت الذي تحتاجها فيه.

وهكذا كانت الطاقات الجبارة التي لازمت المؤسسين الأفذاذ من قادة حركة فتح، ومن ساروا على دربهم، فهم لم يكونوا بشخوصهم وإيمانهم الواسع، وأفكارهم وقيمهم وعلاقاتهم وظروف تكونهم إلا مجموعة سامية النفس والأهداف.

قد نكون نحن في تلك الأيام نراهم بمستويات عالية، كملائكة تسير على الأرض، متغاضين عن كل سيئاتهم-حين التفكير المنطقي- وناظرين في أعينهم لنرى ما نريده نحن وليس بالضرورة ما هو كامن.

ننظر في أعينهم في تلك المرحلة نترقب أن تنطلق شرارة من هنا أو شرارة من هناك لتبشرنا بقطع من الليل انزاحت عن صدورنا، ما يقربنا كثيرًا من يوم التحرير حيث يفرح المؤمنون بنصرهم.

نتلمّس خُطاهم فتحملنا عيونُهم المبشرة نحو يوم العودة الأثير حين تكون جموع الثوار وأبطال المقاومة يحتضنون وطنهم فلسطين العربية، الذي اقتلعتهم منه الاستعمارية العالمية والصهيونية الأوربية كمنتسبيها الاستعماريين.
كيف لك أن تعيد تركيب الصورة المتكاملة بعد أن بعثرت الأيام قطعها بين الأحداث والأجداث ومسافات الطريق؟
وكيف لك أن تستعيد البريق والجميل واللطيف من مساحات حلم سرت وراءة طويلًا كهدف مع أشخاص ذابوا في قضيتهم وشربوا من كأس فلسطين حتى الثمالة؟
اليوم بكينا وتشوقنا واسترجعنا من المخزون أحلاه رغم مرارة السنين، وذلك إثر خبر وفاة الأخت أم إياد رحمها الله، زوجه القائد الفذ والصوت الحر والروح الوثابة والشخصية الصلبة والمتواضعة بنفس الوقت صلاح خلف أبوإياد.
أم إياد هي المرأة التي لم نعرفها أو نراها-ونحن طلاب- الا للحيظات في تاريخ الرجل، والتي بلا شك كان لها من الدور العظيم في الحثّ والدعم والتحفيز والرعاية الكثير فهذا من ذاك، فالبيئة الحافزة في البيت والعائلة جزء لا يتجزأ من شخصية القائد (رجلًا كان أم امرأة بالطبع)، وهكذا نظن كانت أختنا أم إياد رحمها الله، ورحم الرجل الكبيرالذي قفز سريعًا الى ذاكرتنا حين قرأنا خبر رحيلها، مرتديًا ثوب الحرير.
أهاجت الذكرى ما في قلوبنا مما اختزناه من لوعة الفقد لهم أجمعين، ولصلاخ خلف "أبوإياد"، في زمن عربي كئيب ومتخاذل، وفي لحظة عسيرة ارتبطت بالقفز الأمريكي بالمظلة الى حضن الأمة العربية حتى ركبتها حتى اليوم.
كان اللقاء الأول لي مع الأخ صلاح خلف "أبوإياد" في ندوة نظمها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في جامعة الكويت، التي كانت تعجّ بالحراكات الطلابية الفلسطينية والكويتية والعربية يمينًا ويسارًا، وكان المطلوب مني أن أقدم الأخ الكبير بصفتي مسؤول اللجنة الثقافية بالاتحاد، ولما كنت خجولًا وخائفا ومتوترًا –دعني أقول مرعوبًا-ما هي طبيعتي السابقة بمواجهة الجمهور، لذا فإن تقديم قيادي من الطراز الأول من شاب يدخل العشرين من عمره كانت تعتبر بالنسبة لي مجازفة وعبء نفسي عظيم! لم استطع أن ابتلعه ولم استطع أن أنام ليلتي تلك وأنا أفكر كيف سأقدمه! ولم يكن المطلوب مني إلا بضعة كلمات، ولكنه أبوإياد!
قمت مع أخي وصديقي حتى اليوم رئيس الاتحاد حينها بالذهاب الى مدرج الجامعة وتدربت معه على التقديم أمام المدرج الجامعي الفارغ، مافهمته لاحقًا تقنية صحيحة للقضاء على رهبة الموضوع والشخوص والمكان، وكلها مما لا يميّزه المتحدث أو الخطيب إلا بكثير من القراءة والدورات. المهم أن القلق والتوتر السابق كان مفيدًا جدًا لي لتحسين العرض والتقديم للرجل العظيم ببضعة دقائق كانت بالنسبة لي كأنها ساعة! وما ان انتهت حتى كان الجبل قد زال عن صدري من جهة.
مَن بالله عليكم سيولي اهتمامًا لطالب يدخل العشرين من عمره أمام قامة مثل قامة صلاح خلف؟ فالعيون بالحقيقة مركّزة على شخص ومخارج الحروف التي سيقولها أبوإياد وليس بكر أبوبكر، ومن هو هذا الثاني الجالس بأدب وخجل وانكماش مخفيًا

توتره قرب الأول أصلًا، ولكن النفس المتوترة تفترض أن العيون ستبتلعها إن لم تتقن المطلوب منها مهما كان صغيرًا، والصغير يكبُر.
أن يزول الجبل عن صدرك المتوتر ثم تأتيك الهدية فهذا شيء كثير!
وهو ما حصل، فطرتُ فرحًا، وترنمت باللحن طربًا في نفسي وأنا جالس بقربه، وما كان هذا الطرب وهذه الهدية إلا من صاحب اليد العطوفة والابوة الحانية من صلاح خلف الذي جاورته على المنصة إذ بمجرد ان انتهيت من كلمتي التقديمية له حتى رَبَت على كتفي وابتسم، وقال لي ما شدّ أزري ورفعني عاليًا، لقد صنع لي جناحين.
وفي ظني اليوم أنه أحس وأدرك حجم توتري فقام بدور المعلم والمدرب والقائد الذي يزودك بالشحنات الايجابية وطاقة السمو.
رحمك الله يا أخت أم إياد، أوجعيتنا بالذكرى ولكنها محببة رغم ذلك!
لقد هاجت الذكرى وانتفضت الأوراق القديمة وصرخ القلم بصوتٍ عال، وتسربت من حقل روحي مشاعر الحب الغامرة والشوق المعتّق للرواد الاوائل. والذي من حديد زردهم قُدّ صلاح خلف، فاسمحي لي في ذكرى وفاتك أن أعيد رسم صور لم تفارقني لأولئك، وله، في الأعالي رحمهم الله ورحمنا معهم مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا.
تتلمذتُ بكل محبة وامتنان على أفكار العمالقة أمثال خالد الحسن (ابوالسعيد)، وأبوماهر محمد راتب غنيم، وأبوطارق هاني الحسن، وصلاح خلف أبوإياد، ووالدي محمود علي ناصر أبوبكر وابوعلي المطري (مسؤولي الحركي)، ونهلت من نبع خليل الوزير أبوجهاد، وجاورت سليم الزعنون (أبوالاديب)، وكان لنا بأبي عمار ياسر عرفات الأيقونة النضالية التي لا تموت ولاتبهت مع مرور الأيام.
في الصورة الثانية التي قفزت الى ذهني، كنت رئيسًا للاتحاد العام لطلبة فلسطين، ودعونا الأخوين صلاح خلف "أبوإياد" وسليم الزعنون "أبوالأديب" عضوي اللجنة المركزية في حركة "فتح" لحضوراحتفالية يوم الكرامة والأرض السنوية على مسرح سينما الأندلس في الكويت الجميلة، وكان المسرح غاصًا بالجماهير وفي مقدمة الصفوف الأخوين الكريمين مع مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية حينها عوني بطاش "أبومحمد" رحمهم الله جميعا، وخضت للمرة الثانية تجربة الحديث أمام جمهور واسع وكبير فحفظت ما أود قوله عن ظهرقلب، فالتوتر من اللقاء الجماهيري ورغم كل هذه السنين مازال يتملكني مع أنني فهمت واستطعت تحويله لعمل تحفيز من جهة وعمل تجدّد، ما جعلني لا أعيد ما قلته وإن كان بنفس الموضوع الابتجدد ولو ضئيل، دعونا من ذلك ولنعد للحفل حيث ألقيت كلمتي القصيرة وصفّق لي الجمهور ونزلت من على خشبة المسرح لأجلس بالصف الأول قرب أبي إياد فما كان منه إلا الثناء على الكلمة مرفوقة بابتسامته الصافية والتشجيعية الخفيفة.
أبوإياد الذي قدِم الى الكويت بعد معركة الصمود الكبير والأسطوري في بيروت عام 1982 كانت جحافل الناس تترقب كلمته في أحد مدارس الكويت، حيث غصّت

الصالة الرياضية الكبيرة وجميع ساحات المدرسة حتى خارجها الى الشوارع بالجماهير المتدفقة، تترقب الرجل الكبير حين يتكلم.
وكان ما كان من نار الشوق التي أطفأها الراحل بقوة كلماته، وتصميم صوته الأجش ونبرات صوته الصاعدة والهابطة والدافقة بالحيوية والعزيمة والتصميم، فنشَر بين صفوف الجماهير شحنات لم تنتهي من وقود الحرية ودفقات الانبعاث المتجدد للعطاء والعمل، فهو كان من يتقن فن التحفيز وفن الحديث وفن إطلاق الطاقات الايجابية وهي التي تظهر من المؤمنين الثابتين على الحق في أحلك الظروف، ومَن للحلكة أكثر قوة ودهاء من "أبوعمار وابوإياد وأبوالسعيد" وأخوانهم السعداء بإذن الله في جنتهم؟
التقينا مع القائد الراحل صلاح خلف في بيته بالكويت، وكان له من العادات الايجابية الكثير إذ لم يكن يميّز بين الكبير والصغير بحسن المعاملة، وأحسب خالد الحسن "أبوالسعيد" زميله في اللجنة المركزية لحركة فتح كان من ذات الفئة المرحابة، والذي لطالما زُرناه أيضًا ونهلنا من علمه الغزير الكثير، وكأنني أتصورهم جميعًا يحملون مورثَات (جينات) الرحابة والحب والاحتضان والإيجابية والتحفيز وعدم التبرم بالآخرين!
المهم أنه في هذا اللقاء، في بيت أبي إياد، دون غيره من اللقاءات الأخرى الكثيرة، وكنت قد انهيت رئاستي لاتحاد الطلاب وأصبحت عضوًا منتخبًا في لجنة الإقليم، وجئت مصطحبا زميلي اللاحق في رئاسة الاتحاد، كان غاضبًا جدًا الى درجة مثيرة، فلم نراه بهذه الصورة من قبل! فاستأذناه بالرحيل فرفض بإشارة من يده أن اجلسوا! وظل يذرع الغرفة جيئة وذهابًا ويدخن بشراهة وكانه ينفّس عن غضبة بهذا الهواء المنفوخ من مقدمة اللفافة، ويتكلم بكلمات قاسية لم نعلم لمن كان يوجهها، ولما تجرأت وسألته من المقصود بكلامة؟ أفاض بالشرح فكانت الطلقات السريعة قد أطلقت بعميق كلامه لتصيب أيقونة الثورة الفلسطينية ياسرعرفات، فذهلنا!.
كان طبيعة العلاقات المتوترة في عديد الأحيان بين الأخوة بالقيادة تحل غالبًا بمنطق المحبة وهو أحد أهم أركان القيم بالحركة ما أسميناه (قانون المحبة) الذي به يتم العفو والسماح بمجرد ممارسة النقد أوالاعتراف بالخطا وأحيانًا بمجرد اللقاء ذو البِشر والحبور، وكان الأخوة حين سرورهم بعد فترات التوتر وحين يُسألون عنها يردّدون بيت الشعر-المعتمد لديهم على ما يبدو- الذي لطالما سمعناه من ياسر عرفات وصلاح خلف وأبوالاديب وهو ما كان في أحد اللقاءات اللاحقة حين احتفلنا بالقادمين إلينا، (إثر مصالحة أخوية بين العملاقين أبوعمار وأبوإياد بادر لها كالعادة أبوعمار) وقاموا بحضورنا بترداد بيت الشِعر الشهير مع ابتسامة ياسرعرفات الأليفة والأنيسة والماضية.
كان الخالد فينا أبوعمار يرّدد الشطر الأول من البيت فيكمل الشطر ثاني أبوإياد، أو أبو الاديب وهو الأديب والشاعر أيضًا، أوكان أبوعمار يذكر البيت الأول-ما حصل

أمامنا، وفي مناسبات عدّة- فيكملون له البيت الثاني لقصيدة الإمام الشافعي الرائعة القائلة:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ*وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا
وَلَستُ بِهَيّابٍ لِمَن لا يَهابُني*وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ ما لا يَرى لِيا
فَإِن تَدنُ مِنّي تَدنُ مِنكَ مَوَدَّتي*وَإِن تَنأَ عَنّي تَلقَني عَنكَ نائِيا
كِلانا غَنِيٌّ عَن أَخيهِ حَياتَهُ*وَنَحنُ إِذا مِتنا أَشَدُّ تَغانِيا .

لنا أن نغترف الكثيرمن منهل الصور والذكريات والمواقف القريبة الى القلب والتي تملأ الروح فخرًا وبهجةً وإشراقًا- ولكن سنكتفي الى هنا لعلنا نوصل الرسالة. ونختم مع صلاح خلف في الجزائر.

كان الجميع يترقب المشهد السياسي المنعقد في سيدي فرج بالجزائر في كثير من المبادرات، إنها الجزائر العظيمة شقيقة النضال الفلسطيني حتى اليوم، وهي صاحبة مقولة أننا مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، إنها العظيمة ولم لا وهي أم الثورة التي اقتلعت المستعمر الغازي من جذوره.

الحاصل أنه في جلسة المجلس الوطني الفلسطيني، باحتضان الجزائر، وبعد معركة داخلية شرسة بين الفصائل في إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وحيث حضرت المؤتمر، كانت كلمة صلاح خلف "أبوإياد" الدافقة هي كلمة الفصل بين مداخلات الفصائل المعارضة، وبين كلمة أبوعمار التي لطالما مثلت خطًا جريئًا واستباقيًا ومختلفًا في كثير من الأحيان عن خط الفصائل خاصة اليسارية أو هكذا كانوا ههم يرونها، فيأتي صلاح خلف ليجمع ما لا يُجمع نظريًا، ويقرّب المسافات بفيوض فكره وعاطفته وحدبه، ويعطي كل ذي حق حقه، فلا يقصّر في النقد للاتجاه يمينًا، ولا يملّ الاقتراب من اتجاه اليسار، لقد كان الليث واقفًا وراء المنصة، لكنه بالحقيقة يصول ويجول تمامًا وكأنه في معركة، ليحوصل بعد خطبته المسارات في الحل النضالي التوافقي الذي دأبت الثورة الفلسطينية على السير فيه ضمن منطق ياسر عرفات "أبوعمار" بعيد النظرات، وكأنك كنت ترى اختلاف قيادة الثورة الفلسطينية آنذاك تنويعات على ذات اللحن، أوأصوات جميلة بنغمات متعددة ومتمايزة ولكن كلها تصدح بحب فلسطين.

قبل استشهاده بفترة قصيرة (استشهد في 14 يناير 1991م) فترة غزو الكويت، ربما قبل أيام، عبّر العملاق في مواجهة فاصلة مع أخوة لنا رفضه المبدئي لاحتلال الكويت ما أبلغ به القيادة العراقية آنذاك بلا خوف ولا وجل بل مباشرة، وهو ذات الموقف الذي اتخذه جهارًا نهارًا خالد الحسن "أبوالسعيد" وقيادت أخرى بالثورة الفلسطينية، رغم طبول القومية الهادرة، وطبول التحريرالتي بدأت تظهر للبعض كرايات على القمر وفي أعالي الجبال.

الحقيقة التاريخية والنضالية تقول أن تحرير فلسطين، بسواعد أبنائها، ولا تمر عبر أي عاصمة عربية أو غير عربية، وإنما يأتي التحرير من تجمع سيوف الأمة أجمعين

انطلاقًا نحو القدس عاصمة الامة العربية والاسلامية، كما دأب يردّد الخالد خالد الحسن "أبوالسعيد" (1928-1994م).
صلاح خلف "أبوإياد" كان حلم العطاشى للارتواء، وكان حبّات المطر للأرض الجدب، وشكّل مظلّة للسائرين في رِكاب أيديولوجيات الصراع النظري المتنافر حين كانت الثورة تمتليء بالنظريات والنقاشات والأفكار الكثيرة، وإلى ذلك كان الإيمان لديه من طراز المؤمن القوي، وإن في كل خير، وكان واخوانه مما بدأنا الإشارة لهم لا يملكون في جيوبهم الا بوصلة فلسطين.
رحم الله أختنا أم إياد، ولأهلها ولكل شعبنا الصبر والسلوان ورحم الله صلاح خلف أبوإياد.
https://bakerabubaker.info/page-2344.html
#بكر_أبوبكر
2021/9/1م

وانها لثورة حتى النصر

تشكر اكاديمية فتح الفكرية، أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية جميع الأخوة والاخوات الذين ساهموا في الاعداد والانجاز لهذا الكتاب عن صلاح خلف (أبوإياد) أحد أهم رموز الثورة الفلسطينية وقادتها وأبطالها.
فلسطين- يناير 2021م